UNIVERSAL
LIBRARY

# الجزء الثامن عشر

## من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدمه فى التفسير
أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية
رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره

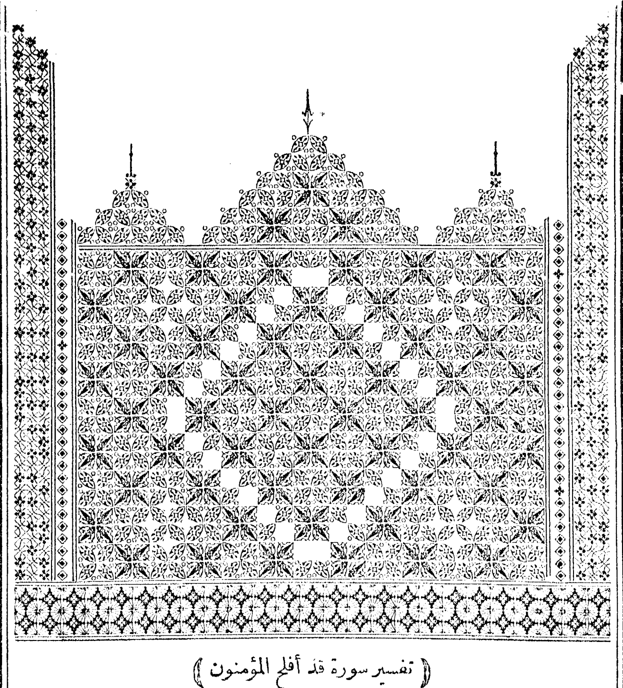
« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه « أى الطبرى » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

( الطبعة الاولى )
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٢٨ هجريه



## ﴿ تفسير سورة قد أفلح المؤمنون ﴾

### ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون﴾ قال أبو جعفر يعنى جل ثناؤه بقوله قد أفلح المؤمنون قد أدرك الذين صدّقوا الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وأقروا بما جاءهم به من عند الله وعملوا بما دعاهم اليه مما سمى فى هذه الآيات الخلود فى جنات ربهم وفازوا بطلبتهم لديه كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله قد أفلح المؤمنون قال قال كعب لم يخلق الله بيده الا ثلاثة خلق ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون لما علمت فيها من الكرامة حدثنا سهل بن موسى الرازى قال ثنا يحيى بن الضريس عن عمرو بن أبى قيس عن عبد العزيز بن رفيع عن مجاهد قال لما غرس الله تبارك وتعالى الجنة نظر اليها فقال قد أفلح المؤمنون * قال ثنا حفص بن عمر عن أبى خلدة عن أبى العالية قال لما خلق الله الجنة قال قد أفلح المؤمنون فأنزل الله به قرآنا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن ميسرة قال لم يخلق الله شيأ بيده غير أربعة أشياء خلق آدم بيده وكتب الالواح بيده والتوراة بيده وغرس عدنا بيده ثم قال قد أفلح المؤمنون وقوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون يقول تعالى ذكره الذين هم فى صلاتهم اذا قاموا فيها خاشعون وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها وقيل انها نزلت من أجل أن القوم كانوا



﴿سورة المؤمنين مكية وحروفها ٤٨٤٠ كلمها ١٨٤٠ آياتها ١١٨﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أوما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا

يرفعون أبصارهم فيها الى السماء قبل نزولها فنهوا بهذه الآية عن ذلك ذكر الرواية بذلك **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت خالدا عن محمد بن سيرين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى نظر الى السماء فأنزلت هذه الآية الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال فجعل بعد ذلك وجهه حيث يسجد **حدثنا** ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن أبى جعفر عن الحجاج الصواف عن ابن سيرين قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم فى الصلاة الى السماء حتى نزلت قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون فقالوا بعد ذلك برؤسهم هكذا **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن محمد قال نبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت آية ان لم تكن الذين هم فى صلاتهم خاشعون فلا أدرى أية آية هى قال فطأطأ قال وقال محمد وكانوا يقولون لا يجاوز بصره مصلاه فان كان قد استعاد النظر فليغمض **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم عن ابن عون عن محمد نحوه واختلف أهل التأويل فى الذى عنى به فى هذا الموضع من الخشوع فقال بعضهم عنى به سكون الاطراف فى الصلاة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال السكون فيها **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهرى الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال سكون المرء فى صلاته **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى مثله **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن أبى سفيان الشيبانى عن رجل عن على قال سئل عن قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال لا تلتفت فى صلاتك **حدثنا** عبد الجبار بن يحيى الرملى قال قال ضمرة بن ربيعة عن أبى شوذب عن الحسن فى قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال كان خشوعهم فى قلوبهم فغضوا بذلك البصر وخفضوا به الجناح **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم فى قوله خاشعون قال الخشوع فى القلب وقال ساكنون ❊ قال ثنا الحسن قال ثنى خالد بن عبد الله عن المسعودى عن أبى سنان عن رجل من قومه عن على رضى الله عنه قال الخشوع فى القلب وأن تلين للمرء المسلم كنفك ولا تلتفت ❊ قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبى رباح فى قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال التخشع فى الصلاة وقال لى غير عطاء كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام فى الصلاة نظر عن يمينه ويساره ووجاهه حتى نزلت قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون فما رؤى بعد ذلك ينظر الا الى الارض ❊ وقال آخرون عنى به الخوف فى هذا الموضع ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال خائفون **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر فى قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال الحسن خائفون وقال قتادة الخشوع فى القلب **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون يقول خائفين ساكنين وقد بينا فيما مضى قبل من كتابنا أن الخشوع التذلل والخضوع بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع واذ كان ذلك كذلك ولم يكن الله تعالى ذكره دل على أن مراده من ذلك معنى دون معنى فى عقل ولا خبر كان معلوما أن معنى مراده من ذلك العموم واذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ما وصفت قبل من أنه والذين هم فى صلاتهم متذللون لله بادامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته واذا

---

من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرنى بما كذبون فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان فى ذلك لآيات وان كنا لمبتلين) ۞ القراآت لأماناتهم على التوحيد ابن كثير على صلاتهم موحدة حمزة وعلى وخلف وعظما العظم موحدين على ارادة الجنس أو على وضع الواحد مكان الجمع لعدم اللبس ابن عامر وأبو بكر وحماد وجبلة الاول موحدا والثانى مجموعا زيد عن يعقوب وروى القطعى عن أبى زيد بالعكس فيهما الباقون مجموعين سيناء بكسر السين أبو عمرو وأبو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون بفتحها تنبت من الانبات ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب غير روح الآخرون بفتح التاء وضم الباء من النبات نسقيكم بفتح النون نافع وابن عامر وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد بالتاء الفوقانية يزيد الباقون بضم النون منزلا بفتح الميم وكسر الزاء أبو بكر وحماد الآخرون بضم الميم وفتح الزاء ۞ الوقوف

تذلل لله فيها العبد ورؤية ذلة خضوعه في سكون أطرافه وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها وقوله والذين هم عن اللغو معرضون يقول تعالى ذكره والذين هم عن الباطل وما يكرهه الله من خلقه معرضون * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والذين هم عن اللغو معرضون يقول الباطل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن عن اللغو معرضون قال عن المعاصي حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الحسن مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين هم عن اللغو معرضون قال النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من صحابته ممن آمن به واتبعه وصدقه كانوا عن اللغو معرضين ۞ القول في تأويل قوله ﴿والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ يقول تعالى ذكره والذين هم لزكاة أموالهم التي فرضها الله عليهم فيها مؤدون وفعلهم الذي وصفوا به هو أداؤهموها وقوله والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم يقول والذين هم لفروج أنفسهم وعنى بالفروج في هذا الموضع فروج الرجال وذلك أقبالهم حافظون يحفظونها من اعمالها في شيء من الفروج إلا على أزواجهم يقول إلا من أزواجهم اللاتي أحلهن الله للرجال بالنكاح أو ما ملكت أيمانهم يعني بذلك إماءهم وما التي في قوله أو ما ملكت أيمانهم في محل خفض عطفا على الأزواج فانهم غير ملومين يقول فان من لم يحفظ فرجه عن زوجه وملك يمينه وحفظه عن غيره من الخلق فانه غير موبخ على ذلك ولا مذموم ولا هو بفعله ذلك راكب ذنبا يلام عليه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين يقول رضي الله لهم اتيانهم أزواجهم وما ملكت أيمانهم وقوله فمن ابتغى وراء ذلك يقول فمن التمس لفرجه منكحا سوى زوجته وملك يمينه فأولئك هم العادون يقول فهم العادون حدود الله المجاوزون ما أحل الله لهم الى ما حرم عليهم * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال نهاهم الله نهيا شديدا فقال فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون فسمى الزاني من العادين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فأولئك هم العادون

---

المؤمنون ○ لا خاشعون ○ لا معرضون ○ لا فاعلون ○ لا حافظون ○ ملومين ○ لا لاعتراض الاستثناء بين الاوصاف ولاستحقاق الشرط الابتداء ولطول الكلام والا فالآيتان من أوصاف المؤمنين أيضا العادون ○ ج راعون ○ لا يحافظون ○ م والا لأوهم تخصيص الارث بالمذكورين في الآيتين فقط الوارثون ○ لا الفردوس ط خالدون ○ طين ج ○ للعدول عن المظهر الى كناية عن غير مذكور فان المراد من الانسان آدم ومن الهاء في جعلناه جنس ولده مع عطف ظاهر مكين ○ ج للعطف لحما صلى وقد قيل للابتداء بانشاء (٤) نفخ الروح تعظيما آخر ط الخالقين ○ ط لأن ثم لترتيب الاخبار فان بين الاحياء والافناء مهلة لميتون ○ ط لذلك لقادرون ○ للآية مع اتصال المعنى بلفظ الفاء وأعناب م لئلا يوهم أن الجار والمجرور وصف أعناب تأكلون ○ لا لأن شجرة مفعول أنشأنا للآكلين ○ لعبرة ط لان الجملة بعدها ليست بصفة لها تأكلون ○ لا تحملون ○ ط غيره ط تتقون ○ مثلكم لا لأن قوله يريد صفة بشر عليكم ط ملائكة ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقول الاولين ج ○ للآية مع اجتناب الابتداء بقول الكفار مع اتحاد مقصود الكلام حين ○ كذبون ○ التنور ○ لا لأن ما بعده جواب فاذا منهم ج لعطف المتفقتين مع اعتراض الاستثناء ظلموا ج للابتداء بان مع احتمال اضمار اللام والفاء للتعليل مغرقون ○ الظالمين ○ المنزلين ○ لمبتلين ○ ۞ التفسير لما انجر الكلام في السورة المتقدمة الى الختم بالصلاة والزكاة بدأ في هذه السورة بذكر فضائلهما وفضائل ما ينخرط في سلكهما من مكارم الاخلاق ومحاسن العادات وقد نقضه لما لا انها تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي اخبار بثبوت الفلاح لهم وقد مر معنى الايمان والاختلاف فيه بين الاقوام في أول البقرة وأما الخشوع فمنهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والنظر الى موضع السجود والتوقي عن كف الثوب أي جمعه والعبث بجسده وثيابه والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل بأن يضع وسط الثوب على رأسه أو على عاتقه ويرسل طرفيه والاحتراز عن الفرقعة والتشبيك وتقليب الحصى والاختصار وهو أن يمسك بيده عصا أو سوطا ونحوهما قال الحسن وابن سيرين كان المسلمون يرفعون أبصارهم الى السماء في صلاتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فلما نزلت هذه

الآية طأطأ كان لا يجاوز بصره مصلاه وهذا الخشوع واجب عند المحققين نقل الامام الغزالى عن أبى طالب المكى عن بشر الحافى من لم يخشع فسدت صلاته وعن الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى الى العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو فى الصلاة فلا صلاة له وروى عنه مرفوعا ان العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها او عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وادعى عبد الواحد بن زيد اجماع العلماء على أنه ليس للعبد الا ما عقل من صلاته ومما يدل على صحة هذا القول قوله سبحانه أفلا يتدبرون القرآن والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى وكذا قوله وأقم الصلاة لذكرى (٥) والغفلة تضاد الذكر ولهذا قال ولا تكن من الغافلين وقوله حتى تعلموا ما تقولون نهى للسكران الا أن المستغرق فى هموم الدنيا بمنزلته وقوله صلى الله عليه وسلم المصلى يناجى ربه ولا مناجاة مع الغفلة أصلا بخلاف سائر أركان الاسلام فان المقصود منها يحصل مع الغفلة فان الغرض من الزكاة كسر الحرص واغناء الفقير وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة النفس التى هى عدو الله وكذا الحج فان أفعاله شاقة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الابتلاء وان لم يكن القلب حاضرا والمتكلمون أيضا اتفقوا على أنه لا بد من الحضور والخشوع قالوا لان السجود لله تعالى طاعة وللصنم كفر وكل واحد منهما يماثل الآخر فى ذاته ولوازمه فلا بد من مميز وما ذاك الا القصد والارادة ولا بد فيهما من الحضور وأما الفقهاء فالاكثرون منهم لا يوجبون ذلك فيقال لهم هبوا أنه ليس من شرط الاجزاء وهو عدم وجوب القضاء أليس هو من شرط القبول الذى يترتب عليه الثواب فمن استعار ثوبا ثم رده على أحسن الوجوه فقد خرج عن العهدة وكذا ان رده على وجه الاهانة والاستخفاف الا أنه يستحق المدح فى الصورة الاولى والذم فى الصورة الثانية وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجنى الحور العين فقال بئس الخاطب أنت * قلت لا ريب أن الاحتياط انما هو فى رعاية جانب الخشوع كما حكى عن بعض العلماء أنه اختار الامامة فقيل له فى ذلك فقال أخاف ان تركت الفاتحة أن يعاتبنى الشافعى وان قرأت مع الامام أن يعاتبنى أبو حنيفة فاخترت الامامة طلبا للخلاص عن هذا الخلاف قال علماء المعانى سبب اضافة الصلاة اليهم هو أن الصلاة دائرة بين المصلى والمصلى لاجله فالمصلى هو المنتفع بها وحده وهى عدته وذخيرته وأما

قال الذين يتعدون الحلال الى الحرام حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن أبى عبد الرحمن فى قوله فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون قال من زنى فهو عاد ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون ﴾ يقول تعالى ذكره والذين هم لأماناتهم التى ائتمنوا عليها وعهدهم وهو عقودهم التى عاقدوا الناس راعون يقول حافظون لا يضيعون ولكنهم يوفون بذلك كله واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار الا ابن كثير والذين هم لاماناتهم على الجمع وقرأ ذلك ابن كثير لأمانتهم على الواحدة والصواب من القراءة فى ذلك عندنا لأماناتهم لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله والذين هم على صلواتهم يحافظون يقول والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون فلا يضيعونها ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم ولكنهم يراعونها حتى يؤدوها فيها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق والذين هم على صلواتهم يحافظون قال على وقتها حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق والذين هم على صلواتهم يحافظون قال على ميقاتها حدثنا ابن عبد الرحمن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا يحيى بن أيوب قال أخبرنا ابن زحر عن الأعمش عن مسلم بن صبيح قال الذين هم على صلواتهم يحافظون قال أقام الصلاة لوقتها * وقال آخرون بل معنى ذلك على صلواتهم دائمون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم على صلواتهم يحافظون قال دائمون قال يعنى بها المكتوبة وقوله أولئك هم الوارثون يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه صفتهم فى الدنيا هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك روى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأوله أهل التأويل ذكر الرواية بذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار وان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله أولئك هم الوارثون حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة فى قوله أولئك هم الوارثون قال يرثون مساكنهم ومساكن اخوانهم التى أعدت لهم لو أطاعوا الله حدثنى ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الأعمش عن أبى هريرة أولئك هم الوارثون قال يرثون مساكنهم ومساكن اخوانهم الذين أعدت لهم لو أطاعوا الله حدثنا

المصلى له فتعالى عن ذلك ولما كان اللغو هو الساقط من القول أو الفعل احتمل أن يقع فى الصلاة وأيضا كان الاعراض عنه من باب التروك كما أن الخشوع وهو استعمال الآداب ومالا يصح ولا تكمل الصلاة الا به كان من باب الأفعال وعلى الفعل والترك بناء قاعدة التكليف فلا جرم جعلهما قرينين فقال (والذين هم عن اللغو معرضون) واللغو على ماقلنا يشمل كل ما كان حراما أو مكروها أو مباحا لاضرورة اليه ولا حاجة قولا أو فعلا فمن الحرام قوله تعالى حكاية عن الكفار لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فان ذلك اللغو كفر والكفر حرام ومن المباح قوله لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولو لم يكن (٦) مباحا لم يناسبه عدم المؤاخذة والاعراض عن اللغو هو بأن لا يفعله ولا يرضى به ولا يخالط من يأتيه كما قال عز من قائل واذا مروا باللغو مروا كراما ثم وصفهم بفعل الزكاة وهو مناسب للصلاة وليس المراد بالزكاة ههنا عين القدر المخرج من النصاب لان الخلق لا قدرة لهم على فعلها فلا يصح المعنى الا بتقدير مضاف أى لاداء الزكاة فاعلون بل المراد فعل المزكى الذى هو التزكية فقوله للزكى فاعل الزكاة كقولك للضارب فاعل الضرب وعن أبى مسلم أنه حمل الزكاة ههنا على كل فعل محمود مرضى كقوله قد أفلح من تزكى والاول أقرب لانه مناسب لعرف الشرع الصفة الرابعة قوله (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم) قال الفراء على بمعنى عن وقال غيره هو فى موضع الحال أى الا والين أو قوامين على أزواجهم نظيره قولهم كان زياد على البصرة أى واليا عليها والمعنى أنهم مستمرون على حفظ الفروج فى كافة الاحوال الا فى حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق الجار بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون على كل من يباشرونه الا على أزواجهم فانهم غير ملومين عليهن وجوز فى الكشاف أن يكون صلة لحافظين من قولهم احفظ على عنان فرسى على تضمينه معنى النفى أى لا تسلط على فرسى وانما لم يقل أو من ملكت لانه اجتمع فى السرية وصفان الانوثة التى هى سبب الحسن نقصان العقل وكونها بحيث تباع وتشترى كسائر السلع (فمن ابتغى) حدا (وراء ذلك) الحد الذى شرع وهو اباحة أربع من الحرائر وماشاء من الاماء وكفى به حدا فسيحا (فأولئك هم) الكاملون فى العدوان المتناهون فيه قيل لا دليل فيه على تحريم نكاح المتعة لانها من جملة الازواج اذا صح النكاح ومنع من أنها من الازواج ولو كانت زوجة لورث منها الزوج لقوله ولكم نصف ماترك أزواجكم ولورثت منه لقوله ولهن الربع ثم الآية من العمومات التى دخلها التخصيص بدلائل أخر فيخرج منها الغلام بل الوطء فى الدبر على الاطلاق لانه ليس

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال الوارثون الجنة أورثتموها والجنة التى نورث من عبادنا هن سواء قال ابن جريج قال مجاهد يرث الذى من أهل الجنة أهله وأهل غيره ومنزل الذين من أهل النار هم يرثون أهل النار فلهم منزلان فى الجنة وأهلان وذلك أنه منزل فى الجنة ومنزل فى النار فأما المؤمن فيبنى منزله الذى فى الجنة ويهدم منزله الذى فى النار وأما الكافر فيهدم منزله الذى فى الجنة ويبنى منزله الذى فى النار قال ابن جريج عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد انه قال مثل ذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ يقول تعالى ذكره الذين يرثون البستان ذا الكرم وهو الفردوس عند العرب وكان مجاهد يقول هو بالرومية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله الذين يرثون الفردوس قال الفردوس بستان بالرومية ※ قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال عدن حديقة فى الجنة قصرها فيها عدنها خلقها بيده تفتح كل فجر فينظر فيها ثم يقول قد أفلح المؤمنون قال هى الفردوس أيضا تلك الحديقة قال مجاهد غرسها الله بيده فلما بلغت قال قد أفلح المؤمنون ثم أمر بها تغلق فلا ينظر فيها خلق ولا ملك مقرب ثم تفتح كل سحر فينظر فيها فيقول قد أفلح المؤمنون ثم تغلق الى مثلها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قتل حارثة بن سراقة يوم بدر فقالت أمه يارسول الله ان كان ابنى من أهل الجنة لم أبك عليه وان كان من أهل النار بالغت فى البكاء قال ياأم حارثة انها جنتان فى جنة وان ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى من الجنة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن قتادة عن كعب قال خلق الله بيده جنة الفردوس غرسها بيده ثم قال تكلمى قالت قد أفلح المؤمنون ※ قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن حسام بن مصك عن قتادة أيضا مثله غير أنه قال تكلمى قالت طوبى للمتقين ※ قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن يزيد عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى داود نفيع قال لما خلقها الله قال لها تزينى فتزينت ثم قال لها تكلمى فقالت طوبى لمن رضيت عنه وقوله هم فيها خالدون يعنى ماكثون فيها يقول هؤلاء الذين يرثون الفردوس خالدون يعنى ماكثون فيها أبدا لا يتحولون عنها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين أسللناه منه فالسلالة هى المستلة من كل تربة ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الارض ※ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى المعنى بالانسان فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى به آدم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة من طين قال استل آدم من الطين حدثنا

موضع حرث وكذا الزوجة والامة في أحوال الحيض والعدة والاحرام ونحوها وقال أبو حنيفة الاستثناء من النفي ليس باثبات فقوله لا صلاة الا بطهور ولا نكاح الا بولي لا يقتضي حصول الصلاة والنكاح بمجرد حصول الطهور والولي ولا تخصيص عنده في الآية والمعنى أنه يجب حفظ الفروج عن الكل الا في هاتين الصورتين فاني ما ذكرت حكمهما بالنفي ولا بالاثبات هكذا نقله الامام فخر الدين الرازي في تفسيره الصفة الخامسة رعاية الامانة والعهد والمراد بهما الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه لتمكن رعايتهما والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الناس كالعبادات والمعاملات والودائع والقصود والنيات والعقود والنذور والطلاق والعتاق وغيرها وقد مر في تفسير قوله ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقوله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ويحتمل الخصوص فيما تحملوه من أمانات الناس وعهودهم الصفة السادسة محافظة الصلاة كما مر في قوله حافظوا على الصلوات وذلك في البقرة وصفوا أولا بالخشوع في صلاتهم وآخرا بالمداومة عليها وبمراقبة أعدادها وأوقاتها فرائض كانت أو سننا رواتب أو غيرها فالمحافظة أعم من الخشوع وأشمل ومن هنا يعرف فضيلة الصلاة اذ وقع الافتتاح بها والاختتام عليها وان اختلاف الاعتبارات والعبارتان (أولئك هم الوارثون) الأحقاء بأن يسموا وراثا دون من عداهم ممن يرث مالا فانيا أو متاعا قليلا أو ممن يدخل الجنة سواهم كالاطفال والمجانين والفساق بعد العفو وكالولدان والحور ثم بين المورث بقوله (الذين يرثون الفردوس) وقد سبق معنى هذه الوراثة في الاعراف في قوله ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها قال الفقهاء لا فرق في الميراث بين ما ملكه الميت وبين ما يقدر ملكه فيه ولذلك قالوا الدية انها ميراث المقتول وكل من في الجنة فله مسكن مفروض في النار على تقدير كفره وكل من في النار فله مسكن مفروض في الجنة على تقدير ايمانه كما ورد في الحديث فاذا تبادل المسكنان كان جميع أهل الجنة وارثين ولكن كل الفردوس لا يكون ميراثا بل بعضه ميراث وبعضه بالاستحقاق الا أنه يصدق بالجملة أنهم ورثوا الفردوس أي الجنة ولهذا أنث الضمير في قوله (هم فيها خالدون) وقيل ان الجنة كانت مسكن أبينا آدم عليه السلام فاذا انتقلت الى أولاده كان شبيها بالميراث والفردوس بلسان الحبشة أو الروم هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روي أن الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر

---

الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله من سلالة من طين قال استل آدم من طين وخلقت ذريته من ماء مهين * وقال آخرون بل معنى ذلك ولقد خلقنا ولد آدم وهو الانسان الذي ذكر في هذا الموضع من سلالة وهي النطفة التي استلت من ظهر الفحل من طين وهو آدم الذي خلق من طين ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن أبي يحيى عن ابن عباس من سلالة من طين قال صفوة الماء **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله من سلالة من مني آدم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم وهي صفوة مائه وآدم هو الطين لانه خلق منه وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية لدلالة قوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين على أن ذلك كذلك لانه معلوم أنه لم يصر في قرار مكين الا بعد خلقه في صلب الفحل ومن بعد تحوله من صلبه صار في قرار مكين والعرب تسمي ولد الرجل ونطفته سليله وسلالته لأنهما مسلولان منه ومن السلالة قول بعضهم

(١) حملت به عضب الأديم غضنفرا * سلالة فرج كان غير حصين

وقول الآخر

وهل كنت الا مهرة عربية * سلالة أفراس تجللها بغل

فمن قال سلالة جمعها سلالات وربما جمعوها سلائل وليس بالكثير لان السلائل جمع للسليل ومنه قول بعضهم

اذا أنتجت منها المهارى تشابهت * على القود إلا بالانوف سلائله

وقول الراجز * يقذفن في أسلابها بالسلائل *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم جعلنا الانسان الذي جعلناه من سلالة من طين نطفة في قرار مكين وهو حيث استقرت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة ووصفه بأنه مكين لأنه مكن لذلك وهيئ له ليستقر فيه الى بلوغ أمره الذي جعله له قرارا وقوله ثم خلقنا النطفة

(١) الذي في اللسان فجاءت به الخ فتنبه كتبه مصححه

وروى أبو موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الفردوس مقصورة الرحمن فيها الانهار والاشجار وعن أبى أمامة مرفوعا سلوا الله الفردوس فانها أعلى الجنان وان أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أحسن العبد الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما حافظت على وتشفع لصاحبها فاذا أضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتنى وتلف كما يلف الثوب ويضرب بها على وجه صاحبها قالت العلماء أما كلام الجنة فالمراد به أنها أعدت للمتقين كقوله قالتا أتينا طائعين وكذا الكلام فى كلام طوبى وأما أنه تعالى خلق الجنة بيده فالمراد تولى خلقها وايجادها من غير واسطة وأما حديث الصلاة فلا ريب أنها حركات وسكنات ولا يصح عليها التكلم فالمراد به ضرب المثل كقولك للمنعم عليك ان احسانك الى ينطق بالشكر ولما حث عباده على العبادات ووعدهم الفردوس على مواظبتها عاد الى تقرير المبدا والمعاد ليتمكن ذلك فى نفوس المكلفين وهو ثلاثة أنواع الاول الاستدلال بأطوار خلق الانسان والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وهذا البناء للقلة ولما يسقط عن الشئ كالقلامة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل المراد آدم لانه استل من الطين والكناية فى جعلناه راجعة الى الانسان الذى هو ولد آدم أى جعلنا جوهره نطفة وقال آخرون الانسان ههنا هو ولد آدم والطين اسم آدم والسلالة هى الاجزاء الكلية المبثوثة فى أعضائه التى تجتمع منيا فى أوعيته ويحتمل أن يقال ان كل نسل آدم حاله كذلك لان غذاءه ينتهى الى النبات المتولد من صفو الارض والماء المسمى بالسلالة ثم ان تلك السلالة تصير منيا وعلى هذا فكلتا لفظى من للابتداء قال فى الكشاف الاولى للابتداء والثانية للبيان وهو موجه على التفسير الاول فقط والقرار المستقر أراد به الرحم وانما وصفت بالمكين لمكانتها فى نفسها فانها مكنت حيث هى وأحرزت أو على الاسناد المجازى باعتبار المستقر فيها كقولك طريق سائر وترتيب الاطوار كما مر فى أول الحج ومعنى ثم فى بعض هذه المعطوفات تراخى الرتبة ولا سيما فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر أى خلقا مباينا للخلق الاول حيث جعله حيوانا وكان جمادا الى غير ذلك من دقائق اللطف وغرائب الصنع وذلك بعد استكماله ثلاثة أربعينات

علقة يقول ثم صيرنا النطفة التى جعلناها فى قرار مكين علقة وهى القطعة من الدم فخلقنا العلقة مضغة يقول فجعلنا ذلك الدم مضغة وهى القطعة من اللحم وقوله فخلقنا المضغة عظاما يقول فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق سوى عاصم فخلقنا المضغة عظاما على الجماع وكان عاصم وعبد الله بن عامر يقرآن ذلك عظما فى الحرفين جميعا على التوحيد والقراءة التى نختار فى ذلك الجماع لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله فكسونا العظام لحما يقول فألبسنا العظام لحما وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله ثم خلقنا النطفة عظما وعصبا فكسوناه لحما وقوله ثم أنشأناه خلقا آخر يقول ثم أنشأنا هذا الانسان خلقا آخر وهذه الهاء التى فى أنشأناه عائدة على الانسان فى قوله ولقد خلقنا الانسان وقد يجوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغة جعل ذلك كله كالشئ الواحد فقيل ثم أنشأنا ذلك خلقا آخر واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ثم أنشأناه خلقا آخر فقال بعضهم انشاؤه اياه خلقا آخر نفخه الروح فيه فيصير حينئذ انسانا وكان قبل ذلك صورة ذكر من قال ذلك حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ الروح فيه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن الحجاج بن أرطاة عن عطاء عن ابن عباس مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ثم أنشأناه خلقا آخر قال الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الرحمن بن الاصبهانى عن عكرمة فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ الروح فيه حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سلمة عن داود بن أبى هند عن الشعبى ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ فيه الروح * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ فيه الروح فهو الخلق الآخر الذى ذكر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ثم أنشأناه خلقا يعنى الروح تنفخ فيه بعد الخلق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال الروح الذى جعله فيه * وقال آخرون انشاؤه خلقا آخر تصريفه اياه فى الاحوال بعد الولادة فى الطفولة والكهولة والاغتذاء ونبات الشعر والسن ونحو ذلك من أحوال الاحياء فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنا أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم أنشأناه خلقا

ومن هنا ذهب أبو حنيفة فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده الى أنه يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة وروى العوفي عن ابن عباس أن ذلك تصريف الله في أطواره بعد الولادة من الطفولية وما بعدها الى استواء الشباب وخلق الفهم والعقل فيه يؤيده قوله (ثم انكم بعد ذلك لميتون) ويروى هذا القول أيضا عن مجاهد وابن عمر (فتبارك الله) كثر خيره وبركته أو هو وصف له بالدوام والبقاء أو بالتعالي لان البركة يرجع معناها الى الامتداد وكل ما زاد على الشئ فقد علاه ومعنى (أحسن الخالقين) أحسن المقدرين تقديرا فحذف المميز للعلم به قالت المعتزلة في الآية دلالة على أن كل ما يفعله الله فهو حسن وحكمة فلا يكون خالقا للكفر والمعاصي وأجيب بأن الحسن ههنا بمعنى الاحكام والاتقان في التركيب والتأليف وبأنه لا يقبح منه شئ لانه تعالى يتصرف في ملكه قالوا لولا أن غيره تعالى خالق لم تحسن هذه الاضافة فيعلم منه أن العبد خالق أفعاله وعورض بقوله الله خالق كل شئ وأجيب بأن المراد أنه أحسن الخالقين في زعمكم واعتقادكم وبعضهم أجاب بأن وجه حسن الاضافة هو أنه تعالى وصف عيسى بأنه يخلق من الطين كهيئة الطير ولا يخفى ضعف هذا الجواب من أنه يلزم اطلاق الجمع على الواحد ومن حيث انه يلزم اطلاق الخالق على المصورين والحق أن الخلق لو كان بمعنى التقدير لا بمعنى الايجاد لا يلزم منه شئ من هذه الاشكالات روى أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيا يوحى اليه فأنا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح وروى عن عمر أيضا سبق لسانه بقوله فتبارك الله أحسن الخالقين قبل أن ينزل واعلم أن هذا غير مستبعد ولا قادح في اعجاز القرآن لأنه ليس بمقدار سورة الكوثر التي وقع فيها أقل التحدي به * سؤال ما الحكمة في الموت وهلا وصل نعيم الدنيا بنعيم الآخرة ليكون في الانعام أبلغ * جواب لو كان كذلك لكان الآتي بالطاعة آتيا بها لمحض الجنة والثواب فلا جرم أوقع الله تعالى الاماتة والاعادة في البين لتكون الطاعات أدخل في الاخلاص وأبعد عن صورة المبايعة وليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي حياة القبر فتعرف تلك بدليل آخر ويمكن ان يقال بل الآية تتضمنها فانها أيضا من جنس الاعادة ۞ النوع الثاني الاستدلال بخلق السموات قال الخليل والفراء والزجاج سميت السموات طرائق لأنها طورق بعضها فوق بعض كطارقة النعل وقال علي بن عيسى لانها

خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين يقول خرج من بطن أمه بعد ما خلق فكان من بدء خلقه الآخر أن استهل ثم كان من خلقه أن دل على ثدي أمه ثم كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجليه الى أن قعد الى أن حبا الى أن قام على رجليه الى أن مشى الى أن فطم فعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام الى أن بلغ الحلم الى أن بلغ أن يتقلب في البلاد حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ثم أنشأناه خلقا آخر قال يقول بعضهم هو نبات الشعر وبعضهم يقول هو نفخ الروح حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك ثم أنشأناه خلقا آخر قال يقال الخلق الآخر بعد خروجه من بطن أمه بسنه وشعره * وقال آخرون بل عني بانشائه خلقا آخر سوّى شبابه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال حين استوى شبابه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد حين استوى به الشباب وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال عني بذلك نفخ الروح فيه وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحول خلقا آخر انسانا وكان قبل ذلك بالاحوال التي وصفه الله أنه كان بها من نطفة وعلقة ومضغة وعظم وبنفخ الروح فيه يتحوّل عن تلك المعاني كلها الى معنى الانسانية كما تحول أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها انسانا وخلقا آخر غير الطين الذي خلق منه وقوله فتبارك الله أحسن الخالقين اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فتبارك الله أحسن الصانعين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد فتبارك الله أحسن الخالقين قال يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين * وقال آخرون انما قيل فتبارك الله أحسن الخالقين لان عيسى بن مريم كان يخلق فأخبر جل ثناؤه عن نفسه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج في قوله فتبارك الله أحسن الخالقين قال عيسى بن مريم يخلق وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد لأن العرب تسمي كل صانع خالقا ومنه قول زهير

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفري

ويروى

ولأنت تخلق ما فريت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفري

۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) يقول تعالى

ذكره ثم انكم أيها الناس من بعد انشائكم خلقا آخر وتصييرنا كم انسانا سويا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم ثم انكم بعد موتكم وعودكم رفاتا باليا مبعوثون من التراب خلقا جديدا كما بدأنا كم أول مرة وانما قيل ثم انكم بعد ذلك لميتون لانه خبر عن حال لهم يحدث لم يكن وكذلك تقول العرب لمن لم يمت هو مائت وميت عن قليل ولا يقولون لمن قد مات مائت وكذلك هو طمع فيما عندك اذا وصف بالطمع فاذا أخبر عنه أنه سيفعل ولم يفعل قيل هو طامع فيما عندك غدا وكذلك ذلك فى كل ما كان نظير الماذكرناه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات بعضهن فوق بعض والعرب تسمى كل شئ فوق شئ طريقة وانما قيل للسموات السبع سبع طرائق لان بعضهن فوق بعض فكل سماء منهن طريقة ۞ وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال الطرائق السموات وقوله وما كنا عن الخلق غافلين يقول وما كنا فى خلقنا السموات السبع فوقكم عن خلقنا الذى تحتها غافلين بل كنا لهم حافظين من أن تسقط عليهم فتهلكهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون﴾ يقول تعالى ذكره وأنزلنا من السماء ما فى الارض من ماء فأسكناه فيها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض ماء هو من السماء وقوله وانا على ذهاب به لقادرون يقول جل ثناؤه وانا على الماء الذى أسكناه فى الارض لقادرون أن نذهب به فتهلكوا أيها الناس عطشا وتخرب أرضوكم فلا تنبت زرعا ولا غرسا وتهلك مواشيكم يقول فمن نعمتى عليكم تركى ذلك لكم فى الارض جاريا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون﴾ يقول تعالى ذكره فأحدثنا لكم بالماء الذى أنزلناه من السماء بساتين من نخيل وأعناب لكم فيها يقول لكم فى الجنات فواكه كثيرة ومنها تأكلون يقول ومن الفواكه تأكلون وقد يجوز أن تكون الهاء والألف من ذكر الجنات ويحتمل أن تكون من ذكر النخيل والاعناب وخص جل ثناؤه الجنات التى ذكرها فى هذا الموضع فوصفها بأنها من نخيل وأعناب دون وصفها بسائر ثمار الارض لان هذين النوعين من الثمار كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قرب منها فكانت النخيل لأهل المدينة والأعناب لأهل الطائف فذكر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم بما أنعم به عليهم من ثمارها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين﴾ يقول تعالى ذكره وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء

طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها (وما كنا عن الخلق) أى عن السموات وحفظها أن لا تقع على الارض قاله سفيان بن عيينة وعن الحسن أراد بالخلق الناس أى ما كنا (غافلين) عن مصالحهم فخلقنا الطرائق فوقهم لينزل منها عليهم البركات والارزاق ولينتفعوا بغير ذلك من منافعها ويحتمل أن يريد بالاول كمال قدرته وبالثانى كمال علمه بأحوال مخلوقاته وفيه نوع من الزجر ويمكن أن المراد خلقنا السموات وما كنا عن خلقها ذاهلين فلهذا لم تخرج عن التقدير الذى أردنا كونها عليه نظيره ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ۞ النوع الثالث الاستدلال بنزول الامطار واخراج النبات وانساء الحيوانات ونزول المطر عند الظاهرين من أهل الشرع لا يبعد أن يكون من نفس السماء وعند أرباب المعقول منهم يراد به انزاله من جهة السماء قالوا انه سبحانه يصعد الأجزاء المائية من البحر بواسطة التبخير فتصير فى الجوّ صافية عذبة زائلة عنها ملوحة البحر ثم ينزلها بواسطة السحب وقد سلف فى أول البقرة تفصيل ذلك ومعنى (بقدر) بتقدير يسلمون معه من المضارّ ويصلون الى المنافع أو بمقدار يوافق حاجاتهم ومعنى اسكان ماء المطر فى الارض جعله مددا للينابيع والآبار وقيل أراد اثباته فى الارض على ما روى عن ابن عباس ان الانهار خمسة سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة واستودعها الجبال وأجراها فى الارض (وانا على ذهاب به لقادرون) أى كما قدرنا على انزاله فنحن قادرون على أن نذهب به بوجه من الوجوه ولهذا التنكير حسن موقع لا يخفى اذ فيه ايذان على أن الذاهب به قادر على أىّ وجه أراد وفيه تحذير من كفران نعمة الماء وتخويف من نفاده اذا لم يشكر ثم لما نبه على عظم نعمته بخلق الماء بين المنافع الحاصلة بسببه وخص منها النخيل والاعناب وشجرة الزيتون لانها أكرم الشجر وأعمها نفعا ووصف النخل والعنب بأن ثمرهما جامع لامرين التفكه والتطعم وجوز فى الكشاف أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم فلان يأكل من حرفة كذا كأنه قال ومن هذه الجنان وجوه أرزاقكم ومعايشكم وشجرة و وصف الزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا قال جار الله طور سيناء وطور سينين اما أن يكون الطور فيه مضافا الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما أن يكون المجموع اسما للجبل وهو جبل فلسطين على قول والطور الذى منه نودى موسى من قرأ سيناء بفتح السين فهو كصحراء ومن قرأ بكسرها فمنع صرفه للعلمية والعجمة أو التأنيث بتأويل البقعة ولا يكون ألفه حينئذ للتأنيث كعلباء وحرباء قال

وشجرة منصوبة عطفا على الجنات ويعنى بها شجرة الزيتون وقوله تخرج من طور سيناء يقول تخرج من جبل ينبت الاشجار وقد بينت معنى الطور فيما مضى بشواهده واختلاف المختلفين عما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما قوله سيناء فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة سيناء بكسر السين وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة سيناء بفتح السين وهما جميعا مجمعون على مدها والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان فى قرأة الامصار بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ※ واختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه المبارك كأن معنى الكلام عنده وشجرة تخرج من جبل مبارك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله طور سيناء قال المبارك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وشجرة تخرج من طور سيناء قال هو جبل بالشام مبارك ※ وقال آخرون معناه حسن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله طور سيناء قال هو جبل حسن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله من طور سيناء الطور الجبل بالنبطية وسيناء حسنه بالنبطية * وقال آخرون هو اسم جبل معروف ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله من طور سيناء قال الجبل الذى نودى منه موسى صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله طور سيناء قال هو جبل الطور الذى بالشام جبل ببيت المقدس قال ممدود هو بين مصر وبين أيلة ※ وقال آخرون معناه أنه جبل ذو شجر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عمن قاله * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان سيناء اسم أضيف اليه الطور يعرف به كما قيل جبلا طىء فأضيفا الى طىء ولو كان القول فى ذلك كما قال من قال معناه جبل مبارك أو كما قال من قال معناه حسن لكان الطور منونا وكان قوله سيناء من نعته على أن سيناء بمعنى مبارك وحسن غير معروف فى كلام العرب فيجعل ذلك من نعت الجبل ولكن القول فى ذلك ان شاء الله كما قال ابن عباس من أنه جبل عرف بذلك وأنه الجبل الذى نودى منه موسى صلى الله عليه وسلم وهو مع ذلك مبارك لا أن معنى سيناء معنى مبارك وقوله تنبت بالدهن اختلفت القراء فى قراءة قوله

فى الكشاف بالدهن فى موضع الحال والباء للمصاحبة دون التعدية لان نبات الدهن أو انباته لا يكاد يستعمل فالمعنى تنبت الشجرة وفيها الدهن أو تنبت الشجرة زيتونها وفيه الزيت ويجوز أن يكون أنبت بمعنى نبت أيضا والصبغ الادام لانه يصبغ الخبز قلت لا يبعد أن يريد بالصبغ نفس ثمر الزيتون لا الزيت وكذا يحتمل أن تكون الباء فى بالدهن للتعدية الا أن يكون الانبات متعديا قال المفسرون انما أضافها الله تعالى الى هذا الجبل لانها منه تشعبت فى البلاد وتفرقت أو لان معظمها هنالك قوله (وان لكم فى الانعام لعبرة) قد مر فى النحل ولعل القصد بالانعام ههنا الابل خاصة لانها هى المحمول عليها فى العادة ولانه قرنها بالفلك وهى سفائن البر كما أن الفلك سفائن البحر وانما قال فى هذه السورة (فواكه كثيرة) بالجمع بخلاف ما فى الزخرف لتناسب قوله هنا منافع كثيرة ولتناسب قوله جنات كما قال هنالك فاكهة على التوحيد لتناسب قوله وتلك الجنة وانما قال هنا فى الموضعين (ومنها تأكلون) بزيادة الواو وخلاف الزخرف لأن تقدير الآية منها تدخرون ومنها تأكلون ومنها تبيعون ومنها ومنها وليس كذلك فاكهة الجنة فانها للاكل فحسب فافهم واعلم أنه لما انجر الكلام الى ذكر الفلك أتبعه قصة نوح لانه أول من ألهم صنعتها وفيه أيضا تمزيج القصص بدلائل التوحيد على عادة القرآن لاجل الاعتبار والتنشيط وقوله (ما لكم من اله غيره) جملة مستأنفة تجرى مجرى التعليل للامر بالعبادة ومعنى (أفلا تتقون) أفلا تخافون أن تتركوا عبادة من هو لوجوب وجوده مستحق العبادة ثم تذهبوا فتعبدوا ما ليس بهذه الصفة بل هو فى أخس مراتب الامكان وهى الجمادية ثم حكى الله سبحانه عنهم شبها الاولى قولهم (ما هذا الا بشر مثلكم) انكار كون الرسول من جنس البشر أو انكار كونه مثلهم فى الاسباب الدنيوية من المال والجاه والجمال كأنهم ظنوا أن القرب من الله يوجب المزية فى هذه الامور ويتأكد هذا الاحتمال بالشبهة الثانية وهى قوله (يريد أن يتفضل عليكم) أى يتكلف طلب الفضل والرياسة عليكم نظيره وتكون لكما الكبرياء فى الارض ويتأكد الاحتمال الاول بالشبهة الثالثة وهى قوله ولو شاء الله لأنزل ملائكة لعلو شأنهم ووفور علمهم وكمال قوتهم وقد حكى هذه الشبهة عن أقوام آخرين فى حم السجدة قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة خص هذه السورة باسم الله على الاصل ولتقدم ذكر الله وخص تلك السورة باسم الرب لتقدم ذكر الرب فى قوله ذلك رب العالمين وهم من جملة العالمين قالوه اما اعتقادا واما استهزاء الشبهة الرابعة الاعتصام بحبل التقليد (ما سمعنا بهذا) أى بمثل هذا الكلام أو بمثل هذا المدعى فيجوز أن يكونوا

صادقين في ذلك الفطرة المتداولة ويجوز أن يكونوا تجاهلوا وتكذبوا لانهماكهم في الغي وتشمرهم لدفع الحق والخام النبي صلى الله عليه وسلم
بأي وجه عكنهم يؤيده الشبهة الخامسة وهي نسبتهم اياه الى الجنون مع علمهم ظاهرا بأنه أرجح الناس عقلا ورزانة قال جار الله الجنة الجنون أو
الجن أي به جن يخبلونه وهذا بناء على زعم العوام أن المجنون ضرب به الجن ثم رتبوا على هذه الشبهة قولهم (فتربصوا به حتى حين) أي اصبروا
عليه الى أن ينكشف جنونه و يفيق أو الى أن يموت أو يقتل وهذه الشبهة من باب الترويج على العوام فانه عليه السلام كان يفعل أفعالا على
خلاف عاداتهم وكان رؤساؤهم يقولون للعوام  انه مجنون لينفروهم عنه وليلبسوا عليهم أمره ويحتمل أن يكون هذا كلاما
مستأنفا وهو أن يقولوا لقومهم
اصبروا فانه ان كان نبيا حقا فالله
ينصره و يقوي أمره فنحن حينئذ
نتبعه وان كان كاذبا فالله يخذله
و يبطل أمره فحينئذ نستريح منه
واعلم أنه سبحانه لم يذكر جواب
شبهاتهم لركاكتها ولانه قد علم في
هذا الكتاب الكريم أجوبتها غير
مرة ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من
السماء ملكا رسولا أرأيتم ان
كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة
من عنده فعميت عليكم أولو كان
آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون
واذا بطل طريقة التقليد صار
حديث التربص ضائعا بل يجب
قبول قول من يدعي النبوة بعد
ظهور المعجزة من غير توقف ثم حكى
أن نوحا عليه السلام لما علم اصرارهم
على الكفر (قال رب انصرني) أي
أهلكهم بسبب تكذيبهم اياي في
نصرته اهلاكهم أو انصرني بدل
تكذيبهم اياي كقولك هذا بذاك
والمراد بدلني من غم التكذيب سلوة
النصرة أو انصرني بانجاز ما كذبوني
فيه وهو وعد العذاب في قوله اني
أخاف عليكم عذاب يوم عظيم و باقي
القصة الى قوله انهم مغرقون قدمر
تفسير مثلها في سورة هود ومعنى فاسلك أدخل فيها وقد مر في أول الحجر في قوله
كذلك نسلكه و (سبق عليه القول) نقيض سبقت لهم منا الحسنى لان على تستعمل في الضار كما أن اللام تستعمل في النافع وقد جاء زيادة
منهم ههنا على الاصل وحذفت في هود لحسن عطف ومن آمن من غير التباس و بشاعة قيل في قوله بأعيننا على الجمع فساد قول المشبهة
ان الله خلق آدم على صورته أما قوله (فاذا استويت) أي ركبت واستوليت (أنت ومن معك على الفلك فقل) لم يقل فقولوا لان أول
الكلام مبني على خطاب نوح ولان قول النبي قول الأمة مع ما فيه من الاشعار بفضله ومن اظهار الكبرياء وان كل أحد لا يليق لخطاب رب

تنبت فقرأته عامة قراء الامصار تنبت بفتح التاء بمعنى تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن وقرأه بعض
قراء البصرة تنبت بضم التاء بمعنى تنبت الدهن تخرجه وذكر أنها في قراءة عبد الله تخرج الدهن
وقالوا الباء في هذا الموضع زائدة كما قيل أخذت ثوبه وأخذت بثوبه وكما قال الراجز

نحن بنو جعدة أرباب الفلج * نضرب بالبيض ونرجو بالفرج

بمعنى ونرجو الفرج والقول عندي في ذلك أنهما لغتان نبت وأنبت ومن أنبت قول زهير

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا أنبت البقل

و يروى نبت وهو كقوله فأسر بأهلك وفاسر غير أن ذلك وان كان كذلك فان القراءة التي لا أختار
غيرها في ذلك قراءة من قرأ تنبت بفتح التاء لاجماع الحجة من القراء عليها ومعنى ذلك تنبت هذه
الشجرة بثمر الدهن كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تنبت بالدهن قال بثمره
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله والدهن الذي هو
من ثمره الزيت كما حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس
قوله تنبت بالدهن يقول هو الزيت يؤكل ويدهن به وقوله وصبغ للآكلين يقول تنبت بالدهن
و بصبغ للآكلين يصطبغ بالزيت الذين يأكلونه كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد في قوله وصبغ للآكلين قال هذا الزيتون صبغ للآكلين يأتدمون به
و يصطبغون به قال أبو جعفر فالصبغ عطف على الدهن ۞ القول في تأويل قوله ﴿وان لكم
في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك
تحملون﴾ يقول تعالى ذكره وان لكم أيها الناس في الأنعام لعبرة تعتبرون بها فتعرفون بها أيادي
الله عندكم وقدرته على ما يشاء وأنه الذي لا يمتنع عليه شيء أراده ولا يعجزه شيء شاءه نسقيكم مما
في بطونها من اللبن الخارج من بين الفرث والدم ولكم مع ذلك فيها يعني في الانعام منافع كثيرة
وذلك كالابل التي يحمل عليها و يركب ظهرها ويشرب درها ومنها تأكلون يعني من لحومها
تأكلون وقوله وعليها وعلى الفلك تحملون يقول وعلى الانعام وعلى السفن تحملون على هذه
في البر وعلى هذه في البحر ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم
اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا نوحا الى قومه داعيهم
الى طاعتنا وتوحيدنا والبراءة من كل معبود سوانا فقال لهم نوح ياقوم اعبدوا الله يقول قال لهم ذلوا
ياقوم لله بالطاعة مالكم من اله غيره يقول مالكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره أفلا تتقون

يقول

العزة وفي الامر بالحمد على هلاكهم تقبيح صورة الظلمة كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وانما جعل سبحانه استواءهم على السفينة نجاة من الغرق جزما لانه كان عرف أن ذلك سبب نجاتهم من الاشتراك مع الظلمة في حكم الاهلاك ثم أمره أن يسأل ما هو أهم أنفع أن ينزله في السفينة بدليل عطف وقل على جزاء فاذا استويت أو ينزله في الارض عند خروجهم من السفينة لانه لا يبعد أن يدعو عند ركوب السفينة بما يتعلق بالخروج منها (منزلا) أي انزالا أو موضع انزال يبارك له فيه بزيادة اعطاء خير الدارين وقد أمره أن يشفع بالدعاء الثناء المطابق للمسئلة وهو قوله (وأنت خير المنزلين) أي انزالا وذلك أنه أقدر (١٣) على الحفظ وأعلم بحال النازل بل كل منزل فانه لا يقدر على ايصال الخير الى النازل الا باقداره وتمكينه والقاء تلك الداعية في قلبه (ان في ذلك) الذي ذكر من القصة (لآيات) لعبرا ودلالات لمن اعتبر وادكر فان اظهار تلك المياه العظيمة والذهاب بها الى مقارها لا يقدر عليها الا القدير الخبير (وان كنا) هي المخففة من الثقيلة واللام في (لمبتلين) هي الفارقة والمعنى وان الشأن والقصة كنا مبتلين أي مصيبين قوم نوح ببلاء الغرق أو مختبرين بهذه الآيات من يخلفهم لننظر من يعتبر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر وقيل المراد كما يعاقب بالغرق من كفر فقد يمتحن به من لم يكفر على وجه المصلحة لا التعذيب فليس الغرق كله على وجه واحد ۞ التأويل الفلاح الظفر والفوز والبقاء أي ظفر المؤمنون بالايمان الحقيقي المقيد بجميع الشرائط بنفوسهم ببذلها في الله وفازوا بالوصول الى الله وبقوا به بعد أن فنوا فيه والخشوع في الظاهر انتكاس الرأس وغض العين واستماع الاذن وقراءة اللسان ووضع اليمين على الشمال كالعبيد واعتدال الظهر في القيام وانحناؤه في الركوع وثبات القدمين والخشوع في الباطن سكون النفس عن الخواطر والهواجس وحضور القلب لمعاني القراءة والاذكار ومراقبة السر بترك الالتفات الى المكونات واستغراق الروح في بحر المحبة وذوبانه عند تجلي صفات الجمال والجلال واللغو كل ما يشغلك عن الله والزكاة تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة بل عن حب الدنيا لانه رأس كل خطيئة الاعلى أزواجهم في كلمة على دلالة على أنهم يجب أن يستولوا على الازواج لا بالعكس الا كن عدوا لهم كقوله ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وعلامة الاستيلاء على الازواج أن يبتغي بالنكاح النسل ورعاية السنة في أوانها لا حظ النفس والا كان متجاوزا طريق الكمال لاماناتهم يعني التي حملها الانسان وعهدهم هو عهد الميثاق

يقول أفلا تخشون بعبادتكم غيره عقابه أن يحل بكم ۞ القول في تأويل قوله (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) يقول تعالى ذكره فقالت جماعة أشراف قوم نوح الذين جحدوا توحيد الله وكذبوه لقومهم ما نوح أيها القوم الا بشر مثلكم انما هو انسان مثلكم وكبعضكم يريد أن يتفضل عليكم يقول يريد أن يصير له الفضل عليكم فيكون متبوعا وأنتم له تبع ولو شاء الله لأنزل ملائكة يقول ولو شاء الله أن لا نعبد شيأ سواه لأنزل ملائكة يقول لأرسل بالدعاء الى ما يدعوكم اليه نوح ملائكة تؤدي اليكم رسالته وقوله ما سمعنا بهذا الذي يدعونا اليه نوح من أنه لا اله لنا غير الله في القرون الماضية وهي آباؤهم الأولون ۞ القول في تأويل قوله (إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرني بما كذبون فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون) يعني تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملا الذين كفروا من قوم نوح ان هو الا رجل به جنة ما نوح الا رجل به جنون وقد يقال أيضا للجن جنة فيتفق الاسم والمصدر وهو من قوله ان هو كناية اسم نوح وقوله فتربصوا به حتى حين يقول فتلبثوا به وتنظروا به حتى حين يقول الى وقت ما ولم يعنوا بذلك وقتا معلوما انما هو كقول القائل دعه الى يوم ما أو الى وقت ما وقوله قال رب انصرني بما كذبون يقول قال نوح داعيا ربه مستنصرا به على قومه لما طال أمره وأمرهم وتمادوا في غيهم رب انصرني على قومي بما كذبون يعني بتكذيبهم اياي فيما بلغتهم من رسالتك ودعوتهم اليه من توحيدك وقوله فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا يقول فقلنا له حين استنصرنا على كفرة قومه اصنع الفلك وهي السفينة بأعيننا يقول بمرأى منا ومنظر ووحينا يقول وبتعليمنا اياك صنعتها فاذا جاء أمرنا يقول فاذا جاء قضاؤنا في قومك بعذابهم وهلاكهم وفار التنور وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف المختلفين في صفة فور التنور والصواب عندنا من القول فيه بشواهده بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع فاسلك فيها من كل زوجين اثنين يقول فأدخل في الفلك واحمل والهاء والالف في قوله فيها من ذكر الفلك من كل زوجين اثنين يقال سلكته في كذا وأسلكته فيه ومن سلكته قول الشاعر

وكنت لزاز خصمك لم أعرد ۞ وقد سلكوك في يوم عصيب

وبعضهم يقول أسلكت بالالف ومنه قول الهذلي

حتى اذا أسلكوهم في قتائدة ۞ شلا كما تطرد الجمالة الشردا

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاسلك فيها من كل زوجين اثنين يقول لنوح اجعل في السفينة من كل زوجين اثنين وأهلك وهم ولده ونساؤهم الا من سبق عليه القول من الله بأنه هالك فيمن يهلك من قومك فلا تحمله معك وهو يام الذي غرق ويعني بقوله منهم من أهلك والهاء والميم في قوله منهم من ذكر الأهل وقوله ولا تخاطبني الآية يقول ولا تسألني في الذين كفروا بالله أن أنجيهم انهم مغرقون يقول فاني قد حتمت عليهم أن أغرق جميعهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فاذا اعتدلت في السفينة أنت ومن معك ممن حملته معك من أهلك راكبا فيها عاليا فوقها فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين يعني من المشركين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه نوح عليه السلام وقل اذا سلمك الله وأخرجك من الفلك فنزلت عنها رب أنزلني منزلا من الارض مباركا وأنت خير من أنزل عباده المنازل * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله منزلا مباركا قال لنوح حين نزل من السفينة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار رب أنزلني منزلا مباركا بضم الميم وفتح الزاي بمعنى أنزلني انزالا مباركا وقرأ عاصم منزلا بفتح الميم وكسر الزاي بمعنى أنزلني مكانا مباركا وموضعا وقوله ان في ذلك لآيات يقول تعالى ذكره ان فيما فعلنا بقوم نوح يا محمد من اهلاكناهم اذ كذبوا رسلنا وجحدوا وحدانيتنا وعبدوا الآلهة والأصنام لعبرا لقومك من مشركي قريش وعظات وحججا لنا عليهم يستدلون بها على سنتنا في أمثالهم فينزجروا عن كفرهم ويرتدعوا عن تكذيبك حذرا أن يصيبهم مثل الذي أصابهم من العذاب وقوله وان كنا لمبتلين يقول تعالى ذكره وكنا مختبريهم بتذكيرنا اياهم بآياتنا لننظر ما هم عاملون قبل نزول عقوبتنا بهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون﴾ يقول تعالى ذكره ثم أحدثنا من بعد مهلك قوم نوح قرنا آخرين فأوجدناهم فأرسلنا فيهم رسولا منهم داعيا لهم أن اعبدوا الله يا قوم وأطيعوه دون الآلهة والاصنام

فان

---

في الازل يحافظون الفرق بين المحافظة والخشوع أن الخشوع معتبر في نفس الصلاة والمحافظة معتبرة فيها وفيما قبلها من الشرائط وفيما بعدها وهو أن لا يفعل ما يحبطها ويضيعها الوارثون لانهم أحياء القلوب وقد نالوا من المراتب ما خلفتها أموات القلوب من سلالة لانه سل من جميع أجزاء الارض فلذا تختلف الالوان والاخلاق حسب اختلاف أجزاء الطين بل بحسب اختلاف المركبات من الطين ففيه حرص الفأرة والنملة وشهوة الحمار والعصفور وغضب الفهد والاسد وكبر النمر وبخل الكلب وشره الخنزير وحقد الحية وغير ذلك من الصفات الذميمة وفيه شجاعة الاسد وسخاوة الديك وقناعة البوم وحلم الجمل وتواضع الهرة ووفاء الكلب وبكور الغراب وهمة البازي ونحوها من الاخلاق الحميدة فتبارك الله أحسن الخالقين لانه خلق أحسن المخلوقين أما من حيث الصورة فلانه تعالى خلق من نطفة متشابهة الاجزاء بدنا تختلف الابعاض والاعضاء كاللحم والشحم والعظم والشعر والظفر والعصب والعروق والمخ والانف والفم واليد والرجل وغيرها مما يشهد لبعضها علم التشريح وأما من حيث المعنى فلانه خلق الانسان مستعدا لحمل الامانة التي أبى حملها السموات والارض والجبال وسيجيء تحقيق ذلك في موضعه ثم انكم بعد ذلك لميتون الى قوله تبعثون فيه أن الانسان قابل لموت القلب ولموت النفس ولحشرهما وفي موت أحدهما حياة الآخر وحشره وموت القلب عبارة عن انغماسه وتستره في حجب الغواشي الآتية عليه من طرق الحواس الظاهرة وحاستي الوهم والخيال فلذلك قال ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق هي الاغشية والحجب من الجهات المذكورة وما كنا عن مصالح الخلق غافلين فلا نترك العبد في تلك الحجب بدليل قوله وأنزلنا من السماء سماء العناية ماء الرحمة بقدر استعداد السالك فأسكناه في أرض وجوده فأنشأنا لكم به جنات من نخيل المعارف وأعناب الكشوف وشجرة الخفي الذي يخرج من طور سيناء الروح بتأثير تجلي أنوار الصفات تنبت بدهن حسن الاستعداد لقبول الفيض الالهي بلا واسطة لانه سر بين الله وبين الروح وصبغ لآكل الكونين بقوة الهمة ثم أخبر عن نعم الغالب أن فيها منافع لانها آلة تحصيل الكمال وعليها وعلى فلك الشريعة في سفر السير الى الله تحملون وتأويل قصة نوح قد مر في سورة هود والله أعلم ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل

مماتأ كلون منه ويشرب مماتشربون ولئن أطعتم بشرامثلكم انكم اذا لخاسرون أيعدكم أنكم اذامتم وكنتم تراباوعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لماتوعدون ان هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين ان هو الارجل افترى على الله كذبا ومانحن له بمؤمنين قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ماتسبق من أمة أجلها ومايستأخرون ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لايؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى (١٥) فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين

فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم فى غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لايشعرون) ۞ القراآت هيهات هيهات بكسر التاء فيهما يزيد والوقف بالتاء لاغير وهو الصحيح عنه وروى ابن وردان عنه بالكسر والتنوين فيهما الباقون بفتح التاء فيهما فى الحالين الا الكسائى فانه يقف بالهاء تترا بالتنوين ابن كثير وأبو عمرو ويزيد والوقف بالألف لاغير الباقون بالياء فى الحالين وأن هذه بفتح الهمزة وسكون النون ابن عامر وان بالكسر والتشديد عاصم وحمزة وعلى وخلف الآخرون وأن بالفتح والتشديد زبرا بفتح الباء عباس الآخرون بضمها ۞ الوقوف آخرين ٥ ج للآية مع الفاء

واتصال المعنى غيره ط يتقون ٥ الدنيا لا لأن مابعده مقول القول مثلكم لا لأن مابعده صفة بشر تشربون د لخاسرون ٥ مخرجون ٥ لماتوعدون ٥ بمبعوثين ٥ لان الكل مقول الكفار وباب رخصة الضرورة وجواز اتيان الآية مفتوح بمؤمنين ٥ ط بما كذبون ٥ نادمين ج ٥ للآية مع حسن الوصل تصديقا لقوله عما غثاء ط تفخيما للكلمة التبعيدية بالابتداء مع فاء التعقيب الظالمين ٥ آخرين ٥ ط لان الجملة ليست بصفة لها الان العجز عن سبق الاجل لايختص بهم يستأخرون ٥ ط لان ثم لترتيب الاخبار تترا ط منونا قرئ أو لا للابتداء بكلما أحاديث ج لماذكر فى غثاء لايؤمنون ٥ مبين ٥ لا لتعلق الجار عالين ٥ ج للآية مع

فان العبادة لاتنبغى إلا له مالكم من إله غيره يقول مالكم من معبود يصلح أن تعبدوا سواه أفلا تتقون أفلا تخافون عقاب الله بعبادتكم شيأ دونه وهو الاله الذى لا اله لكم سواه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ماهذا إلا بشر مثلكم يأكل مماتأكلون منه ويشرب مماتشربون) يقول تعالى ذكره وقالت الاشراف من قوم الرسول الذى أرسلنا بعد نوح وعنى بالرسول فى هذا الموضع صالحا وبقومه ثمود الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة يقول الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا بلقاء الآخرة يعنى كذبوا بلقاء الله فى الآخرة وقوله وأترفناهم فى الحياة الدنيا يقول ونعمناهم فى حياتهم الدنيا بما وسعنا عليهم من المعاش وبسطنا لهم من الرزق حتى بطروا وعتوا على ربهم وكفروا ومنه قول (١) الراجز * ولقد أرانى بالديار مترفا * وقوله ماهذا الا بشر مثلكم يقول قالوا بعث الله صالحا الينا رسولا من بيننا وخصه بالرسالة دوننا وهو انسان مثلنا يأكل مما نأكل منه من الطعام ويشرب مما نشرب وكيف لم يرسل ملكا من عنده يبلغنا رسالته قال ويشرب مماتشربون معناه مماتشربون منه فحذف من الكلام منه لأن معنى الكلام ويشرب من شرابكم وذلك أن العرب تقول شربت من شرابك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون أيعدكم أنكم اذامتم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملا من قوم صالح لقومهم ولئن أطعتم بشرا مثلكم فاتبعتموه وقبلتم مايقول وصدقتموه انكم أيها القوم اذا لخاسرون يقول قالوا انكم اذا لمغبونون حظوظكم من الشرف والرفعة فى الدنيا باتباعكم اياه قوله أيعدكم أنكم اذامتم وكنتم ترابا وعظاما الآية يقول تعالى ذكره قالوا لهم أيعدكم صالح أنكم اذامتم وكنتم ترابا فى قبوركم وعظاما قد ذهبت لحوم أجسادكم وبقيت عظامها أنكم مخرجون من قبوركم أحياء كما كنتم قبل مماتكم وأعيدت أنكم مرتين والمعنى أيعدكم أنكم اذامتم وكنتم ترابا وعظاما مخرجون مرة واحدة لما فرق بين أنكم الاولى وبين خبرها باذا وكذلك تفعل العرب بكل اسم أوقعت عليه الظن وأخواته ثم اعترضت بالجزاء دون خبره فتكرر اسمه مرة وتحذفه أخرى فتقول أظن أنك ان جالستنا أنك محسن فان حذفت أنك الاولى أو الثانية صلح وان أثبتهما صلح وان لم تعترض بينهما بشئ لم يجز خطأ أن يقال أظن أنك أنك جالس وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله أيعدكم اذامتم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (هيهات هيهات لماتوعدون ان هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول الملا من ثمود أنهم قالوا هيهات هيهات أى بعيد ماتوعدون أيها القوم من أنكم

(١) لعله الشاعر تأمل كتبه مصححه

الفاعلون ○ ج لذلك المهلكين ○ يهتدون ○ ومعين ○ صالحا ط عليم ○ط لمن قرأ وان بالكسر فاتقون ○ زبرا ط فرحون ○ حين ○ وبنين ○لا لأن نسارع مفعول ثان لحسبان الخيرات ط لايشعرون ○ ۞ التفسير عن ابن عباس وأكثر المفسرين ان هذه القرون هم عاد قوم هود لمجيء قصتهم على أثر قصة نوح في غير هذا الموضع ولقوله تعالى في الاعراف واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقيل انهم ثمود لانهم أهلكوا بالصيحة وقد قال الله تعالى في هذه القصة فأخذتهم الصيحة ومعنى (فأرسلنا فيهم) جعلناهم موضع ارسال والا فلفظة أرسل



لاتعدى الا بالى وضمن الارسال معنى القول ولهذا جيء بأن المفسرة أي قلنا لهم على لسان الرسول (اعبدوا الله) قال بعضهم قوله أفلا تتقون غير موصول بما قبله وانما قاله لهم بعد أن كذبوه وردوا عليه الحجة والجمهور على أنه موصول لأنه دعاهم الى الله وحذرهم عقابه ان لم يقبلوا قوله ولم يتركوا عبادة الاوثان قال جار الله انما قال في هذه السورة وقال الملأ بالواو وفي الاعراف قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة بغير واو ومثله في سورة هود قالوا ياهود ماجئتنا ببينة لانه بني الامر في ذينك الموضعين على تقدير سؤال سائل وفي هذه السورة أراد أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل فعطف قولهم على قوله وقال السكاكي صاحب المفتاح انما قدم الجار والمجرور أعني قوله من قومه على وصف الملأ وهم الذين كفروا لطول الصلة بالمعطوفات ولانه لو أخر لأوهم أن قوله (من قومه) متعلق بالدنيا ومعنى لقاء الآخرة لقاء مافيها من الحساب والثواب والعقاب (و)معنى (أترفناهم) أنعمناهم بحيث شغلوا بالدنيا عن الاخرى وقوله (مما تشربون) أي من الذي تشربونه فحذف الضمير أو حذف منه لدلالة ماقبله عليه ثم أكدوا شبهتهم أن الرسول لايكون من جنس البشر بقولهم (ولئن أطعتم) واذن واقع في جزاء الشرط وجواب لقومهم أي انكم اذا قبلتم قول مثلكم وأطعتموه خسرتم عقولكم وأبطلتم آراءكم اذ لا ترجيح لبعض البشر على بعض في معنى الدعوة الى طريق مخصوص هذا بيان كفرهم ثم بين تكذيبهم بلقاء الآخرة وطعنهم في الحشر بقوله (أيعدكم) الآية قال جار الله ثنى أنكم للتوكيد وحسن ذلك الفصل بالظرف ومخرجون خبر الاول أو أنكم مخرجون مبتدأ معناه اخراجكم وخبره اذا متم والجملة خبر الاول أو أنكم مخرجون في تقدير وقع اخراجكم وهذه الجملة الفعلية جواب اذا والجملة الشرطية خبر الاول وفي حرف ابن مسعود أيعدكم اذا متم ثم أكدوا الاستفهام الانكاري

---

بعد موتكم ومصيركم ترابا وعظاما مخرجون أحياء من قبوركم يقولون ذلك غير كائن * وبنحو ماقلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله هيهات هيهات يقول بعيد بعيد حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله هيهات هيهات لما توعدون قال يعني البعث والعرب تدخل اللام مع هيهات في الاسم الذي يصحبها وتنزعها منه تقول هيهات لك هيهات وهيهات ماتبتغي هيهات واذا أسقطت اللام رفعت الاسم بمعنى هيهات كأنه قال بعيد ماينبغي لك كما قال جرير

فهيهات هيهات العقيق ومن به * وهيهات خل بالعقيق نواصله

كأنه قال العقيق وأهله وانما أدخلت اللام مع هيهات في الاسم لانهم قالوا هيهات أداة غير مأخوذة من فعل فأدخلوا معها في الاسم اللام كما أدخلوها مع هلم لك اذ لم تكن مأخوذة من فعل فاذا قالوا أقبل لم يقولوا لك لاحتمال الفعل ضمير الاسم * واختلف أهل العربية في كيفية الوقف على هيهات فكان الكسائي يختار الوقوف فيها بالهاء لانها منصوبة وكان الفراء يختار الوقوف عليها بالتاء ويقول من العرب من يخفض التاء فدل على أنها ليست بهاء التأنيث فصارت بمنزلة دراك ونظار وأما نصب التاء فيهما فلانهما أداتان فصارتا بمنزلة خمسة عشر وكان الفراء يقول ان قيل ان كل واحدة مستغنية بنفسها يجوز الوقوف عليها وان نصبها كنصب قوله ثمت جلست وبمنزلة قول الشاعر

(١) ياربتما غارة * شعواء كاللذعة بالميسم

قال فنصب هيهات بمنزلة هذه الهاء التي في ربت لانها دخلت على حرف على رب وعلى ثم وكانا أداتين فلم تغيرهما عن أداتهما فنصبا * واختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته قراء الأمصار غير أبي جعفر هيهات هيهات بفتح التاء فيهما وقرأ ذلك أبو جعفر هيهات هيهات بكسر التاء فيهما والفتح فيهما هو القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله ان هي الا حياتنا الدنيا يقول ماحياة الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا يقول تموت الاحياء منا فلا تحيا ويحدث آخرون منا فيولدون أحياء ومانحن بمبعوثين يقول قالوا ومانحن بمبعوثين بعد الممات كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين قال يقول ليس آخرة ولا بعث يكفرون بالبعث يقولون انما هي حياتنا هذه ثم نموت ولا نحيا يموت هؤلاء ويحيا هؤلاء يقولون انما الناس كالزرع يحصد هذا وينبت هذا يقولون يموت هؤلاء ويأتي

آخرون

(١) صدره كما في اللسان ماوي ياربتما الخ كتبه مصححه

آخرون وقرأ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد وقرأ لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتبعثن ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين﴾ يقول تعالى ذكره قالوا ما صالح الا رجل اختلق على الله كذبا في قوله ما لكم من اله غيره الله وفي وعده اياكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون وقوله هو من ذكر الرسول وهو صالح وما نحن له بمؤمنين يقول وما نحن له بمصدقين فيما يقول انه لا اله لنا غير الله وفيما يعدنا من البعث بعد الممات وقوله قال رب انصرني بما كذبون يقول قال صالح لما أيس من ايمان قومه بالله ومن تصديقهم اياه بقولهم وما نحن له بمؤمنين رب انصرني على هؤلاء بما كذبون يقول بتكذيبهم اياي فيما دعوتهم اليه من الحق فاستغاث صلوات الله عليه بربه من أذاهم اياه وتكذيبهم له فقال الله مجيبا في مسئلته اياه ما سأل عن قليل يا صالح ليصبحن مكذبوك من قومك على تكذيبهم اياك نادمين وذلك حين تنزل بهم نقمتنا فلا ينفعهم الندم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره فانتقمنا منهم فأرسلنا عليهم الصيحة فأخذتهم بالحق وذلك أن الله عاقبهم باستحقاقهم العقاب منه بكفرهم به وتكذيبهم رسوله فجعلناهم غثاء يقول فصيرناهم بمنزلة الغثاء وهو ما ارتفع على السيل ونحوه كما لا ينتفع به في شئ فانما هذا مثل والمعنى فأهلكناهم فجعلناهم كالشئ الذي لا منفعة فيه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين يقول جعلوا كالشئ الميت البالي من الشجر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد غثاء كالرميم الهامد الذي يحتمل السيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فجعلناهم غثاء قال كالرميم الهامد الذي يحتمل السيل حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فجعلناهم غثاء قال هو الشئ البالي حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فجعلناهم غثاء قال هذا مثل ضربه الله وقوله فبعدا للقوم الظالمين يقول فأبعد الله القوم الكافرين بهلاكهم اذ كفروا بربهم وعصوا رسله وظلموا أنفسهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد

---

بقولهم هيهات ومعناه بعد وهو اسم هذا الفعل وفي التكرير تأكيد آخر وكذا في اضمار الفاعل وتبيينه بقوله لما توعدون قال جار الله اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به وقال الزجاج هو في تقدير المصدر أي البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون فيمن نون ثم بين اتراقهم بأنهم قالوا (ان هي الا حياتنا) أي الا هذه الحياة لان ان النافية دخلت على هي العائدة الى الحقيقة الذهنية فنفت ما بعدها نفي الجنس وقد مر في الانعام وانما زيد في هذه السورة قوله (نموت ونحيا) لان هذه الزيادة لعلها وقعت في كلام هؤلاء دون كلام أولئك ولم يريدوا بهذا الكلام أنفس المتكلمين وحدهم بل أرادوا أنه يموت بعض ويولد بعض وينقرض قرن ويأتي قرن آخر ولو أنهم اعتقدوا أنهم يحيون بعد الموت لم يتوجه عليهم ذم ولناقضه قولهم وما نحن بمبعوثين ثم حكى أنهم زعموا أن كل ما يدعيه هود من الاستنباء وحديث البعث وغيره افتراء على الله وأنهم لا يصدقونه البتة فلا جرم (قال) هود داعيا عليهم كما دعا نوح على قومه (رب انصرني بما كذبون قال) الله مجيبا له (عما قليل) أي عن زمان قليل قصير (ليصبحن) جعل صيرورتهم (نادمين) دليلا على اهلاكهم لانه علم أنهم لا يندمون الا عند ظهور سلطان العذاب ووقوع أماراته وذلك وقت ايمان اليأس وزيادة ما للتوكيد قصر المدة و(الصيحة) صيحة جبريل كما سلف في الاعراف وفي هود ومعنى (بالحق) بالعدل كقولك فلان يقضي بالحق وعلى أصول الاعتزال بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك والغثاء حميل السيل مما بلي واسود من الاوراق والعيدان وغيرها شبههم بذلك في دمارهم أو في احتقارهم أو في قلة الاعتناء بهم وفي ضمن ذلك تشبيه استيلاء العذاب عليهم باستيلاء السيل على الغثاء يقلبه كيف يشاء ثم دعا عليهم بالهلاك في الدارين بقوله (فبعدا للقوم الظالمين) كما مر في سورة هود وفيه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم وعرف الظالمين لكونهم مذكورين صريحا بخلاف ما يجيء من قوله فبعدا لقوم لا يؤمنون لانهم غير مذكورين الا بطريق الاجمال وذلك قوله (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) والظاهر أنهم قوم صالح ولوط وشعيب كما ورد في قصصهم على هذا الترتيب في الاعراف وفي هود وغيرهما وعن ابن عباس أنهم بنو اسرائيل والمعنى انا بعدما أخلينا الديار من المكلفين أنشأناهم وبلغناهم حد التكليف حتى قاموا مقام من كانوا قبلهم ثم بين كمال علمه وقدرته في شأن المكلفين بقوله (ما تسبق من أمة) أي كل طائفة مجتمعة في قرن لها آجال مكتوبة في الحياة وفي الموت

بالهلاك أوانه الهلاك لا يتقدمها ولا يتأخر عنها وفيه أن المقتول ميت بأجله وقال الكعبي معنى الآية أنهم لا يتقدمون وقت عذابهم ان لم
يؤمنوا ولا يتأخرون عنه ولا يستأصلهم الا اذا علم منهم أنهم لا يزدادون الا العناد وأنهم لا يلدون مؤمنا وأنه لا نفع في بقائهم لغيرهم ولا ضرر
على أحد في هلاكهم ثم بين أن رسل الله كانوا بعد هذه القرون متواترين وأن شأنهم في التكذيب كان واحدا وكانت سنة الله فيهم باتباع
بعضهم بعضا في الاهلاك والتاء في تترى بدل من الواو في الوتر وهو الفرد أي أرسلناهم واحدا بعد واحد والرسول يلابس المرسل والمرسل
اليه جميعا فلذلك جاء في القرآن رسلنا ورسلهم



ورسولها وأحاديث يكون اسم جمع للحديث أو جمعا له من غير لفظه ومنه

قال أولئك ثمود يعني قوله فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) يقول تعالى ذكره ثم أحدثنا من بعد هلاك ثمود قوما آخرين وقوله ما تسبق من أمة أجلها يقول ما يتقدم هلاك أمة من تلك الامم التي أنشأناها بعد ثمود قبل الأجل الذي أجلنا لهلاكها ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذي أجلنا لهلاكها والوقت الذي وقتنا لفنائها ولكنها تهلك لمجيئه وهذا وعيد من الله لمشركي قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واعلام منه لهم أن تأخيره في آجالهم مع كفرهم به وتكذيبهم رسوله ليبلغوا الأجل الذي أجل لهم فيحل بهم نقمته كسنته فيمن قبلهم من الامم السالفة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون) يقول تعالى ذكره ثم أرسلنا الى الأمم التي أنشأنا بعد ثمود رسلنا تترى يعني يتبع بعضها بعضا وبعضها في أثر بعض وهي من المواترة وهي اسم لجمع مثل شئ لا يقال جاءني فلان تترى كما لا يقال جاءني فلان مواترة وهي تنون ولا تنون وفيها الياء فمن لم ينونها فهي فعلى من وترت ومن قال تترا يوهم أن الياء أصلية كما قيل معزى بالياء ومعزا وبهمى وبهما ونحو ذلك فأجريت أحيانا وترك اجراؤها أحيانا فمن جعلها فعلى وقف عليها أشار الى الكسر ومن جعلها ألف اعراب لم يشر لان ألف الاعراب لا تكسر لا يقال رأيت زيدا فيشار فيه الى الكسر ۞ وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثم أرسلنا رسلنا تترى يقول يتبع بعضها بعضا حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ثم أرسلنا رسلنا تترى يقول بعضها على أثر بعض حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تترى قال اتباع بعضها بعضا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ثم أرسلنا رسلنا تترى قال يتبع بعضها بعضا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم أرسلنا رسلنا تترى قال بعضهم على أثر بعض يتبع بعضهم بعضا ۞ واختلفت قراء الأمصار في قراءة ذلك فقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة وبعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة تترا بالتنوين وكان بعض أهل مكة وبعض أهل المدينة وعامة قراء الكوفة يقرؤنه تترى بارسال الياء على مثال فعلى والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان في كلام العرب

يعني

أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون جمعا للاحدوثة من لفظها كالاضحوكة والاعجوبة وهو المراد من الآية أي جعلناهم أخبارا يسمعونها ويتعجب منها لانهم استؤصلوا فلم يبق فيهم عين ولا أثر سوى الحكاية ثم ذكر طرفا من قصة موسى عليه السلام عن الحسن بآياتنا أي بديننا كيلا يلزم منه تكرار لان السلطان المبين هو المعجز والاقرب قول ابن عباس أنها الآيات التسع لان الآيات عند ذكر الرسل يراد بها المعجزات في عرف القرآن والسلطان هو العصا لانها كانت أم آياته وأقدمها فخصت بالذكر لشرفها وقوة دلالتها ويجوز أن يراد أنها آيات في أنفسها وحجة بينة بالنسبة الى المتحدين بها أو يراد به تسلط موسى عليه السلام في الاستدلال على الصانع وأنه ما كان يقيم لهم وزنا ثم حكى عن فرعون وقومه صفتهم وشبهتهم أما الصفة فهي الاستكبار والعلو أي طلبوا الكبر وتكلفوه واستنكفوا عن قبول الحق وكانوا مع ذلك رفيعي الحال في أمور الدنيا غالبين قاهرين مستظهرين بالعدد والعدد وأما الشبهة فهي انكار كون الرسول من جنس البشر ولا
سيما اذا كان قومهما وهم بنو اسرائيل خدما وعبيدا لهم قال أبو عبيدة العرب تسمي كل من دان للملك
عابدا له ويحتمل أن يقال انه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم عبادة على الحقيقة والبشر يقع على الواحد وعلى الجمع
والمثل يوصف به الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث ويقال أيضا هما مثلاه وهم أمثاله ثم بين أنه لما خطرت هذه الشبهة ببالهم صرحوا
بالتكذيب فأهلكوا لذلك وكانوا في حكم الله وعلمه كذلك ثم حكى ما جرى على قوم موسى بعد اهلاك عدوهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي
التوراة (لعلهم يهتدون) ومن الناس من ظن أن هذا الضمير راجع الى فرعون وملئه والمعنى أنه خص موسى بالكتاب لا للتكذيب ولكن

ليهتدوا به لما أصروا على الكفر مع البيان العظيم استحقوا الاهلاك وهو وهم لأن موسى لم يؤت التوراة الا بعد اهلاك القبط بدليل قوله ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى وفي قوله في أول البقرة وإذ نجيناكم من آل فرعون الى قوله وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة والقصة مشهورة فالصحيح أنه ذكر موسى وأراد قومه كما يقال هاشم وثقيف ويراد قومهم نظيره على خوف من فرعون وملئهم وقد مر في آخر يونس ثم أجمل قصة عيسى بقوله (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) وقد مر بيانه في آخر الانبياء في قوله وجعلناها وابنها آية للعالمين قال جار الله لو قيل آيتين لجاز لأن مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله (١٩) ألقى اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات أخر واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها والأقرب حمل اللفظ على الوجه الذي لا يتم الا بمجموعهما وهو الولادة على الوجه العجيب الناقض للعادة والربوة بحركات الراء هي الارض المرتفعة عن كعب وقتادة وأبي العالية هي ايليا أرض بيت المقدس وأنها كبد الارض وأقرب الى السماء بثمانية عشر ميلا وعن الحسن فلسطين والرملة ومثله عن أبي هريرة قال الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله وقال الكلبي وابن زيد هي مصر والأكثرون على أنها دمشق وغوطتها والقرار المستقر من أرض منبسطة مستوية وعن قتادة أراد ذات ثمار وماء يعني لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض من عانه اذا أدركه بعينه فوزنه معيون على مفعول وقال الفراء والزجاج ان شئت جعلته فعيلا من الماعون وهو ما سهل على معطيه من أثاث البيت ومثله قول أبي علي المعين السهل الذي ينقاد ولا يتعاصى وقال جار الله ووجه من جعله فعيلا أنه نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة قال المفسرون سبب الايواء أنها فرت بابنها عيسى الى الربوة وبقيت بها اثنتي عشرة سنة وانما ذهب بها ابن عمها يوسف ثم رجعت الى أهلها بعد ما مات ملكهم قوله سبحانه (يا أيها الرسل) ليس على ظاهره لأنهم أرسلوا في أزمنة مختلفة وفي تأويله وجوه أحدها الاعلام بأن كل رسول في زمانه نودي بذلك ووصي به ليعتقد السامع أن أمرا نودي له جميع الرسل حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه ويؤيد هذا التأويل ما روي عن أم عبد الله أخت شداد بن أوس أنها بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح من لبن في شدة الحر عند فطره صلى الله عليه وسلم وهو صائم فرده الرسول اليها وقال من أين لك هذا فقالت

يعني واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أني مع ذلك أختار القراءة بغير تنوين لأنها أفصح اللغتين وأشهرهما وقوله كلما جاء أمة رسولها كذبوه يقول كلما جاء أمة من تلك الامم التي أنشأناها بعد ثمود رسولها الذي نرسله اليهم كذبوه فيما جاءهم به من الحق من عندنا وقوله فأتبعنا بعضهم بعضا يقول فأتبعنا بعض تلك الامم بعضا بالهلاك فأهلكنا بعضهم في إثر بعض وقوله وجعلناهم أحاديث للناس ومثلا يتحدث بهم في الناس والاحاديث في هذا الموضع جمع أحدوثة لأن المعنى ما وصفت من أنهم جعلوا للناس مثلا يتحدث بهم وقد يجوز أن يكون جمع حديث وانما قيل وجعلناهم أحاديث لأنهم جعلوا حديثا ومثلا يتمثل بهم في الشر ولا يقال في الخير جعلته حديثا ولا أحدوثة وقوله فبعدا لقوم لا يؤمنون يقول فأبعد الله قوما لا يؤمنون بالله ولا يصدقون برسوله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين﴾ يقول تعالى ذكره ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصف صفتهم قبل هذه الآية موسى وأخاه هرون الى فرعون وأشراف قومه من القبط بآياتنا يقول بحججنا فاستكبروا عن اتباعها والايمان بما جاءهم به من عند الله وكانوا قوما عالين يقول وكانوا قوما عالين على أهل ناحيتهم ومن في بلادهم من بني اسرائيل وغيرهم بالظلم قاهرين لهم وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكانوا قوما عالين قال علوا على رسلهم وعصوا ربهم ذلك علوهم وقرأ تلك الدار الآخرة الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾ يقول تعالى ذكره فقال فرعون وملؤه أنؤمن لبشرين مثلنا فنتبعهما وقومهما من بني اسرائيل لنا عابدون يعنون أنهم لهم مطيعون متذللون يأتمرون لأمرهم ويدينون لهم والعرب تسمي كل من دان لملك عابدا له ومن ذلك قيل لاهل الحيرة العباد لأنهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال فرعون أنؤمن لبشرين مثلنا الآية نذهب نرفعهم فوقنا ونكون تحتهم ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا كيف نصنع ذلك وذلك حين أتوهم بالرسالة وقرأ وتكون لكما الكبرياء في الارض قال العلو في الأرض وقوله فكذبوهما فكانوا من المهلكين يقول فكذب فرعون وملؤه موسى وهرون فكانوا ممن أهلكهم الله كما أهلك من قبلهم من الامم بتكذيبها رسلها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ۞ وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا

من شاة لى ثم ردتم وقال من أين هـذه الشاة فقالت اشتريتها بمالى فأخـذه ثم انها جاءته وقالت يارسول الله لم رددته فقال صلى الله عليه وسلم بذلك أمرت الرسل أن لا تأكل الا طيبا ولا تعمل الا صالحا وثانيها وهو قول محمد بن جرير أن المراد به عيسى وقد خاطب الواحد خطاب الجمع لشرفه وكقوله الذين قال لهم الناس والمراد نعيم بن مسعود ووقع هذا الاعلام عندايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أى آويناهما وقلنا لهما هذا أى أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا الكلام فكلا مما رزقنا كما واعملا عملا صالحا اقتداء بالرسل وثالثها وهو الاظهر عندى أن المراد نبينا صلى الله عليه (٣٠) وسلم لانه ذكر ذلك بعد انقضاء أخبار الرسل ووجه اتصال الكلام بما بعده ظاهر كما نقرره ووجه اتصاله بما قبله هو انتهاء الكلام الى ذكر المستلذ وبالحقيقة المراد به الامة كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء والطيب ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه أو هو الحلال وقيل طيبات الرزق حلال لا يعصى الله فيه وصاف لا ينسى الله فيه وقوام يمسك النفس ويحفظ العقل وفى تقديم الاكل من الطيبات على الامر بالعمل الصالح دليل على أن العمل الصالح لا بد أن يكون مسبوقا بأكل الحلال وفى قوله (انى بما تعملون عليم) تحذير من مخالفة هذا الامر وقال فى سورة سبا انى بما تعملون بصير وكلاهما من أسمائه تعالى الا انه ورده هنا على الاصل لان العلم أعم وهنالك راعى الفاصلة أو خصص لان الخطاب مخصوص بآل داود ومن قرأ وان بالكسر فعلى الاستئناف ومن قرأ بالفتح مخففا ومشددا فعلى حذف لام التعليل والمعلل فاتقون ثم من قال الخطاب لجميع الرسل فالمشار اليه بهذه هو أصول الاديان والشرائع التى لا خلاف فيها بين الرسل وجملتها تقوى الله كما ختم به الآية والضمير فى تقطعوا راجع الى أممهم قال الكلبى ومقاتل والضحاك يعنى مشركى مكة والمجوس واليهود والنصارى ومن قال الخطاب لعيسى فهذه اشارة الى ملته فى وقتها وعلى القول الاظهر بل على جميع الاقوال المشار اليه ملة الاسلام كما مر مثله فى آخر سورة الانبياء كانه أمر هنالك بالعبادة التى هى أعم ثم أمر بالتقوى التى هى أخص ولهذا قال (فتقطعوا) بالفاء ليتوجه الذم أتم فان المأتى به كلما كان أبعد من المأمور به كان سبب الذم أقوى فلا يكون ترتب التقطع على التقوى كترتبه على العبادة ولهذا أكد التقطع بقوله (زبرا) بضم الباء جمع زبور أى حال كونه كتبا مختلفة يعنى جعلوا دينهم أديانا ومذاهب شتى ومن قرأ بفتح الباء فعناه قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد ثم أكد الذم بقوله (كل حزب بما) أى كل فريق منهم

---

موسى التوراة ليهتدى بها قومه من بنى اسرائيل ويعملوا بما فيها وجعلنا ابن مريم وأمه آية يقول وجعلنا ابن مريم وأمه حجة لنا على من كان بينهم وعلى قدرتنا على انشاء الاجسام من غير أصل كما أنشأنا خلق عيسى من غير أب كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وجعلنا ابن مريم وأمه قال ولدته من غير أب هو له ولذلك وحدت الآية وقد ذكر مريم وابنها وقوله وآويناهما الى ربوة يقول وضممناهما وصيرناهما الى ربوة يقال أوى فلان الى موضع كذا فهو يأوى اليه اذا صار اليه وعلى مثال أفعلته فهو يؤويه وقوله الى ربوة يعنى الى مكان مرتفع من الارض على ما حوله ولذلك قيل للرجل يكون فى رفعة من قومه وعز وشرف وعدد هو فى ربوة من قومه وفيها لغتان ضم الراء وكسرها اذا أريد بها الاسم واذا أريد بها الفعلة من المصدر قيل ربا ربوة ✻ واختلف أهل التأويل فى المكان الذى وصفه الله بهذه الصفة وآوى اليه مريم وابنها فقال بعضهم هو الرملة من فلسطين ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا صفوان بن عيسى قال ثنا بشر بن رافع قال ثنى ابن عم لابى هريرة يقال له أبو عبد الله قال قال لنا أبو هريرة الزموا هذه الرملة من فلسطين فانها الربوة التى قال الله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين حدثنى عصام بن رواد بن الجراح قال ثنا أبى قال ثنا عباد أبو عتبة الخواص قال ثنا يحيى بن أبى عمرو السيبانى عن ابن وعلة عن كريب قال ما أدرى ما حدثنا مرة البهزى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر أن الربوة هى الرملة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن بشر بن رافع عن أبى عبد الله ابن عم أبى هريرة قال سمعت أبا هريرة يقول فى قول الله الى ربوة ذات قرار ومعين قال هى الرملة من فلسطين حدثنا ابن بشار قال ثنا صفوان قال ثنا بشر بن رافع قال ثنى أبو عبد الله ابن عم أبى هريرة قال قال لنا أبو هريرة الزموا هذه الرملة التى بفلسطين فانها الربوة التى قال الله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ✻ وقال آخرون هى دمشق ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن الوليد القرشى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال فى هذه الآية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال زعموا أنها دمشق حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال بلغنى عن ابن المسيب أنه قال دمشق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب مثله حدثنى يحيى بن عثمان بن صالح السهمى قال ثنا ابن بكير قال ثنا الليث بن سعد قال ثنى عبد الله بن لهيعة عن يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب فى قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال الى ربوة من ربى مصر قال وليس الربى الا فى مصر والماء حين يرسل تكون الربى عليها القرى لولا الربى لغرقت تلك

القرى

مغتبط بما اتخذه دينا لنفسه معجب به يرى أنه المحق الرابح وغيره المبطل الخاسر ثم بالغ في الذم والتهديد بقوله (فذرهم في غمرتهم) هذا الامر مما يدل على أن المخاطب بقوله يا أيها الرسل هو نبينا صلى الله عليه وسلم وقد يطلق لفظ الجماعة على الواحد تعظيما وتفخيما كقوله ان ابراهيم كان أمة والغمرة الماء الذي يغمر القامة قال جار الله ضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وغوايتهم أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قلت وأنت اذا تأملت فيما أسلفنا لك في المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب عرفت الفرق بين الوجهين قال في الكشاف (الى حين) أي الى أن يقتلوا أو يموتوا والتحقيق أنه الحالة التي يظهر



عندها الحسرة والندامة وذلك اذا عرفهم الله بطلان ما كانوا عليه وعرفهم سوء منقلبهم فيشمل الموت والقبر والمحاسبة والنار وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي عن الجزع من تأخير عقابهم ثم ان القوم كانوا أصحاب نعمة ورفاهية فبين الله تعالى أن ذلك الذي جعله مددا لهم وهو المال والبنون سبب لاستدراجهم الى زيادة الاثم نظيره في آل عمران انما نملي لهم ليزدادوا اثما وما في أنما موصولة والرابط محذوف أي نسارع لهم فيه وفي قوله (بل لا يشعرون) أنهم أشباه البهائم لا فطنة لهم ولا شعور حتى يتفكروا أهو استدراج أم مسارعة في الخير وفيه أنه سبحانه أعطاهم هذه النعم ليكونوا متمكنين بها من الاشتغال بطلب الحق وحين أعرضوا عن الحق كان لزوم الحجة عليهم أقوى ﴿التأويل﴾ يأكل مما تأكلون لم يعلموا أنهم وان كانوا يأكلون مما يأكلون ولكنهم لا يأكلون كما يأكلون المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام وأهل الله يأكلون ويشربون من مقام أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني وقومهما لنا عابدون أي في حال الطفولية كانت صفات الروح والقلب عون النفس

القرى * وقال آخرون هي بيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال هو بيت المقدس * قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال كان كعب يقول بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن كعب مثله * وأولى هذه الاقوال بتأويل ذلك أنها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر وليس كذلك صفة الرملة لان الرملة لا ماء بها معين والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومعين * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وآويناهما الى ربوة قال الربوة المستوية حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الى ربوة قال مستوية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله ذات قرار ومعين يقول تعالى ذكره من صفة الربوة التي آوينا اليها مريم وابنها عيسى أنها أرض منبسطة وساحة وذات ماء ظاهر لغير الباطن جار * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ومعين قال المعين الماء الجاري وهو النهر الذي قال الله قد جعل ربك تحتك سريا حدثني محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد في قوله ذات قرار ومعين قال المعين الماء حدثني محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد معين قال ماء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد في قوله ذات قرار ومعين قال المكان المستوي والمعين الماء الظاهر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ومعين هو الماء الطاهر * وقال آخرون عني بالقرار الثمار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ذات قرار ومعين هي ذات ثمار وهي بيت المقدس حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * قال أبو جعفر وهذا القول الذي قاله قتادة في معنى ذات قرار وان لم يكن أراد بقوله انها انما وصفت بأنها ذات

وتربيتها وتربية صفاتها لاستكمال القالب الى حد البلوغ والاستعداد لتحمل أعباء تكاليف الشرع وآويناهما يعني مريم النفس وعيسى القلب الى ربوة القالب الذي فيه قرارهما ويجري فيه ماء معين الحكمة من القلب على اللسان يا أيها الرسل أي القوى المرسلة الى القالب ﴿ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا

لاتنتصرون قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم (٣٣) وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون وهو الذى أنشألكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون وهو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ﴾

القراآت تهجرون بضم التاء وكسر الجيم نافع الآخرون بفتح التاء وضم الجيم خرجا فخراج بغير الالف فيهما ابن عامر كلاهما بالالف حمزة وعلى وخلف الباقون بحذف الالف من الاول واثباتها فى الثانى فتحنا بالتشديد يزيد سيقولون الله الثانية والثالثة أبو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون باللام فيهما كالاول حملا على المعنى لان قولك من رب هذا ولمن هذا فى معنى واحد ۞ الوقوف مشفقون ٥لا يؤمنون ٥ لايشركون ٥لا راجعون ٥لا لأن الكل معطوفات على اسم ان هذا والخبر أولئك الجملة سابقون ٥ لايظلمون ٥ عاملون ٥ يجأرون ٥لا لحق القول لاتنصرون ٥ تنكصون ٥ لا لأن ما بعده حال مستكبرين ٥ قد قيل على جعل الجار والمجرور مفعول سامرا أو مفعول تهجرون ٥ الاولين ٥ منكرون ٥ لصورة الاستفهام وهو العطف جنة ط كارهون ٥ فيهن ط معرضون ٥ط لان الاستفهام انكار خير ز وقد قيل بناء على أن الواو للابتداء والحال أوجه الرازقين ٥ مستقيم ٥ لناكبون ٥ يعمهون ٥ يتضرعون ٥ مبلسون ٥ والافئدة ط تشكرون ٥ تحشرون

قرار لما فيها من الثمار ومن أجل ذلك يستقر فيها ساكنوها فلا وجه له نعرفه وأما معين فانه مفعول من عنته فأنا أعينه وهو معين وقد يجوز أن يكون فعيلا من معن يمعن فهو معين من الماعون ومنه قول عبيد بن الابرص

واهية أو معين ممعن ۞ أو هضبة دونها لهوب

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم﴾ يقول تعالى ذكره وقلنا لعيسى ياأيها الرسل كلوا من الحلال الذى طيبه الله لكم دون الحرام واعملوا صالحا تقول فى الكلام للرجل الواحد أيها القوم كفوا عنا أذاكم وكما قال الذين قال لهم الناس وهو رجل واحد ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى ابن عبد الأعلى بن واصل قال ثنى عبيد بن اسحق الضبى العطار عن حفص بن عمر الفزارى عن أبى اسحق السبيعى عن عمرو بن شرحبيل ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا قال كان عيسى بن مريم يأكل من غزل أمه وقوله انى بما تعملون عليم يقول انى بأعمالكم ذو علم لايخفى على منها شئ وأنا مجازيكم بجميعها وموفيكم أجوركم وثوابكم عليها فخذوا فى صالحات الاعمال واجتهدوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله وان هذه أمتكم أمة واحدة فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وأن بالفتح بمعنى انى بما تعملون عليم وأن هذه أمتكم أمة واحدة فعلى هذا التأويل أن فى موضع خفض عطف بها على ما من قوله بما تعملون وقد يحتمل أن تكون فى موضع نصب اذا قرئ ذلك كذلك ويكون معنى الكلام حينئذ واعلموا أن هذه ويكون نصبها بفعل مضمر وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بالكسر وان هذه على الاستئناف والكسر فى ذلك عندى على الابتداء هو الصواب لان الخبر من الله عن قيله لعيسى ياأيها الرسل مبتدأ فقوله وان هذه مردود عليه عطفا به عليه فكان معنى الكلام وقلنا لعيسى ياأيها الرسل كلوا من الطيبات وقلنا وان هذه أمتكم أمة واحدة وقيل ان الامة الذى فى هذا الموضع الدين والملة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله وان هذه أمتكم أمة واحدة قال الملة والدين وقوله وأنا ربكم فاتقون يقول وأنا مولاكم فاتقون بطاعتى تأمنوا عقابى ونصبت أمة واحدة على الحال وذكر عن بعضهم أنه قرأ ذلك رفعا وكان بعض نحويى البصرة يقول رفع ذلك اذا رفع على الخبر ويجعل أمتكم نصبا على البدل من هذه وأما نحويو الكوفة فيأبون ذلك الا فى ضرورة شعر وقالوا لا يقال مررت بهذا غلامكم لان هذا لا تتبعه الا الالف واللام والاجناس لان

والنهار ط تعقلون ۝ الاوّلون ۝ لمبعوثون ۝ الاوّلين ۝ تعلمون ۝ لله ط تذكرون ۝ العظيم ۝ لله ط تتقون ۝ تدلمون ۝ لله ط تسحرون م لكاذبون ۝ التفسير انه سبحانه لما نفى الخيرات الحقيقية عن الكفرة المتنعمين أتبعه ذكر من هو أهل للخيرات عاجلا وآجلا فوصفهم بصفات أربع الاولى الاشفاق من خشية ربهم وظاهره ينبئ عن تكرار لان الاشفاق يتضمن الخشية فمنهم من قال جمع بينهما للتأكيد ومنهم من حمل الخشية على العذاب أى من عذاب ربهم مشفقون وهو قول الكلبى ومقاتل ومنهم من حمل الاشفاق على أثره وهو الدوام فى الطاعة والمعنى الذين هم من خشيته دائمون على طاعته (٣٣) جادّون فى طلب مرضاته ومنهم من قال الاشفاق كمال الخوف أى هم من سخط الله عاجلا ومن عقابه آجلا فى نهاية الخوف ويلزم ذلك أن يكونوا فى غاية الاحتراز عن المعاصى وفيه أنهم اذا كانوا خائفين من الخشية فلأن يخافوا من عدم الخشية أولى الثانية قوله (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) والظاهر أنها القرآن وقيل هى المخلوقات الدالة على وجود الصانع وليس المراد التصديق بوجودها فقط فان ذلك معلوم بالضرورة فلا يوجب المدح بل التصديق بكونها دلائل موصلة الى العرفان ويتبعه الاقرار اللسانى ظاهرا الثالثة التبرى عما سوى الله ظاهرا وباطنا بأن لا يشرك به طرفة عين الرابعة قوله (والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوا (وقلوبهم وجلة) خائفة فى شأن ذلك الاعطاء ثم علل ذلك الوجل بقوله (أنهم) أى لانهم (الى ربهم راجعون) فان من اعتقد الرجوع الى الجزاء والمساءلة ونشر الصحف وتتبع الاعمال وعلم أن المجازى هو الذى لا يخفى عليه الضمائر والسرائر لم يخل عمله من حسن النية وخلوص الطوية بحيث يكون أبعد عن الرياء وأدخل فى الاخلاص والظاهر أن هذا الايتاء مختص بالزكاة والتصدق ويحتمل أن يراد اعطاء كل فعل أو خصلة أى اتيانها ويؤيده ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ ويأتون ما أتوا أى يفعلون ما فعلوا وعن عائشة أنها قالت قلت يا رسول الله هو الذى يزنى ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا بنت الصديق ولكن هو الذى يصلى ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه وفى قوله (يسارعون فى الخيرات) معنيان أحدهما يرغبون فى الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثانى أنهم يتعجلون فى الدنيا وجوه المنافع والاكرام لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا فى نيلها قال جار الله وهذا الوجه أحسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفى عن الكفار للمؤمنين وقال فى قوله (وهم لها

هذا اشارة الى عدد فالحاجة فى ذلك الى تبين المراد من المشار اليه أى الاجناس هو وقالوا واذا قيل هذه أمتكم أمة واحدة والامة غائبة وهذه حاضرة قالوا فغير جائز أن يبين عن الحاضر بالغائب قالوا فلذلك لم يجز ان هذا زيد قائم من أجل أن هذا محتاج الى الجنس لا الى المعرفة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله زبرا فقرأته عامة قراء المدينة والعراق زبرا بمعنى جمع الزبور فتأويل الكلام على قراءة هؤلاء فتفرق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى بالاجتماع على الدين الواحد والملة الواحدة دينهم الذى أمرهم الله بلزومه زبرا كتبا فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذى دان به الفريق الآخر كاليهود الذين زعموا أنهم دانوا بحكم التوراة وكذبوا بحكم الانجيل والقرآن وكالنصارى الذين دانوا بالانجيل بزعمهم وكذبوا بحكم الفرقان ذكر من تأوّل ذلك كذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة زبرا قال كتبا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بينهم زبرا قال كتب الله فرقوها قطعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا قال مجاهد كتبهم فرقوها قطعا * وقال آخرون من أهل هذه القراءة انما معنى الكلام فتفرقوا دينهم بينهم كتبا أحدثوها يحتجون فيها لمذاهبهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون قال هذا ما اختلفوا فيه من الأديان والكتب كل معجبون برأيهم ليس أهل هواء الا وهم معجبون برأيهم وهواهم وصاحبهم الذى اخترق ذلك لهم وقرأ ذلك عامة قراء الشام فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا بضم الزاى وفتح الباء بمعنى فتفرقوا أمرهم بينهم قطعا كزبر الحديد وذلك القطع منها واحدتها زبرة من قول الله آتونى زبر الحديد فصار بعضهم يهودا وبعضهم نصارى * والقراءة التى نختار فى ذلك قراءة من قرأه بضم الزاى والباء لاجماع أهل التأويل فى تأويل ذلك على أنه مراد به الكتب فذلك يبين عن صحة ما اخترنا فى ذلك لان الزبر هى الكتب يقال منه زبرت الكتاب اذا كتبته فتأويل الكلام فتفرق الذين أمرهم الله بلزوم دينه من الامم دينهم بينهم كتبا كما بينا قبل وقوله كل حزب بما لديهم فرحون يقول كل فريق من تلك الامم بما اختاروه لانفسهم من الدين والكتب فرحون معجبون به لا يرون أن الحق سواه كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث

سابقون) إنه متروك المفعول أو منوي به أي فاعلون السبق لاجلها أو سابقون الناس لاجلها والمراد ياها سابقون كقولك هو لزيد ضارب بمعنى هو زيدا ضارب وجئت باللام لضعف عمل اسم الفاعل ولا سيما فيما قبله والمعنى أنهم ينالون الخيرات قبل الاخرى حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز أن يكون لها سابقون خبرين أحدهما بعد الآخر كقولك هذا هو لهذا الامر أي صالح له وحين انجر الكلام الى ذكر أعمال المكلفين ذكر حكمين لها الاول قوله؛ (ولا نكلف نفسا الا وسعها) وفي الوسع قولان أحدهما أنه الطاقة والآخر أنه دون الطاقة وهو قول المعتزلة ومقاتل وا... والكلبي لانه اتسع (٣٤) فيه على المكلف ولم يضيق مثاله ان لم يستطع أن يصلي قائما فليصل قاعدا والا فليوم ايماء وفيه أن هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من وسعهم الثاني قوله (ولدينا كتاب ينطق) والمراد بنطقه اثبات كل عمل فيه وهو اللوح أو صحيفة الاعمال لا يقرؤن منها يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل والبحث بين الاشاعرة والمعتزلة في مثل هذا المقام معلوم أما قوله (بل قلوبهم في غمرة من هذا) ففيه طريقان أحدهما راجع الى الكفار والمعنى بل قلوب الكفار في غفلة غامرة لها من هذا الذي بيناه في القرآن أو من هذا الذي ينطق بالحق أو الذي عليه هؤلاء المؤمنون (ولهم أعمال) متجاوزة لذلك الذي وصف به المؤمنون كمتابعة الهوى وطلب الدنيا والاعراض عن المولى (هم لها عاملون) في الحال على سبيل الاعتياد لا يفطمون عنها حتى يأخذهم العذاب أو في الاستقبال لانها مبينة في علم الله مكتوبة في اللوح عليهم أن يعملوا بها بحكم الشقاء الازلي وثانيهما وهو اختيار أبي مسلم أن هذه الآيات من صفات المشفقين كأنه سبحانه قال بعد وصفهم ولا نكلف نفسا الا وسعها ونهايته ما أتى به هؤلاء ولدينا كتاب يحفظ أعمالهم بل قلوبهم في غمرة من هذا الذي وصفناهم به أهو مقبول عند الله أم مردود ولهم أعمال من دون ذلك الذي وصف هم لها عاملون وهي النوافل السرية والاعمال القلبية ثم انه رجع الى وصف الكفار بقوله (حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) وهو عذاب الآخرة أو قتلهم يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والأولاد والجؤار الصراخ باستغاثة ثم أخبر أنه يقال لهم حينئذ على جهة التبكيت (لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون) لا تغاثون من جهتنا أو لا تمنعون منا ثم عدد عليهم التوبيخ بقبائحهم ومعنى النكوص على العقبين التباعد عن الحق

قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كل حزب بما لديهم فرحون قطعة وهؤلاء أهل الكتاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد كل حزب قطعة أهل الكتاب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾ ۞ قال أبو جعفر يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فدع يا محمد هؤلاء الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبرا في غمرتهم في ضلالتهم وغيهم حتى حين يعني الى أجل سيأتيهم عند مجيئه عذابي * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فذرهم في غمرتهم حتى حين قال في ضلالهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فذرهم في غمرتهم حتى حين قال الغمرة الغمر وقوله أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين يقول تعالى ذكره أيحسب هؤلاء الاحزاب الذين فرقوا دينهم زبرا أن الذي نعطيهم في عاجل الدنيا من مال وبنين نسارع لهم يقول نسابق لهم في خيرات الآخرة ونبادر لهم فيها وما من قوله أنما نمدهم به نصب لانها بمعنى الذي بل لا يشعرون يقول تعالى ذكره تكذيبا لهم ما ذلك كذلك بل لا يعلمون أن امدادي اياهم بما أمدهم به من ذلك انما هو املاء واستدراج لهم ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنما نمدهم قال نعطيهم نسارع لهم قال نزيدهم في الخير على لهم قال هذا لقريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمر بن علي قال ثني أشعث بن عبد الله قال ثنا شعبة عن خالد الحذاء قال قلت لعبد الرحمن بن أبي بكرة قول الله نسارع لهم في الخيرات قال يسارع لهم في الخيرات وكأن عبد الرحمن بن أبي بكرة وجه بقراءته ذلك كذلك الى أن تأويله يسارع لهم امدادنا اياهم بالمال والبنين في الخيرات ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ان الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مشفقون فهم من خشيتهم من ذلك دائبون في طاعته جادون في طلب مرضاته والذين هم بآيات ربهم يؤمنون يقول والذين هم بآيات كتابه وحججه مصدقون والذين هم بربهم لا يشركون يقول والذين يخلصون لربهم عبادتهم فلا يجعلون له فيها لغيره شركا لوثن ولا لصنم ولا يراؤن بها أحدا من

خلقه ولكنهم يجعلون أعمالهم لوجهه خالصا وإياه يقصدون بالطاعة والعبادة دون كل شئ سواه

القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله والذين يؤتون ما آتوا والذين يعطون أهل سهمان الصدقة مافرض الله لهم في أموالهم ما آتوا يعني ما أعطوهم اياه من صدقة ويؤدون حقوق الله عليهم في أموالهم الى أهلها وقلوبهم وجلة يقول خائفة من أنهم الى ربهم راجعون فلا ينجيهم مافعلوا من ذلك من عذاب الله فهم خائفون من المرجع الى الله لذلك كما قال الحسن ان المؤمن جمع احسانا وشفقة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبجر عن رجل عن ابن عمر يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الزكاة حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد وقلوبهم وجلة قال المؤمن ينفق ماله وقلبه وجل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي الاشهب عن الحسن قال يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعملون ما عملوا من أعمال البر وهم يخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال المؤمن ينفق ماله ويتصدق وقلبه وجل أنه الى ربه راجع حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن أنه كان يقول ان المؤمن جمع احسانا وشفقة وان المنافق جمع اساءة وأمنا ثم تلا الحسن ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون الى وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون وقال المنافق انما أوتيته على علم عندي حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة يؤتون ما آتوا قال يعطون ما أعطوا وقلوبهم وجلة يقول خائفة حدثنا خلاد بن أسلم قال ثنا النضر بن شميل قال أخبرنا اسرائيل قال أخبرنا سالم الأفطس عن سعيد بن جبير في قوله والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة قال يفعلون ما يفعلون وهم يعلمون أنهم صائرون الى الموت وهي من المبشرات حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا ويعملون ما عملوا من خير وقلوبهم وجلة خائفة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا علي قال ثنى معاوية عن ابن عباس قوله والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة يقول يعملون خائفين قال، حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا فرقا من الله ووجلا من الله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول

والتجافي عنه كن زالجمع على ورائه وقدمر في الانعام وفي مرجع الضمير في به أقوال أحدها أنه للبيت العتيق أو للحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت والتفاخر بولايته والقيام به وكانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لانا أهل الحرم وثانيها مستكبرين بهذا التراجع والتباعد. وثالثها مستكبرين بالقرآن على تضمين الاستكبار معنى التكذيب أو على أن الباء للسببية لان سماع القرآن كان يحدث لهم استكبارا وعتوا ورابعها أنه يتعلق بسامرا أو بتهجرون والهجر بالضم الفحش وبالفتح الهذيان وأهجر في منطقه اذا أفحش والضمير للقرآن أو للنبي أي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه أو في النبي (٥٣) وكانت عامة سمرهم حول البيت ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع ثم بين أن سبب اقدامهم على الكفر أحد أمور أربعة الاول عدم التدبر في القرآن لانهم ان تدبروه وتأملوا مبانيه ومعانيه ظهر لهم صدقه واعجازه فصدقوا به وعن جاء به الثاني قوله (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين) والمراد أمر الرسالة ثم المقصود تقرير أنه لم يأت آباءهم الاقربين رسول كقوله لينذر قوما ما أنذر آباؤهم فلذلك أنكروه واستبعدوه أو تقرير أنه أتى آباءهم الاقدمين رسل وذلك أنهم عرفوا بالتواتر أن رسل الله فيهم كثيرة وكانت الأمم بين مصدق ناج وبين مكذب هالك بعذاب الاستئصال فادعاهم ذلك الى تصديق هذا الرسول وآباؤهم اسمعيل وأعقابه من عدنان وقحطان وقيل أراد أفلم يدبروا القرآن فيخافوا عند تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل عن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الأمن ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا أسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شئ فلا تشكوا في أن تبعا كان مسلما الثالث قوله (أم لم يعرفوا) نبه بذلك على أنهم عرفوه وعرفوا صحة نسبته وأمانته فكيف كذبوه بعد أن اتفقت كلمتهم على أنه أمين الرابع نسبتهم اياه الى الجنون وكانوا يعلمون أنه أرجحهم عقلا ولكنه جاء بما يخالف هواهم فتشككوا في أمره أو شككوا العوام ابقاء على مناصبهم ورياستهم ثم أضرب عن أقوالهم منبها على مصادقته في أمر النبي فقال (بل جاءهم) متلبسا (بالحق) أو الباء للتعدية والحق الدين القويم والصراط المستقيم (وأكثرهم للحق كارهون) وأقلهم كانوا

لا يكرهونه وان لم يظهروا الايمان به خوفا من قالة الاعداء كما يحكى عن أبي طالب ولهذا جاء الخلاف في صحة اسلامه ثم بين أن الالهية تقتضي الاستقلال في الاوامر والنواهي وأن الحق والصواب ينحصر فيما دبره الله العالمين وقدره فقال (ولو اتبع الحق أهواءهم) نظيره ما مر في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل الحق الاسلام والمراد لو انقلب الاسلام شركا كما تقتضيه أهواؤهم لجاء الله بالقيامة لأهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة الحق هو الله والمعنى لو كان الله آمرا بالشرك والمعاصي على وفق آرائهم لما كان الها ولكان شيطانا فلا يقدر على امساك السموات والارض وحينئذ يختل نظام العالم ثم ذكر أن نزول القرآن عليهم من جملة الحق فقال (بل أتيناهم بذكرهم) ان كانت الباء للتعدية فظاهر وان كانت للمصاحبة فعلى حذف مضاف أي أتاهم رسولنا متلبسا بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو وصيتهم وفخرهم أو الاضافة بدل اللام العهدي أي بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين ثم بين أن دعوته ليست مشوبة بالطمع الموجب للنفرة فقال أم تسألهم خرجا أي جعلا وكذا الخراج وقد مر في آخر الكهف وقيل الخرج أقل ولذا قرأ الاكثرون خرجا فخراج يعني أم تسألهم على هداية لك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وحين أثبت لرسوله مواجب قبول قوله ونفى عنه أضدادها صرح بمضمون أمره ومكنون سره فقال (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) هو دين الاسلام لا تدعوهم الى غيره من الطرق المنحرفة عن جادة الصواب وأشار الى هذه الطرق بقوله (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) هم المذكورون فيما تقدم أو كل من لا يؤمن بالآخرة (عن الصراط) المستقيم المذكور (لناكبون) والتركيب يدور على العدول عن القصد ومنه المنكب لمجمع عظم العضد والكتف والنكباء الريح التي تعدل عن مهاب الرياح للقوم ثم بين اصرارهم على الكفر بقوله (ولو رحمناهم) الآية يروى قال أنه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة عن أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فادع الله أن يكشف عنا الضر فأنزل الله الآية والمعنى لو كشف الله برحمته هذا الهزال والجوع عنهم لأصروا على ما هم فيه من الطغيان ثم استشهد على ذلك بقوله (ولقد أخذناهم) أي قبل ذلك (بالعذاب) يعني ما جرى عليهم يوم بدر (فما استكانوا لربهم) أي ما خضعوا له

---

أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يؤتون ما آتوا ينفقون ما أنفقوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا وينفقون ما أنفقوا ويتصدقون بما تصدقوا وقلوبهم وجلة اتقاء لسخط الله والنار وعلى هذه القراءة أعني على والذين يؤتون ما آتوا قرأة الامصار وبه رسوم مصاحفهم وبه نقرأ لاجماع الحجة من القراء عليه ووفاقه خط مصاحف المسلمين وروي عن عائشة رضي الله عنها في ذلك ما حدثناه أحمد ابن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا علي بن ثابت عن طلحة بن عمر عن أبي خلف قال دخلت مع عبيد بن عمير على عائشة فسألها عبيد كيف نقرأ هذا الحرف والذين يؤتون ما آتوا فقالت يأتون ما أتوا وكأنها تأولت في ذلك والذين يفعلون ما يفعلون من الخيرات وهم وجلون من الله كالذي حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمر بن قيس عن عبد الرحمن بن سعيد ابن وهب الهمداني عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قالت عائشة يا رسول الله والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه فقال لا ولكن من يصوم ويصلي ويتصدق وهو وجل حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب أن عائشة قالت قلت يا رسول الله الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أهم الذين يذنبون وهم مشفقون (١) ويصومون وهم مشفقون حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا ليث عن مغيث عن رجل من أهل مكة عن عائشة قالت قلت يا رسول الله الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة قال فذكر مثل هذا حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن مالك ابن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد عن عائشة أنها قالت يا رسول الله الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر قال لا يا ابنة أبي بكر أو يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني جرير عن ليث بن أبي سليم وهشيم عن العوام بن حوشب جميعا عن عائشة أنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابنة أبي بكر أو يا ابنة الصديق هم الذين يصلون ويفرقون أن لا يتقبل منهم وأن من قوله أنهم الى ربهم راجعون في موضع نصب لان معنى الكلام وقلوبهم وجلة من أنهم فلما حذفت من اتصل الكلام قبلها فنصبت وكان بعضهم يقول هي في موضع خفض وان لم يكن الخافض ظاهرا وقوله أولئك يسارعون في الخيرات يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم يبادرون في الاعمال الصالحة ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أولئك يسارعون في الخيرات

(١) لعل فيه سقطا والأصل قال لا ولكن الذين يصلون وهم مشفقون ويصومون الخ كتبه مصحح

وقدمر اشتقاقه فى آل عمران (وما يتضرعون) عدل الى المضارع لانه أراد وما من عادة هؤلاء أن يتضرعوا حتى فتحنا عليهم باب العذاب الشديد وهو الجوع الذى هو أشد من الاسر والقتل فأبلسوا الساعة أى خضعت رقابهم وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة وأخشنهم عريكة يستعطفك ويحتمل أن يراد محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما شوهد منهم انقياد للحق وهم كذلك اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون والابلاس السكوت مع تحير أو اليأس من كل خير ثم نبه بقوله (وهو الذى أنشأ لكم) على أن أسباب التأمل فى الدلائل موجودة وأبواب الاعذار بالكلية مسدودة فما كفر من كفر ولا عند من عند الا للشقاء الازلى وفى قوله (قليلا (٣٧) ما تشكرون) أى تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتوكيد دليل على أن المقر أقل من الجاحد وعن أبى مسلم أنه قال أراد بالقلة العدم وفى الآية ثلاثة معان أحدها اظهار النعمة وثانيها مطالبة العباد بالشكر عليها فشكر السمع أن لا يسمع الا لله وبالله ومن الله وشكر البصر أن ينظر بنظر العبرة لله وبالله والى الله وشكر الفؤاد تصفيته عن رين الاخلاق الذميمة وقطع تعلقه عن الكونين لشهوده بالله وثالثها الشكاية أن الشاكر قليل ثم بين دلائل أخر على الوحدانية فقال (وهو الذى ذرأكم) أى خلقكم وبثكم فى الارض للتناسل والى حيث لا مالك سواه تحشرون بعد تفرقكم (وهو الذى يحيى ويميت) وفيه مع تذكر نعمة الحياة بيان أن المقصود منها الانتقال الى دار الثواب (وله اختلاف الليل والنهار) أى هو مختص بتصريفهما وأنهما يشبهان الموت والحياة وفى قوله (أفلا تعقلون) توبيخ وتهديد ثم نبه بقوله (بل قالوا) الآيات على أنه لا شبهة لهم فى انكار البعث الا التشبث بحبل التقليد والاستبعاد قال علماء المعانى قوله (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) وارد على الاصل لان التأكيد مذكور عقيب المؤكد وبعده المفعول الثانى وأما فى سورة النمل فسبب تقديم المفعول الثانى على الضمير وعلى المعطوف هو أنه اقتصر هنالك على قوله ترابا والتراب أبعد فى باب الاعادة من العظام فقدم ليدل على مزيد الاعتناء به فى شأن الاستنكار ثم رد على منكرى الاعادة أو على عبدة الاوثان بقوله (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) أى ان كان عندكم علم فأجيبونى وفيه استهانة بهم وتجهيل لهم بأمر الديانات حتى جوز أن يشتبه عليهم مثل هذا المكشوف الجلى وفى قوله (أفلا تذكرون) ترغيب فى التدبر وبعث على التأمل فى أمر التوحيد والبعث فان من قدر على اختراع الارض ومن فيها كان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه وكان قادرا على اعادة ما أفناه وفى قوله (أفلا تتقون) مثل هذا الترغيب مع التخويف وكان أولى بالآية الثانية

---

قال والخيرات المخافة والوجل والايمان والكف عن الشرك بالله فذلك المسابقة الى هذه الخيرات وقوله وهم لها سابقون كان بعضهم يقول معناه سبقت لهم من الله السعادة فذلك سبوقهم الخيرات التى يعملونها ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وهم لها سابقون يقول سبقت لهم السعادة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهم لها سابقون فتلك الخيرات وكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى وهم اليها سابقون وتأوله آخرون وهم من أجلها سابقون * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب القول الذى قاله ابن عباس من أنه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم فى الخيرات ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها وانما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام لان ذلك أظهر معنييه وأنه لا حاجة بنا اذا وجهنا تأويل الكلام الى ذلك الى تحويل معنى اللام التى فى قوله وهم لها الى غير معناها الاغلب عليها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره ولا نكلف نفسا الا ما يسعها ويصلح لها من العبادة ولذلك كلفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله وشرعنا لها ما شرعنا من الشرائع ولدينا كتاب ينطق بالحق يقول وعندنا كتاب أعمال الخلق بما عملوا من خير وشر ينطق بالحق وهم لا يظلمون يقول يبين بالصدق عما عملوا من عمل فى الدنيا لا زيادة عليه ولا نقصان ونحن موفو جميعهم أجورهم المحسن منهم باحسانه والمسىء باساءته وهم لا يظلمون يقول وهم لا يظلمون بأن يزاد على سيآت المسىء منهم ما لم يعمله فيعاقب على غير جرمه وينقص المحسن عما عمل من احسانه فينقص عما له من الثواب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون﴾ يقول تعالى ذكره ما الامر كما يحسب هؤلاء المشركون من أن امدادناهم بما نمدهم به من مال وبنين بخير نسوقه بذلك اليهم ولرضانا عنهم ولكن قلوبهم فى غمرة عمى عن هذا القرآن وعنى بالغمرة ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج وعنى بقوله من هذا من القرآن * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فى غمرة من هذا قال فى عمى من هذا القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله فى غمرة من هذا قال من القرآن وقوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون يقول تعالى ذكره ولهؤلاء الكفار أعمال لا يرضاها الله من المعاصى من دون ذلك يقول من دون أعمال أهل الايمان بالله وأهل التقوى والخشية له * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

لاجل التدرج ولتعظيم السموات والعرش ولان تذكر واجب الوجود مقدم على اتقاء مخالفته قال جار الله أجرت فلانا على فلان اذا أغثته منه ومنعته يعنى وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا (ان كنتم تعلمون) بهذه الصفة غيره فأجيبونى به ومنى (تسحرون) تخدعون عن طاعته والخادع هو الشيطان والهوى ثم بين بقوله (بل أتيناهم بالحق) أنه قد بالغ فى الحجاج عليهم بهذه الآيات حتى استبان بما هو الحق والصدق (وانهم) مع ذلك (لكاذبون) حيث يدعون له الولد والشريك و ينسبون اليه العجز عن الاعادة ۞ التأويل من خشية ربهم مشفقون اشارة الى استيلاء سلطان الهيبة فى الحضور (٣٨) والغيبة بآيات ربهم يؤمنون هى ما يكاشف لهم من شواهد الحق فى السر والعلانية بربهم لا يشركون هو ترك الملاحظة فى رد الناس وقبولهم ومدحهم وذمهم وانقطاع النظر فى المضار والضار عن الوسائط والاسباب يسارعون فى الخيرات يتوجهون الى الله وينقطعون عما سواه وهم لها سابقون على قدر سبق العناية ولا نكلف نفسا الا وسعها كلفهم أن يقولوا لا اله الا الله وهم قادرون على ذلك وأمرهم بقبول دعوة الانبياء وما هم بعد بعاجزين عنه وقد كتب فى اللوح أنهم يقدرون على هذه التكاليف وهم لا يظلمون فلا يكلفون ما ليس فى وسعهم واستعدادهم حتى اذا أخذنا أكابر مجرميها مجرميهم بعذاب فساد الاستعداد لفسدت سموات أرواحهم وأرض نفوسهم ومن فيهن من القلب والسر وهو خير الرازقين فيه أن العلماء بالله عليهم أن لا يدنسوا وجوه قلوبهم الناضرة بدنس الاطماع الفارقة ولقد أخذناهم أوّلا بعذاب الغين حتى اذا فتحنا عليهم باب عذاب الرين يحيى بنوره قلوب بعض عباده ويميت نفوسهم عن صفاتها الذميمة أو يحيى بعض النفوس باتباع شهواتها ويميت بعض القلوب باستيلاء ظلمات الطبيعة عليها وله اختلاف ليل البشرية ونهار الروحانية أو طول ليل الفراق وقصر نهار الوصال قالوا أئذا متنا فيه أن اليأس من الوصول والوصال ليس من شيم أهل الكمال فقد تقوم قيامة العشق فيبعث القلب الميت أو من كان ميتا فأحييناه ملكوت كل شئ هى جهة روحانيته وهو يجير الاشياء بقيوميته عن الهلاك ولا مانع له ممن أراد به أن لا يجيره قال ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب اما ترينى ما يوعدون رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال الخطايا حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولهم أعمال من دون ذلك قال الحق حدثنا على بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولهم أعمال من دون ذلك قال خطايا من دون ذلك الحق * قال ثنا حجاج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله ولهم أعمال من دون ذلك الآية قال أعمال دون الحق حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال ذكر الله الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ثم قال للكفار بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال من دون الاعمال التى منها قوله من خشية ربهم مشفقون والذين والذين حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد قال أعمال لا بد لهم من أن يعملوها حدثنا على بن سهل قال ثنا زيد بن أبى الزرقاء عن حماد بن سلمة عن حميد قال سألت الحسن عن قول الله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال أعمال لم يعملوها سيعملونها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال لم يكن له بد من أن يستوفى بقية عمله ويصلى به حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد فى قوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال أعمال لا بد لهم من أن يعملوها حدثنا عمرو قال ثنا مروان بن معاوية عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى ولهم أعمال من دون ذلك قال أعمال لا بد لهم من أن يعملوها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون﴾ يقول تعالى ذكره ولهؤلاء الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون الى أن يؤخذ أهل النعمة والبطر منهم بالعذاب كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب قال المترفون العظماء اذا هم يجأرون يقول فاذا أخذناهم به جأروا يقول ضجوا واستغاثوا مما حل بهم من عذابنا ولعل الجؤار رفع الصوت كما يجأر الثور ومنه قول الاعشى

يراوح من صلوات المليك * طورا سجودا وطورا جؤارا

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله

يحضرون حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون (٢٩) انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون

قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس اذا هم يجأرون يقول يستغيثون **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن مجاهد فى قوله حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون قال بالسيوف يوم بدر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس فى قوله اذا هم يجأرون قال يجزعون * قال ثنا حجاج عن ابن جريج حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب قال عذاب يوم بدر اذا هم يجأرون قال الذين بمكة **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب يعنى أهل بدر أخذهم الله بالعذاب يوم بدر **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله اذا هم يجأرون قال يجزعون وقوله لا تجأروا اليوم يقول لا تجزعوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذى لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم فان ضجيجكم غير نافعكم ولا دافع عنكم شيأ مما قد نزل بكم من سخط الله انكم منا لا تنصرون يقول انكم من عذابنا الذى قد حل بكم لا تستنقذون ولا يخلصكم منه شئ * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس لا تجأروا اليوم لا تجزعوا اليوم **حدثنى** يونس قال أخبرنا الربيع بن أنس لا تجأروا اليوم لا تجزعوا الآن حين نزل بكم العذاب انه لا ينفعكم فلو كان هذا الجزع قبل نفعكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش لا تجأروا اليوم وقد نزل بكم سخط الله وعذابه بما كسبت أيديكم واستوجبتموه بكفركم بآيات ربكم قد كانت آياتى تتلى عليكم يعنى آيات كتاب الله يقول كانت آيات كتابى تقرأ عليكم فتكذبون بها وترجعون مولين عنها اذا سمعتموها كراهية منكم لسماعها وكذلك يقال لكل من رجع من حيث جاء نكص فلان على عقبه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فكنتم على أعقابكم تنكصون قال تستأخرون **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فكنتم على أعقابكم تنكصون يقول تدبرون **حدثنى** محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون يعنى أهل مكة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء

قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ﴾ ۞ القراآت عالم بالرفع أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وعاصم غير حفص الا الخزاز وقرأ رويس بالخفض اذا وصل وبالرفع اذا ابتدأ الآخرون بالخفض لعلى أعمل بسكون الياء عاصم وحمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب وابن مجاهد عن ابن ذكوان شقاوتنا حمزة وعلى وخلف والمفضل الباقون شقوتنا بكسر الشين وسكون القاف فى غير ألف سخريا بضم السين وكذلك فى صاد أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف والمفضل والخزاز عن هبيرة الآخرون بكسرها انهم بالكسر حمزة وعلى والخزاز عن هبيرة قل كم قل ان لبثتم على الامر فيهما حمزة وعلى وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل وافق ابن كثير فى الاول لا ترجعون على البناء للفاعل يعقوب وحمزة وعلى وخلف ۞ الوقوف على بعض ط يصفون ○ ط لمن قرأ بالرفع الى هو عالم ومن خفض لم يقف لانه بدل أو وصف يشركون ○ ما يوعدون ○ لا لأن قوله فلا جواب للشرط وهو اما والنداء عارض الظالمين ○ لا لقادرون ○ السيئة ط يصفون ○ الشياطين ○ لا يحضرون ○ ارجعون ○ لا لتعلق لعل كلا ط لانها للردع عما قبلها أى لا يرجع وقيل مبتدأ بها بمعنى حقا والاول أحسن قائلها ط يبعثون ○ ولا يتساءلون ○ المفلحون ○ خالدون ○ كالحون ○ تكذبون ○ ضالين ○ ظالمون ○ ولا تكلمون ○ الراحمين ○ ج للآية والوصل أجوز لشدة اتصال المعنى والفاء تضحكون ○ صبروا ط

لمن قرأ أنهم بالكسر الفائزون ه سنين ه العادين ه تعلمون ه لا ترجعون ه الحق ه لا لان ما بعده يصلح مستأنفا وحالا أي تعالى متوحدا غير مشارك الا هو ه لا لأن قوله رب العرش يصلح بدلا من هو وخبر مبتدأ محذوف الكريم ط آخر لا لأن الا له بعده صفة به لا لأن ما بعده جواب عند ربه ط الكافرون ه الراحمين ه ۞ التفسير لما أثبت لنفسه الالهية بالدلائل الالزامية في الآيات المتقدمة نفى عن نفسه الأنداد والاضداد بقوله (ما اتخذ الله من ولد) و بقوله (وما كان معه من اله) وفيه رد على القائلين بأن الملائكة بنات الله وابطال لاقوال اليهود والنصارى والثنوية ثم ذكر (٣٠) شبه دليل التمانع بقوله (اذا لذهب) وهو جواب لمن معه المحاجة من أهل الشرك وجواب الشرط محذوف دل عليه الكلام السابق تقديره ولو كان معه آلهة لذهب كل اله بما خلق لانفرد كل واحد منهم بالخلق الذي خلقه واستبد به لان اجتماعهم على خلق واحد لا يتصور فان ذلك يقتضي عجز الواحد عن ذلك الخلق وحينئذ يكون ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الآخرين (ولعلا بعضهم على بعض) أي لغلب بعضهم على بعض كما ترون حال ملوك الدنيا من تمايز الممالك ومن التغالب وعدم اللازم يدل على عدم الملزوم فلذلك ختم الآية بقوله (سبحان الله عما يصفون) الى قوله عما يشركون ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق ومحاسن العادات قائلا (قل رب اما تريني) أي ان كان لا بد من أن تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة (فلا تجعلني) قريبا لهم وقد يجوز أن يستعيذ العبد بالله مما علم أنه لا يفعله اظهارا للعبودية واستكانة له ويؤيده تكرار رب مرتين وكانوا ينكرون العذاب ويسخرون منه فأكد وقوعه بقوله (وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) قيل فيه دليل على أن القدرة تصح على المعدوم لانه أخبر أنه قادر على تعجيل عقوبتهم ثم لم يفعل ذلك ثم أمره بالصفح عن سيآتهم ومقابلتها بما يمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كان أحسن لانها حسنة مضاعفة بازاء سيئة أو نقول المكافأة حسنة ولكن العفو أحسن عن ابن عباس هي شهادة أن لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد هي أن يسلم عليه اذا لقيه قيل هي منسوخة بآية السيف والاولى أن يقال هي محكمة لان المداراة مستحبة ما لم تؤد الى محذور (نحن أعلم بما يصفون) مما يلبس فيك من المثالب والمراد أنه أقدر على جزائهم فعليه أن يفوض أمرهم الى الله ويدفع أذاهم بالكلام الجميل والسلام و بيان الادلة على أحسن الوجوه ثم أتبع هذا التعليم ما يقويه على ذلك وهو الاستعاذة

جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تنكصون قال تستأخرون وقوله مستكبرين به يقول مستكبرين بحرم الله يقولون لا يظهر علينا فيه أحد لانا أهل الحرم * و بنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله مستكبرين به يقول مستكبرين بحرم البيت انه لا يظهر علينا فيه أحد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله مستكبرين به قال بمكة بالبلد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن مستكبرين به قال مستكبرين بحرمي حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير في قوله مستكبرين به بالحرم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مستكبرين به قال مستكبرين بالحرم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله مستكبرين به قال بالحرم وقوله سامرا يقول تسمرون بالليل و وحد قوله سامرا وهو بمعنى السمار لانه وضع موضع الوقت ومعنى الكلام تهجرون ليلا فوضع السامر موضع الليل فوحد لذلك وقد كان بعض البصريين يقول وحد ومعناه الجمع كما قيل طفل في موضع أطفال ومما يبين عن صحة ما قلنا في أنه وضع موضع الوقت فوحد لذلك قول الشاعر

من دونهم ان جئتهم سمرا * عزف القيان ومجلس غمر

فقال سمرا لان معناه ان جئتهم ليلا وهم يسمرون وكذلك قوله سامرا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله سامرا يقول يسمرون حول البيت حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سامرا قال مجلسا بالليل حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد سامرا قال مجالس حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير سامرا قال تسمرون بالليل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله سامرا قال كانوا يسمرون ليلتهم ويلعبون يتكلمون بالشعر والكهانة وبما لا يدرون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يق

أخبرنا

بالله من همزات الشياطين والهمز النخس ومنه مهماز الرائض وذلك أنهم يحثون الناس على المعاصي بأنواع الوساوس كما يحث الرائض الدابة
على المشي بالمهماز وهي حديدة تكون في مؤخر خفه عن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد استفتاح الصلاة اللهم إني أعوذ بك
من همزات الشياطين همزه ونفخه ونفثه فهمزه الجنون ونفثه الشعر ونفخه الكبر ثم أمره بالتعوذ من أن يحضروه أصلا كما يقال أعوذ بالله
من خصومتك بل أعوذ بالله من لقائك وعن ابن عباس أراد الحضور عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع والأولى العموم عن النبي
صلى الله عليه وسلم وقد اشتكى إليه رجل أرقا به فقال إذا أردت النوم فقل أعوذ (٣١) بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر
عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون قوله (حتى إذا جاء) قيل متعلق بقوله وإنهم لكاذبون وقيل بيصفون أي لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت وما بينهما اعتراض وتأكيد للإغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم والمراد بمجيء الموت أماراته التي تحقق عندها الموت وصارت المعرفة ضرورية فحينئذ يسأل الرجعة ولا ينافي هذا السؤال الرجعة عند معاينة النار كقوله ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد والأكثرون على أنهم الكفار وروى الضحاك عن ابن عباس أنها تشمل من لم يزك ولم يحج لقوله وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني وأما وجه الجمع في قوله ارجعون مع وحدة المنادى فقيل إن الجمعة راجعة إلى الفعل كأنه قال ارجع مرات ونظيره ألقيا في جهنم أي ألق ألق وقيل رب للقسم والخطاب للملائكة القابضين للأرواح أي بحق الله ارجعون والأقرب أن الجمع للتعظيم كقول الشاعر

ألا فارحموني يا إله محمد * وقوله

فإن شئت حرمت النساء سواكم *

عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا
عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان بل قدوما إلى الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون لعلي أعمل
صالحا فيما تركت قال جار الله أي لعلي آتي بما تركته من الإيمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعلي أبني على أس تريد أؤسس أسا وأبني عليه
وقيل أي فيما خلفت من المال والأولى العموم فيدخل فيه العبادات البدنية والمالية والحقوق كأنهم تمنوا الرجعة ليصلحوا ما أفسدوه
ويطيعوا فيما عصوا قيل كيف سألوا الرجعة وقد علموا صحة الدين بالضرورة ومن الدين أن لا رجعة والجواب بعد تسليم أنهم عرفوا كل
الدين أن الإنسان قد يتمنى شيئا مع علمه بتعذره كقول القائل ليت الشباب يعود والاستغاثة بجنس هذه المسألة قد تحسن وقولهم (لعلي) ليس

---

أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله سامرا قال يعني سمر الليل وقال بعضهم في ذلك
ما حدثنا به ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة سامرا يقول سامرا من أهل
الحرم آمنا لا يخاف كانوا يقولون نحن أهل الحرم لا نخاف حدثنا الحسن قال أخبرنا
عبد الرزاق عن معمر عن قتادة سامرا يقول سامرا من أهل مكة آمنا لا يخاف قال كانوا يقولون
نحن أهل الحرم لا نخاف وقوله تهجرون اختلفت القراء في قراءته فقرأته عامة قراء الأمصار
تهجرون بفتح التاء وضم الجيم ولقراءة من قرأ ذلك كذلك وجهان من المعنى أحدهما أن يكون
عنى أنه وصفهم بالإعراض عن القرآن أو البيت أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضه والآخر
أن يكون عنى أنهم يقولون شيئا من القول كما يهجر الرجل في منامه وذلك إذا هذى فكأنه وصفهم
بأنهم يقولون في القرآن ما لا معنى له من القول وذلك أن يقولوا فيه باطلا من القول الذي لا يضره
وقد جاء بكلا القولين التأويل من أهل التأويل ذكر من قال كانوا يعرضون عن ذكر الله والحق
ويهجرونه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه
عن ابن عباس قوله تهجرون قال يهجرون ذكر الله والحق حدثنا ابن المثنى قال ثنا
عبد الصمد قال ثنا شعبة عن السدي عن أبي صالح في قوله سامرا تهجرون قال السب * ذكر
من قال كانوا يقولون الباطل والسيء من القول في القرآن حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى
قال ثنا سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير تهجرون قال يهجرون في الباطل * قال ثنا
يحيى عن سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير سامرا تهجرون قال يسمرون بالليل يخوضون
في الباطل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تهجرون قال بالقول
السيء في القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد
مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تهجرون قال الهذيان (٣)
الذي يتكلم بما لا يريد ولا يعقل كالمريض الذي يتكلم بما لا يدري قال وكان أبي يقرؤها سامرا
تهجرون وقرأ ذلك آخرون سامرا تهجرون بضم التاء وكسر الجيم وممن قرأ ذلك كذلك من
قراء الأمصار نافع بن أبي نعيم بمعنى يفحشون في المنطق ويقولون الخنا من قولهم أهجر الرجل
إذا أفحش في القول وذكروا أنهم كانوا يسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك
حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس تهجرون قال
تقولون هجرا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن أبي نهيك
عن عكرمة أنه قرأ سامرا تهجرون أي تسبون حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا

المراد به الشك وانما هو كقول المقصر مكنوني لعلي أتدارك مع كونه جازما بأنه سيتدارك ويحتمل أنهم وان كانوا جازمين بذلك الا أن أمر المستقبل مبني على الظن والتخمين دون اليقين فلذلك أوردوا الكلام بصورة الترجي ثم ردعهم بقوله (كلا) أي ليس الامر على ما توهموه من امكان الرجعة (انها كلمة) والمراد بها طائفة من الكلام منتظم بعضها مع بعض وهي قوله ارجعون لعلي أعمل صالحا (هو قائلها) لامحالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والحيرة عليه وهو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه (ومن ورائهم) الضمير لكل المكلفين أي امامهم (برزخ) حائل بينهم وبين الجنة (٣٣) أو النار وبين الجزاء التام (الى يوم يبعثون) وذلك البرزخ هو مدة ما بين الموت الى البعث ولعل بعض الحجب من الاخلاق الذميمة يندفع في هذه المدة وقال في الكشاف حائل بينهم وبين الرجعة ومعناه الاقناط الكلي لما علم أنه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة ثم وصف يوم البعث بقوله (فاذا نفخ في الصور) قدمر معناه في أواخر طه وقوله (فلا أنساب بينهم) ليس المراد به نفي النسب لان ذلك ثابت بالحقيقة فاذن المراد حكمه وما يتفرع عليه من التعاطف والتراحم والتواصل فقد يكون أحد القريبين في الجنة والآخر في النار ويكون بكل مكلف من اشتغال نفسه ما يمنعه من الالتفات الى أحوال نسبه عن قتادة لا شيء أبغض الى الانسان من أن يرى من يعرفه مخافة أن يثبت له عليه شيء وأما الجمع بين قوله (ولا يتساءلون) وبين قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فظاهر لان هذا في صفة أهل الموقف وذلك في صفة أهل الجنة ولو سلم أن كليهما في وصف أهل الموقف فلن نسلم اتحاد المواطن والازمنة وغيرها من الاعتبارات التي يقع فيها التساؤل كحقوق النسب ونحوها عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة مواطن تذهل فيها كل نفس حين يرمى الى كل انسان كتابه وعند الموازين وعلى جسر جهنم وقد مر مثل آية الموازين في أول الاعراف فليرجع الى هنالك وقوله (في جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم ولا محل له كالمبدل فان الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لأولئك أو خبر مبتدا محذوف ومعنى خسران أنفسهم امتناع انتفاعهم بها وقال ابن عباس خسروها بأن صارت منازلهم للمؤمنين ومعنى (تلفح) تسفع أي تضرب وتأكل لحومهم وجلودهم النار قاله ابن عباس وعن الزجاج ان اللفح والنفح واحد الا ان اللفح أشد تأثيرا والكلوح أن يتقلص الشفتان عن الاسنان كالرؤس المشوية يروى أن عتبة الغلام مر في السوق برأس أخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة أيام ولياليهن وعن

---

عون عن الحسن في قوله سامرا تهجرون رسولي حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قال الحسن تهجرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة تهجرون يقول يقولون سوأ حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن تهجرون كتاب الله ورسوله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله تهجرون يقول يقولون المنكر والخنا من القول كذلك هجر القول * وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا القراءة التي عليها قراء الامصار وهي فتح التاء وضم الجيم لاجماع الحجة من القراء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون﴾ يقول تعالى ذكره أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه فيعلموا ما فيه من العبر ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليهم فيه أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين يقول أم جاءهم أمر مالم يأت من قبلهم من أسلافهم فاستكبروا ذلك وأعرضوا فقد جاءت الرسل من قبلهم وأنزلت معهم الكتب وقد يحتمل أن تكون أم في هذا الموضع بمعنى بل فيكون تأويل الكلام أفلم يدبروا القول بل جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين فتركوا لذلك التدبر وأعرضوا عنه اذ لم يكن فيمن سلف من آبائهم ذلك وقد ذكر عن ابن عباس في ذلك نحو هذا القول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة عن ابن عباس في قوله أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين قال لعمري لقد جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين ولكن أولم يأتهم مالم يأت آباءهم الاولين وقوله أم لم يعرفوا رسولهم يقول تعالى ذكره أم لم يعرف هؤلاء المكذبون محمدا وأنه من أهل الصدق والامانة فهم له منكرون يقول فينكروا قوله أولم يعرفوه بالصدق ويحتجوا بأنهم لا يعرفونه يقول جل ثناؤه فكيف يكذبونه وهم يعرفونه فيهم بالصدق والامانة أم يقولون به جنة يقول أيقولون بمحمد جنون فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يفهم ولا يدري ما يقول بل جاءهم بالحق يقول تعالى ذكره فان يقولوا ذلك فكذبهم في قيلهم ذلك واضح بين وذلك أن المجنون يهذي فيأتي من الكلام بما لا معنى له ولا يعقل ولا يفهم والذي جاءهم به محمد هو الحكمة التي لا أحكم منها والحق الذي لا تخفى صحته على ذي فطرة صحيحة فكيف يجوز أن يقال هو كلام مجنون وقوله وأكثرهم للحق كارهون يقول تعالى ذكره ما بهؤلاء الكفرة أنهم لم يعرفوا محمدا بالصدق ولا أن محمدا عندهم مجنون بل قد علموه صادقا محقا فيما يقول وفيما يدعوهم اليه ولكن أكثرهم للاذعان للحق كارهون ولاتباع محمد ساخطون حسدا منهم له وبغيا عليه واستكبارا في الارض ۞ القول

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون﴾ يقول تعالى ذكره ولو عمل الرب تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون وأجرى التدبير على مشيئتهم وارادتهم وترك الحق الذى هم له كارهون لفسدت السموات والارض ومن فيهن وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الامور والصحيح من التدبير والفاسد فلو كانت الامور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع ايثار أكثرهم الباطل على الحق لم تقر السموات والارض ومن فيهن من خلق الله لان ذلك قام بالحق * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا السدى عن أبى صالح ولو اتبع الحق أهواءهم قال الله * قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح ولو اتبع الحق أهواءهم قال الحق هو الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولو اتبع الحق أهواءهم قال الحق الله وقوله بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون اختلف أهل التأويل فى تأويل الذكر فى هذا الموضع فقال بعضهم هو بيان الحق لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله بل أتيناهم بذكرهم يقول بينا لهم * وقال آخرون بل معنى ذلك بل أتيناهم بشرفهم وذلك أن هذا القرآن كان شرفا لهم لانه نزل على رجل منهم فأعرضوا عنه وكفروا به وقالوا ذلك نظير قوله وانه لذكر لك ولقومك وهذان القولان متقاربا المعنى وذلك أن الله جل ثناؤه أنزل هذا القرآن بيانا بين فيه ما لخلقه اليه الحاجة من أمر دينهم وهو مع ذلك ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم وقومه وشرف لهم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم تسئلهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم﴾ يقول تعالى ذكره أم تسأل هؤلاء المشركين يا محمد من قومك خرجا يعنى أجرا على ما جئتهم به من عند الله من النصيحة والحق فخراج ربك خير فأجر ربك على نفاذك لأمره وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك ولم يسألهم صلى الله عليه وسلم على ما أتاهم به من عند الله أجرا قال لهم كما قال الله له وأمره بقيله لهم قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وانما معنى الكلام أم تسألهم على ما جئتهم به أجرا فنكصوا على أعقابهم اذا تلوته عليهم مستكبرين بالحرم فخراج ربك خير * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير قال أجرا حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن مثله وأصل الخراج والخرج مصدران لا يجمعان وقوله وهو خير الرازقين يقول والله خير من أعطى عوضا على عمل

النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقال ابن زهرى الكلوح تكشر فى عبوس ثم بين سبحانه أنه يقال لهم حينئذ تقريعا وتوبيخا (ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) قالت المعتزلة لو كان فعل التكذيب بخلق الله تعالى لم يكن لهذا التقريع وجه وعورض بالعلم والداعى وفسرت المعتزلة الشقاوة بسوء العاقبة التى علم الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم وتفسرها الاشاعرة بما كتب الله عليهم فى الازل من الكفر وسائر المعاصى أن يعملوها حتى يؤول حالهم الى النار ومعنى غلبة الشقاوة على هذا التفسير ظاهر وأما على تفسير المعتزلة (٣٣) فقد قال جار الله معناه ملكتنا وأخذت منا وقال الجبائى أراد طلبنا اللذات المحرمة وحرصنا على العمل القبيح ساقنا الى هذه الشقاوة فأطلق اسم المسبب على السبب وليس هذا باعتذار منهم لعلمهم بأن لا عذر لهم فيه ولكنه اعتراف بقيام حجة الله تعالى عليهم فى سوء صنيعهم وأجيب بأن طلب تلك اللذات لا بد أن ينتهى الى داعية يخلقها الله فيه بدليل قوله (وكنا قوما ضالين) أى فى علم الله وسابق تقديره وحمله المعتزلة على الاعتراف بأنهم اختاروا الضلال قالوا ولو كان الكفر بخلق الله لكانوا بأن يجعلوا ذلك عذرا لهم أولى وأجيب بأن فحوى الكلام يؤول الى هذا كما قررنا عن ابن عباس أن لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول منى فينادون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم فينادون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون ألفا ربنا أخرنا الى أجل قريب فيجابون أولم تكونوا أقسمتم من قبل فينادون ألفا ربنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون ألفا ربنا أخرجنا منها فيجابون اخسؤا فيها وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب أى لا يفهمون ولا يفهمون ولهذا قال جار الله (ولا تكلمون) أى فى رفع العذاب وليس نهيا عن الكلام فانها ليست بدار تكليف ولكنه تنبيه على أن العذاب لا يرفع ولا يخفف ومعنى اخسؤا انزجروا صاغرين كما تنزجر الكلاب اذا طردت يقال خسأ الكلب وخسأ نفسه يتعدى ولا يتعدى وهو المراد فى الآية ثم عدد عليهم بعض قبائحهم فى الدنيا بقوله (انه كان فريق من عبادى) هم الصحابة وقيل أهل الصفة خاصة عن الخليل وسيبويه أن السخرى بالضم والكسر مصدر سخر الا أن فى ياء النسب زيادة تأكيد وعن الكسائى والفراء أن المكسور

من الهزء والمضموم من التسخير والاستعباد والمعنى اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين (حتى أنسوكم) بتشاغلكم بهم على تلك الصفة (ذكرى) فلم تذكروني حتى تخافوني ثم ذكر من حال المؤمنين ما أوجب الحسرة والندامة للساخرين فمن قرأ (انهم) بالكسر على الاستئناف فمعناه ظاهر أي قد فازوا حيث صبروا ومن قرأ بالفتح فعلى أنه مفعول جزيتهم أي جزيتهم فوزهم ومن قرأ (قال) فالضمير لله أو لمن أمر بسؤالهم من الملائكة ومن قرأ قل فالخطاب لملك أو لبعض رؤساء أهل النار والغرض من هذا السؤال التوبيخ والتبكيت فقد كانوا لا يعدون اللبث الا في الدنيا ويظنون أن الفناء (٤٣) يدوم بعد الموت ولا اعادة فلما حصلوا في النار وأيقنوا أنهم فيها خالدون سئلوا (كم لبثتم) تنبيها لهم على أن ما ظنوه دائما طويلا فهو يسير بالاضافة الى ما أنكروه اذ لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي ولا سيما اذا كان الاول أيام سرور والثاني أيام غم وحزن واختلفوا في الارض فقيل وجه الارض حين ما كانوا أحياء فانهم زعموا أن لا حياة سواها فلما أحياهم الله تعالى وعذبوا في النار سئلوا عن ذلك توبيخا وقال آخرون المراد جوف الارض وهو القبر لظاهر لفظة في ولقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وقوله (عدد سنين) بدل من مميز كم وقيل تمييز احتج بعض من أنكر عذاب القبر بأن قوله في الارض يتناول زمان كونهم أحياء فوق الارض وزمان كونهم أمواتا في بطن الارض فلو كانوا معذبين في القبر لعلموا أن مدة مكثهم في الارض طويلة فما كانوا يقولون لبثنا يوما أو بعض يوم وأجيب بأن الجواب لا بد أن يكون على حسب السؤال وانما سئلوا عن موت لا حياة بعده الا في الآخرة وذلك لا يكون الا بعد عذاب القبر ويحتمل أن يكونوا سئلوا عن قدر اللبث الذي اجتمعوا فيه فلا يدخل في ذلك تقدم موت بعضهم على البعض فصح أن يكون جوابهم لبثنا يوما أو بعض يوم عند أنفسنا وليس هذا من قبيل الكذب اذ لعلهم نسوا ذلك لكثرة ما هم فيه من الاهوال ولقد قالوا لا نعرف من عدد السنين الا أنا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم وقد اعترفوا بهذا النسيان حيث قالوا (فاسأل العادين) أي ليس من شأننا أن نعدها لما نحن فيه من العذاب فاسأل من يقدر أن يلقي اليه فكره أو اسأل الملائكة الذين يعدون أعمار العباد ويحصون أعمالهم وعن ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين وقيل أرادوا بقولهم لبثنا يوما أو بعض يوم تصغير لبثهم وتحقيره بالاضافة الى ما وقعوا فيه وعرفوه من دوام العذاب وقد صدقهم الله في ذلك حيث قال (ان لبثتم الا قليلا) ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها بقوله (لو أنكم كنتم

---

ورزق رزقا وقوله وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم يقول تعالى ذكره وانك يا محمد لتدعو هؤلاء المشركين من قومك الى دين الاسلام وهو الطريق القاصد والصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه * القول في تأويل قوله تعالى {وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون} يقول تعالى ذكره والذين لا يصدقون بالبعث بعد الممات وقيام الساعة ومجازاة الله عباده في الدار الآخرة عن الصراط لناكبون يقول عن محجة الحق وقصد السبيل وذلك دين الله الذي ارتضاه لعباده لعادلون يقال منه قد نكب فلان عن كذا اذا عدل عنه ونكب عنه أي عدل عنه * وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله عن الصراط لناكبون قال لعادلون حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون يقول عن الحق عادلون وقوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يقول تعالى ولو رحمنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجدب وضر الجوع والهزال للجوا في طغيانهم يعني في عتوهم وجرأتهم على ربهم يعمهون يعني يترددون كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر قال الجوع * القول في تأويل قوله تعالى {ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون} يقول تعالى ذكره ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا وأنزلنا بهم بأسنا وسخطنا وضيقنا عليهم معايشهم وأجدبنا بلادهم وقتلنا سراتهم بالسيف فما استكانوا لربهم يقول فما خضعوا لربهم فينقادوا لامره ونهيه وينيبوا الى طاعته وما يتضرعون يقول وما يتذللون له وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخذ الله قريشا بسني الجدب اذ دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الخبر بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة عن الحسن عن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس قال جاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز يعني الوبر والدم فأنزل الله ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس أن ابن أثال الحنفي لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أسير فخلى سبيله فلحق بمكة فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز فجاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أليس تزعم بأنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فأنزل الله

ولقد أخذناهم بالعذاب الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال أخبرنا عمرو قال قال الحسن اذا أصاب الناس من قبل الشيطان بلاء فانما هي نقمة فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية ولكن استقبلوها بالاستغفار وتضرعوا الى الله وقرأ هذه الآية ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولقد أخذناهم بالعذاب قال الجوع والجدب فما استكانوا لربهم فصبروا وما استكانوا لربهم وما يتضرعون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه حتى اذا فتحنا عليهم باب القتال فقتلوا يوم بدر ذكر من قال ذلك حدثني اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود بن أبي هند عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قد مضى كان يوم بدر حدثنا ابن المثنى قال ثنى عبد الأعلى قال ثنا داود عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال يوم بدر ٭ وقال آخرون معناه حتى اذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضر وهو الباب ذو العذاب الشديد ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال لكفار قريش الجوع وما قبلها من القصة لهم أيضا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال وما قبلها أيضا وهذا القول الذي قاله مجاهد أولى بتأويل الآية لصحة الخبر الذي ذكرناه قبل عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة المجاعة التي أصابت قريشا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وأمر ثمامة بن أثال وذلك لا شك أنه كان بعد وقعة بدر وقوله اذا هم فيه مبلسون يقول اذا هؤلاء المشركون فيما فتحنا عليهم من العذاب حزنى نادمون على ما سلف منهم في تكذيبهم بآيات الله في حين لا ينفعهم الندم والحزن ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون﴾ يقول تعالى ذكره والله الذي أحدث لكم أيها المكذبون بالبعث بعد الممات السمع الذي تسمعون به والأبصار التي تبصرون بها والافئدة التي تفقهون بها فكيف يتعذر على من أنشأ ذلك ابتداء اعادته بعد عدمه وفقده وهو الذي يوجد ذلك كله اذا شاء ويفنيه اذا أراد قليلا ما تشكرون يقول تشكرون أيها المكذبون خبر الله من عطائكم السمع والأبصار والافئدة قليلا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذي ذرأكم

---

تعلمون) أي لو علمتم البعث والحشر لما ... ثم ... بقوله (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) أي عابثين أو للعبث وهو الفعل الذي لا غاية له صحيحة وجوز وا أن يكون قوله (وأنكم الينا لا ترجعون) معطوفا على عبثا أي للعبث ولترككم غير مرجوعين وفيه دلالة على وجوب وقوع القيامة فلولاها لم يتميز المطيع من العاصي والمحسن من المسيء ثم نزه ذاته عن كل عيب وعبث قائلا (فتعالى) الآية ووصف العرش بالكريم لنزول الرحمة أو الخير منه أو باعتبار من استوى عليه كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع وهو ظاهر ثم زيف طريقة المقلدة من أهل الشرك وقوله لا برهان له به كقوله مالم ينزل به سلطانا وهو صفة جيء بها للتأكيد لا أن بعض الآلهة قد يقوم على وجوده برهان وجوز جار الله أن يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقول القائل من أحسن الى زيد لا أحق بالاحسان اليه منه فالله مثيبه ومعنى (حسابه عند ربه) أنه بلغ عقابه الى حيث لا يقدر أحد على حسابه الا الله وقرئ أنه لا يفلح بفتح الهمزة أي حسابه عدم فلاحه فوضع الكافرون موضع الضمير جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وأورد في خواتيمها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفريقين وحين أثنى على المؤمنين في أثناء الكلام بأنهم يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين نبه في آخر السورة على أنه قول ينبغي أن يواظب المكلف عليه ففيه الانقطاع الى الله والاعراض عمن سواه والله المستعان ۞ التأويل فاذا نفخ في الصور فيه أن نفخة العناية الازلية اذا نفخت في صور القلب قامت القيامة وانقطعت الاسباب فلا يلتفت الى أحد من الانساب لا الى أهل ولا الى ولد لاشتغاله في طلب الحق واستغراقه في بحر المحبة فلا يقع بينهم التساؤل عما تركوا من أسباب الدنيا ولا عن أحوال أهاليهم واخدانهم وأوطانهم اذا فارقوها لكل امرئ منهم يومئذ في طلب الحق شان يغنيه عن طلب الغير فأولئك الذين خسروا أنفسهم لأنهم اذا خفت موازينهم عن طلب الحق وانقطع عليه الطريق بنوع من التعلقات ورجع القهقرى بطل استعداده في الطلب فان الانسان كالبيضة المستعدة لقبول تصرف دجاجة الولاية فيه وخروج الفرخ فيها فما لم تتصرف فيها الدجاجة يكون استعداده باقيا فاذا تصرفت الدجاجة فيها وانقطع تصرفها عنها بافساد البيضة فلا ينفعها التصرف بعد ذلك لفساد الاستعداد ولهذا قالت المشايخ مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة ولهذا قال في جهنم خالدون وأجيبوا بقوله اخسؤا فيها ولا تكلمون لانه ليس من سنتنا اصلاح الاستعداد بعد افساده

انه كان فريق من عبادى هم العلماء بالله النصحاء لاجله فاتخذتموهم سخريا فضربتم أنفسكم على سيوف هممهم العلية حتى أنسوكم بهممهم وبعد الرد ذكرى وكنتم منهم تضحكون لان قلوبكم قد ماتت وكثرة الضحك تميت القلب جزيتهم اليوم بما صبروا وفيه أن أهل السعادة كما ينتفعون بمعاملاتهم الصالحة مع الله ينتفعون بانكار منكريهم ومثله حال أهل الشقاء فى الجانب الآخر وهو الاسة غرار لا برهان له به أى لا يظهر عليه برهان العبادة وهو النور والضياء والبهاء والصفاء وان تقرب الى ذلك الذى عبده من دون الله بأنواع القربات

(سورة النور مدنية حروفها ٥٣٣٠ كلامها ١٣١٦ (٣٦) آياتها ٦٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم)

القرا آت فرضناها بالتشديد ابن كثير وأبو عمرو ورأفة بفتح الهمزة ابن كثير عن ابن فليح ورفعه الباقون بالاسكان وكلاهما مصدر وكذلك روى الخزاعى عن أصحابه وروى ابن شنبوذ عن البزى ههنا وفى الحديد متحركة الهمزة وعن قنبل ههنا بالفتح وفى الحديد بالسكون وقرأ أبو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف بغير همز أربع شهادات بالرفع حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد الآخرون بالنصب على اعمال المصدر فيما فى حكم المصدر والتقدير فواجب شهادة أحدهم شهادات أربعا أن مخففة لعنة الله بالرفع نافع وسهل ويعقوب والمفضل الباقون بالتشديد والنصب والخامسة الثانية بالنصب حفص على معنى وتشهد الشهادة الخامسة أن مخففا غضب فعلا ماضيا الله بالرفع نافع والمفضل أن بالتخفيف غضب الله بالرفع سهل ويعقوب الباقون أن غضب الله بالتشديد والنصب

فقرأه

---

فى الارض واليه تحشرون) يقول تعالى ذكره والله الذى خلقكم فى الارض واليه تحشرون من بعد مماتكم ثم تبعثون من قبوركم الى موقف الحساب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون) يقول تعالى ذكره والله الذى يحيى خلقه يقول يجعلهم أحياء بعد أن كانوا نطفا أمواتا بنفخ الروح فيها بعد التارات التى تأتى عليها ويميت يقول ويميتهم بعد أن أحياهم وله اختلاف الليل والنهار يقول وهو الذى جعل الليل والنهار مختلفين كما يقال فى الكلام لك المنّ والفضل بمعنى انك تمنّ وتفضل وقوله أفلا تعقلون يقول أفلا تعقلون أيها الناس أن الذى فعل هذه الافعال ابتداء من غير أصل لا يمتنع عليه احياء الاموات بعد فنائهم وانشاء ما شاء اعدامه بعد انشائه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) يقول تعالى ذكره ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله ولا تدبروا ما احتج عليهم من الحجج والدلالة على قدرته على فعل كل ما يشاء ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الامم المكذبة رسلها قبلهم قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما يقول أئذا متنا وعدنا ترابا قد بليت أجسامنا ورأت عظامنا من لحومنا أئنا لمبعوثون يقول انا لمبعوثون من قبورنا أحياء كهيئتنا قبل الممات ان هذا الشئ غير كائن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين) يقول تعالى ذكره قالوا لقد وعدنا هذا الوعد الذى تعدنا يا محمد ووعد آباءنا من قبلنا قوم ذكروا أنهم لله رسل من قبلك فلم نره حقيقة ان هذا يقول ما هذا الذى تعدنا من البعث بعد الممات الا أساطير الاولين يقول ما سطره الاولون فى كتبهم من الاحاديث والاخبار التى لا صحة لها ولا حقيقة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالآخرة من قومك لمن ملك الارض ومن فيها من الخلق ان كنتم تعلمون من مالكها ثم أعلمه أنهم سيقرون بأنها لله ملكا دون سائر الأشياء غيره قل أفلا تذكرون يقول فقل لهم اذا أجابوك بذلك كذلك أفلا تذكرون فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على احيائهم بعد مماتهم واعادتهم خلقا سويا بعد فنائهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد من رب السموات السبع ورب العرش المحيط بذلك سيقولون ذلك كله لله وهو ربه فقل لهم أفلا تتقون عقابه على كفركم به وتكذيبكم خبره وخبر رسوله وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله سيقولون لله فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق والشام سيقولون الله سوى أبى عمرو فانه خالفهم

﴿الوقوف﴾ تذكرون ○ جلدة ص الآخر ○ للعدول واعتراض الشرط مع اتفاق الجملتين المؤمنين ○ مشركة ○ للتفصيل بين الحالتين مع اتفاق الجملتين شرطية ج لاختلاف الجملتين المؤمنين ○ أبدا ○ الفاسقون ○ وأصلحوا ج للفاء وان رحيم ○ بالله ط في الموضعين لان ما بعده جواب لما في حكم القسم الصادقين ○ الكاذبين ○ الصادقين ○ حكيم ○ ﴿التفسير﴾ لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاتمة السورة المتقدمة بطلب المغفرة والرحمة وطلبه يستلزم مطلوبه لا محالة بدليل سل تعط أردفه بذكر ما هو أصل كل رحمة ومنشأ كل خير فقال (سورة) أي هذه سورة (أنزلناها وفرضناها) أوفيما أوحينا اليك سورة أنزلناها وقرئ بالنصب على دونك سورة أو اتل سورة أو على شريطة التفسير وعلى هذا لا يكون لقوله أنزلناها محل من الاعراب لانها ليست بصفة وانما هي مفسرة للضمر فكانت في حكمه ومعنى انزال الوحي قد سلف في أول البقرة والفرض القطع والتقدير ولابد من تقدير مضاف لان السورة قد دخلت في الوجود فلا معنى لفرضها فالمراد فرضنا أحكامها التي فيها ومن شدد فللمبالغة أو للتكثير ففي أحكام هذه السورة كثرة ويجوز أن يرجع معنى الكثرة الى المفروض عليهم فانهم كل المكلفين من السلف والخلف وأما الآيات البينات فانها دلائل التوحيد التي يذكرها الله تعالى بعد الاحكام والحدود ويؤيده قوله (لعلكم تذكرون) فان الاحكام والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكرها بخلاف دلائل التوحيد فانها كالمعلومة لظهورها فيكفي فيها التذكر وقال أبو مسلم هي الحدود والاحكام أيضا ولا بعد في تسميتها آيات كقول زكريا رب اجعل لي آية سأل ربه أن يفرض عليه عملا وقال القاضي أراد بها الاشياء المباحة المذكورة في السورة بينها الله تعالى لاجل التذكر فمن جملة الاحكام حكم الزنا قال الخليل وسيبويه رفعهما على الابتداء والخبر محذوف ولابد من تقدير مضاف أي فيما فرض عليكم جلد الزانية والزاني أو فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزاني وقال آخرون الخبر فاجلدوا والفاء لتضمن معنى الشرط فان الالف واللام بمعنى الموصول تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوا وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من نصب سورة أنزلناها لاجل الامر فان الطلب من مظان الفعل والجلد ضرب الجلد كما يقال رأسه أي ضرب رأسه وكذلك في سائر الاعضاء بعد ثبوت السماع وفيه اشارة الى ان اقامة هذا الحد ينبغي أن يكون على الاعتدال بحيث لا يتجاوز الالم من الجلد الى اللحم فعلى الامام أن ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف

فقرأه سيقولون لله في هذا الموضع وفي الآخر الذي بعده اتباعا لخط المصحف فان ذلك كذلك في مصاحف الامصار الا في مصحف أهل البصرة فانه في الموضعين بالالف فقرؤا بالالف كلها اتباعا لخط مصحفهم فأما الذين قرؤه بالالف فلا مؤنة في قراءتهم ذلك كذلك لانهم أجروا الجواب على الابتداء ورد وا مرفوعا على مرفوع وذلك أن معنى الكلام على قراءتهم قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون رب ذلك الله فلا مؤنة في قراءة ذلك كذلك وأما الذين قرؤا ذلك في هذا والذي يليه بغير ألف فانهم قالوا معنى قوله قل من رب السموات لمن السموات لمن ملك ذلك فجعل الجواب على المعنى فقيل لله لان المسئلة عن ملك ذلك لمن هو قالوا وذلك نظير قول قائل لرجل من مولاك فيجيب المجيب عن معنى ما سئل فيقول أنا لفلان لانه مفهوم بذلك من الجواب ما هو مفهوم بقوله مولاى فلان وكان بعضهم يذكر أن بعض بني عامر أنشده

وأعلم أنني سأكون رمسا * اذا سار النواعج لا يسير

فقال السائلون لمن حفرتم * فقال المخبرون لهم وزير

فأجاب المخفوض بمرفوع لان معنى الكلام فقال السائلون من الميت فقال المخبرون الميت وزير فأجابوا عن المعنى دون اللفظ والصواب من القراءة في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بهما علماء من القراء متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أني مع ذلك أختار قراءة جميع ذلك بغير ألف لاجماع خطوط مصاحف الأمصار على ذلك سوى خط مصحف أهل البصرة ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ (قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد من بيده خزائن كل شئ كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ملكوت كل شئ قال خزائن كل شئ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مجاهد في قول الله قل من بيده ملكوت كل شئ قال خزائن كل شئ وقوله وهو يجير من أراد ممن قصده بسوء ولا يجار عليه يقول ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء فيدفع عنه عذابه وعقابه ان كنتم تعلمون من ذلك صفته فانهم يقولون ان ملكوت كل شئ والقدرة على الاشياء كلها لله فقل لهم يا محمد فأنى تسحرون يقول فمن أي وجه تصرفون عن التصديق بآيات الله والاقرار بأخباره وأخبار رسوله والايمان بان الله القادر على كل ما يشاء وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول في معنى قوله تسحرون

يضرب فالرجل يجلد قائما على تجرده ليس عليه ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا على الاعضاء كلها الا الوجه والفرج والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو والصحيح أن الزنا من الكبائر ولهذا قرنه الله تعالى بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون وقد وفى فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه الرجم الذي هو أشنع أنواع القتل ونهى المؤمنين عن الرأفة بهما وأمر بشهود طائفة للتشهير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما التي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما التي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار



واعلم أن البحث في هذه الآية يقع عن أمور أحدها عن ماهية الزنا وثانيها عن أحكام الزنا وثالثها في الشرائط المعتبرة في كون الزنا موجبا لتلك الاحكام ورابعها في الطريق الذي به يعرف حصول الزنا وخامسها عن كيفية اقامة هذا الحد الاول قد حده علماء الشافعية بأنه عبارة عن ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا قالوا فيدخل فيه اللواطة لانها مثل الزنا صورة وذلك ظاهر لحصول معنى الانفراج في الدبر أيضا ومعنى لانهما يشتركان في المعاني المتعلقة بالشهوة من الحرارة واللين وضيق المدخل ولذلك لا يفرق أهل الطبائع بين المحلين والاكثرون على أن اللواط لا يدخل تحت الزنا للعرف ولهذا لو حلف لا يزني فلاط أو بالعكس لم يحنث ولان الصحابة اختلفوا في حكم اللواط مع كونهم عالمين باللغة وما روي عن أبي موسى الاشعري أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان محمول على اشتراكهما في الاثم بدليل قوله أيضا اذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان وقوله اليدان تزنيان والعينان تزنيان والقياس المذكور بعيد لانه لا يلزم من تسمية القبل فرجا لانفراجه أن يسمى كل منفرج كالفم والعين فرجا واعلم أن للشافعي في اللائط قولين أصحهما أن عليه حد الزنا ان كان محصنا فيرجم وان لم يكن محصنا فيجلد ويغرب والثاني قتل الفاعل والمفعول والقتل اما بحز الرقبة كالمرتد أو بالرجم وهو قول مالك وأحمد واسحق أو بالهدم عليه ويروى عن أبي بكر أو بالرمي من شاهق ويروى عن علي رضي الله عنه وذلك أن قوم لوط عذبوا بكل هذه الوجوه قال عز من قائل فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل وأما المفعول فان كان صغيرا أو مجنونا أو مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان بضع الرجل لا يتقوم وان كان مكلفا طائعا فهو كالفاعل في الاقوال وان أتى امرأة في دبرها ولا ملك ولا نكاح فالاظهر أنه لواط وحكمه ما مر وقيل زنا لانه

ما حدثني به علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فأنى تسحرون يقول تكذبون وقد بينت فيما مضى السحر وأنه تخيل الشيء الى الناظر أنه على خلاف ماهو به من هيئته فذلك معنى قوله فأنى تسحرون انما معناه فمن أي وجه يخيل اليكم الكذب حقا والفاسد صحيحا فتصرفون عن الاقرار بالحق الذي يدعوكم اليه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴾ يقول ما الامر كما يزعم هؤلاء المشركون بالله من أن الملائكة بنات الله وأن الآلهة والاصنام لهم آلهة دون الله بل أتيناهم بالحق اليقين وهو الدين الذي ابتعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وذلك الاسلام ولا يعبد شيء سوى الله لانه لا اله غيره وانهم لكاذبون يقول وان المشركين لكاذبون فيما يضيفون الى الله وينحلونه من الولد والشريك وقوله ما اتخذ الله من ولد يقول تعالى ذكره ما لله من ولد ولا كان معه في القديم ولا حين ابتدع الاشياء من تصلح عبادته ولو كان معه في القديم أو عند خلقه الاشياء من تصلح عبادته من اله اذا لذهب يقول اذا لاعتزل كل اله منهم بما خلق من شيء فانفرد به ولتغالبوا فلعلا بعضهم على بعض وغلب القوي منهم الضعيف لان القوي لا يرضى أن يعلوه ضعيف والضعيف لا يصلح أن يكون الها فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها لمن عقل وتدبر وقوله اذا لذهب جواب لمحذوف وهو لو كان معه اله اذا لذهب كل اله بما خلق اجتزئ بدلالة ما ذكر عليه عنه وقوله سبحان الله عما يصفون يقول تعالى ذكره تنزيها لله عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له ولدا وعما قالوه من أن له شريكا أو أن معه في القدم الها يعبد تبارك وتعالى وقوله عالم الغيب والشهادة يقول تعالى ذكره هو عالم ما غاب عن خلقه من الاشياء فلم يروه ولم يشاهدوه وما رأوه وشاهدوه وانما هذا من الله خبر عن هؤلاء الذين قالوا من المشركين اتخذ الله ولدا وعبدوا من دونه آلهة انهم فيما يقولون ويفعلون مبطلون مخطئون فانهم يقولون ما يقولون من قول في ذلك عن غير علم بل عن جهل منهم به وان العالم بقديم الامور وبحديثها وشاهدها وغائبها عنهم الله الذي لا يخفى عليه شيء فخبره هو الحق دون خبرهم وقال عالم الغيب فرفع عالم على الابتداء بمعنى هو عالم الغيب ولذلك دخلت الفاء في قوله فتعالى كما يقال مررت بأخيك المحسن فأحسنت اليه فترفع المحسن اذا جعلت فأحسنت اليه بالفاء لان معنى الكلام اذا كان كذلك مررت بأخيك هو المحسن فأحسنت اليه ولو جعل الكلام بالواو فقيل وأحسنت اليه لم يكن وجه الكلام في المحسن الا الخفض على النعت للأخ ولذلك لو جاء فتعالى بالواو كان وجه الكلام في عالم الغيب الخفض على الاتباع لاعراب اسم الله وكان يكون معنى الكلام

سبحان

وطء أنثى فأشبه الوطء فى القبل واذا لاط بعبده فهو كالاجنبى على الاصح ولو أتى امرأته أو جاريته فى الدبر فالاصح القطع بمنع الحد لانها محل استمتاعه وبالجملة جميع ذلك مما ذهب اليه الشافعى وقال أبو حنيفة ان اللائط لا يحد بل يعزر حجة الشافعى خبر أبى موسى الاشعرى فانه يدل على اشتراك اللواط والزنا فى الاسم والحقيقة لا أقل من اشتراكهما فى اللوازم وأيضا انه صلى الله عليه وسلم قال من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل منهما والمفعول به وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث زنا بعد احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس بغير حق وليس اللواط من قبيل الثانى والثالث فهو من الاول وأيضا قاس اللواط على الزنا (٣٩) بجامع كون الطبع داعيا اليه فيناسب الزاجر وفرق بأن الزنا أكثر وقوعا وكان الاحتياج فيه الى الزاجر أشد وبأن الزنا يقتضى فساد الانساب دون اللواط وألغى الفرق بوطء العجوز الشوهاء حجة أبى حنيفة أنه وطء لا يتعلق به المهر فلا يتعلق به الحد وضعف بفقد الجامع قال انه لا يساوى الزنا فى الحاجة الى شرع الحد لان اللواط لا يرغب فيه المفعول طبعا ولانه ليس فيه اضاعة النسب وأجيب بأن الانسان حريص على ما منع فلو لم يشرع الحد شاع اللواط وأدى الى اضاعة النسب بل الى افناء الاشخاص وانقطاع طريق التوالد والتناسل وللشافعى فى اتيان البهيمة أقوال أحدها أنه كالزنا فى أحكامه وثانيها القتل مطلقا لما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه فقيل لابن عباس ما شأن البهيمة قال لانه كره أن يؤكل لحمها وأصحها وهو قول مالك وأبى حنيفة وأحمد والثورى أن عليه التعزير لانه غير مشتهى طبعا والحديث ضعيف الاسناد وبتقدير صحته معارض بما روى أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن ذبح الحيوان الا لاكله ولا خلاف فى أن السحق واتيان الميتة والاستمناء باليد لا يشرع فيها الا التعزير البحث الثانى قدمر فى أول سورة النساء أن حكم الزانى فى أوائل الاسلام كان الحبس فى البيوت فى حق الثيب والايذاء بالقول فى حق البكر ثم نسخ بآية الزنا وبقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والخوارج أنكروا الرجم لانه لا يتنصف وقد قال تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ولانه تعالى أطنب فى أحكام الزنا بما لم يطنب فى غيره فلو كان الرجم مشروعا لكان أولى بالذكر ولان قوله الزانية والزانى يقتضى وجوب الجلد على كل الزناة وايجاب الرجم على البعض يقتضى تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وجمهور المجتهدين خالفوهم فى ذلك وأجابوا عن الاول بأن الرجم حيث لم يتنصف لم يشرع

سبحان الله عالم الغيب والشهادة وتعالى فيكون قوله وتعالى حينئذ معطوفا على سبحان الله وقد يجوز الخفض مع الفاء لان العرب قد تبتدئ الكلام بالفاء كابتدائها بالواو وبالخفض كان يقرأ عالم الغيب فى هذا الموضع أبو عمرو وعلى خلافه فى ذلك قرأة الامصار والصواب من القراءة فى ذلك عندنا الرفع لمعنيين أحدهما اجماع الحجة من القراء عليه والثانى صحته فى العربية وقوله فتعالى عما يشركون يقول تعالى ذكره فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين ووصفهم اياه بما يصفون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل رب إما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد رب ان ترينى فى هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك فلا تهلكنى بما تهلكهم به ونجنى من عذابك وسخطك فلا تجعلنى فى القوم المشركين ولكن اجعلنى ممن رضيت عنه من أوليائك وقوله فلا تجعلنى جواب لقوله اما ترينى اعترض بينهما بالنداء ولو لم يكن قبله جزاء لم يجز ذلك فى الكلام لا يقال يا زيد فقم ولا يا رب فاغفر لان النداء مستأنف وكذلك الامر بعده مستأنف لا تدخله الفاء والواو الا أن يكون جوابا لكلام قبله وقوله وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون يقول تعالى ذكره وانا يا محمد على أن نريك فى هؤلاء المشركين ما نعدهم من تعجيل العذاب لهم لقادرون فلا يحزننك تكذيبهم اياك بما نعدهم به وانما نؤخر ذلك ليبلغ الكتاب أجله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه ادفع يا محمد بالخلة التى هى أحسن وذلك الاغضاء والصفح عن جهلة المشركين والصبر على أذاهم وذلك أمره اياه قبل أمره بحربهم وعنى بالسيئة أذى المشركين اياه وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عند الله يقول له تعالى ذكره اصبر على ما تلقى منهم فى ذات الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله ادفع بالتى هى أحسن السيئة قال اعرض عن أذاهم اياك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزرى عن مجاهد ادفع بالتى هى أحسن السيئة قال هو السلام تسلم عليه اذا لقيته حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله ادفع بالتى هى أحسن السيئة قال والله لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظا ويصفح عما يكره وقوله نحن أعلم بما يصفون يقول تعالى ذكره نحن أعلم بما يصفون الله به وينحلونه من الاكاذيب والفرية عليه وبما يقولون فيك من السوء ونحن مجازوهم على جميع ذلك فلا يحزنك ما تسمع منهم من قبيح

في حق العبد فخصص العذاب بغير الرجم للدليل العقلي وعن الثاني بأن الاحكام الشرعية كانت تنزل بحسب تجدد المصالح فلعل المصلحة التي اقتضت وجوب الرجم حدثت بعد نزول هذه الآيات وعن الثالث بأن تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد جائز عندنا لأن القرآن وان كان قاطعا في متنه الا أن العام غير قاطع الدلالة فأمكن تخصيصه بالدليل المظنون سلمنا الا أن الرجم ثبت بالتواتر رواه أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم وجابر والخدري وأبو هريرة وبريدة الاسلمي وزيد بن خالد في آخرين من الصحابة وما نقل عن علي أنه جمع بين الجلد والرجم وهو اختيار أحمد واسحق وداود محمول على مثل ما روى (٤٠) عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا زنى بامرأة فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فجلد ثم أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان محصنا فأمر به فرجم وقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة متروك العمل بما روي في قصة العسيف أنه قال يا أنيس اغد على امرأة هذا فان اعترفت فارجمها ولو وجب الجلد اذ ذاك لذكره وأن قصة ماعز رويت من جهات مختلفة وليس فيها ذكر الجلد مع الرجم وكذا قصة الغامدية وروى الزهري باسناده عن ابن عباس أن عمر قال قد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى وقد قرأنا الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة فرجم النبي صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخبر أن الذي فرضه الله تعالى هذا الرجم ولو كان الجلد واجبا مع الرجم لذكره قال الشافعي يجمع بين الجلد والتغريب في حد البكر وقال أبو حنيفة يجلد وأما التغريب فمفوض الى رأي الامام وقوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وكذا ما روي عن الصحابة أنهم جلدوا ونفوا منسوخ أو محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب وقال مالك يجلد الرجل ويغرب وتجلد المرأة بلا تغريب حجة الشافعي حديث عبادة البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وقد ورد مثله في قصة العسيف حجة أبي حنيفة أن ايجاب التغريب يقتضي نسخ القرآن بخبر الواحد بيانه أن ايجاب الجلد مرتب على الزنا بالفاء التي هي للجزاء ومعنى الجزاء كونه كافيا في ذلك الباب منه قوله صلى الله عليه وسلم يجزيك ولا يجزي أحدا بعدك وايجاب شيء آخر غير الجلد يقتضي نسخ كونه كافيا ولو كان النفي مشروعا لوجب على النبي صلى الله عليه وسلم توقيف الصحابة

---

القول وقوله وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد رب أستجير بك من خنق الشياطين وهمزاتها والهمز هو الغمز ومن ذلك قيل للهمز في الكلام همزة والهمزات جمع همزة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين قال همزات الشياطين خنقهم الناس فذلك همزاتهم وقوله وأعوذ بك رب أن يحضرون يقول وقل أستجير بك رب أن يحضرون في أموري كالذي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأعوذ بك رب أن يحضرون في شيء من أمري

۞ القول في تأويل قوله تعالى (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) يقول تعالى ذكره حتى اذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت وعاين نزول أمر الله به قال لعظيم ما يعاين مما يقدم عليه من عذاب الله تندما على ما فات وتلهفا على ما فرط فيه قبل ذلك من طاعة الله ومسئلته للاقالة رب ارجعون الى الدنيا فردوني اليها لعلي أعمل صالحا يقول كي أعمل صالحا فيما تركت قبل اليوم من العمل فضيعته وفرطت فيه * وبنحو الذي قلنا فيه قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر قال كان محمد بن كعب القرظي يقرأ علينا حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون قال محمد الى أي شيء يريد الى أي شيء يرغب أجمع المال أو غرس الغراس أو بنى بنيانا أو شق أنهارا ثم يقول لعلي أعمل صالحا فيما تركت يقول الجبار كلا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله رب ارجعون قال هذه في الحياة الدنيا ألا تراه يقول حتى اذا جاء أحدهم الموت قال حين تنقطع الدنيا ويعاين الآخرة قبل أن يذوق الموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان فيقول بل قدماني الى الله وأما الكافر فيقال نرجعك فيقول ارجعوني لعلي أعمل صالحا فيما تركت الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون يعني أهل الشرك وقيل رب ارجعون فابتدأ الكلام بخطاب الله تعالى ثم قيل ارجعون فصار الى خطاب الجماعة والله تعالى ذكره واحد وانما فعل ذلك كذلك لأن مسألة القوم الرد الى الدنيا انما كانت منهم للملائكة الذين يقبضون روحهم كما ذكر ابن جريج أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله وانما ابتدئ الكلام بخطاب الله جل ثناؤه لأنهم استغاثوا به ثم رجعوا الى مسئلة الملائكة الرجوع والرد الى الدنيا وكان

عليه عند تلاوة هذه الآية ولو فعل لاشتهر وقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الامة اذا زنت فاجلدوها فان زنت فاجلدوها فان زنت فبيعوها والاستدلال به أنه لم يذكر النفي مع الجلد ونظيره ما روى أن شيخا وجد على بطن جارية فأتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اجلدوه مائة فقالوا انه أضعف من ذلك فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها وخلوا سبيله لا يقال انه انما لم ينفه لانه كان عاجزا عن الحركة لانا نقول كان ينبغي أن يأمر له بدابة يركبها ولا يقال لعله كان ضعيفا عن الركوب أيضا لانا نقول القادر على الجماع كيف لا يقدر على الاستمسالك وأيضا الامر بالنفي لو كان مشروعا لزم في حق العبد الاضرار بسيده في مدة غيبته وفي حق المرأة الاضرار بزوجها وكذا من يؤمر أن يكون معها من محارمها أو من النسوة الثقاة مع انفتاح باب الزنا عليها في الغربة لهذا روى عن على رضى الله عنه أنه قال في البكرين اذا زنيا يجلدان ولا ينفيان فان نفيهما من الفتنة وعن ابن عمر أن امرأة زنت فجلدها ولم ينفها وأيضا النفي نظير القتل لقوله تعالى اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم فاذا لم يشرع القتل في حد البكر وجب أن لا يشرع نظيره وهو التغريب وأجيب بأن ايجاب الجلد مفهوم مشترك بين ايجاب الجلد مع ايجاب التغريب وبين ايجابه مع نفي التغريب فلا اشعار في الآية باحد القسمين الا أن عدم التغريب موافق للبراءة الاصلية فايجابه بخبر الواحد لا يزيل الا محض البراءة فلا يلزم نسخ القرآن به وهو قول الادباء ان الجزاء سمى جزاء لانه كاف في الشرط لا يصلح حجة في الأحكام ولا استبعاد في عدم اشتهار بعض الأحكام كأكثر المخصصات والأخبار الواردة في نفي التغريب معارضة بما روى أبو على في جامعه أنه صلى الله عليه وسلم جلد وغرب ولا بعد في أن يكون القادر على الزنا عاجزا عن الاستمسالك على الدابة والاضرار بالسيد قد يجوز للضرورة كالعبد المرتد يقتل



وعلى هذا يغرّب نصف سنة على الأصح لأنه يقبل التنصيف وقيل سنة كاملة لأن التغريب للايحاش وهذا معنى يرجع الى الطبع فيستوى فيه الحر والعبد كمدة الايلاء والعنة وأما المرأة فلا تغرّب وحدها لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرأة أن تسافر الا ومعها ذو محرم فان تبرع المحرم أو نسوة ثقاة فذاك والا أعطى أجرتهم من مالها أو من بيت المال فيه قولان وتنتفى التهمة حينئذ مع أن أكثر الزنا انما يقع بالالف والمؤانسة وفراغ القلب وفي التغريب الأغلب هو الوحشة والتعب واما أن النفي يشبه القتل فسلم من بعض الوجوه لا من كلها واعلم أن قولنا الزانية والزاني اما مطلق دال على الجنسين المنافيين لجنس العفيفة والعفيف أو عام يشمل

---

بعض نحويي الكوفة يقول قيل ذلك كذلك لانه مما جرى على وصف الله نفسه من قوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ في غير مكان من القرآن فجرى هذا على ذلك وقوله كلا يقول تعالى ذكره ليس الامر على ما قال هذا المشرك لن يرجع الى الدنيا ولن يعاد اليها انها كلمة هو قائلها يقول هذه الكلمة وهو قوله رب ارجعون كلمة هو قائلها يقول هذا المشرك هو قائلها كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كلا انها كلمة هو قائلها لا بد له أن يقولها ومن ورائهم برزخ يقول ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع يعني الى يوم يبعثون من قبورهم وذلك يوم القيامة والبرزخ والحاجز والمهلة متقاربات في المعنى * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون يقول أجل الى حين حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد في قوله ومن ورائهم برزخ قال ما بعد الموت حدثني أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة قال ثنا أبو حيوة شريح بن يزيد قال ثنا أرطاة عن أبي يوسف قال خرجت مع أبي أمامة في جنازة فلما وضعت في لحدها قال أبو أمامة هذا برزخ الى يوم يبعثون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا مطر عن مجاهد قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال ما بين الموت الى البعث حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله برزخ الى يوم يبعثون قال حجاب بين الميت والرجوع الى الدنيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال برزخ بقية الدنيا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال البرزخ ما بين الموت الى البعث حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله فاذا نفخ في الصور من النفختين أيتهما عنى بها فقال بعضهم عنى بها النفخة الأولى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم قال ثنا عمرو بن مطرف عن المنهال ابن عمرو عن سعيد بن جبير أن رجلا أتى ابن عباس فقال سمعت الله يقول فلا أنساب بينهم يومئذ الآية وقال في آية أخرى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال أما قوله فلا أنساب بينهم يومئذ

كل ن اتصف بهذه الفعلة الشنعاء فلابد من تقييد أو تخصيص وهو البحث الثالث فنقول أجمعت الامة على أنه لابد فيه من العقل والبلوغ فلا حد على مجنون ولا على صبي لأنهما ليسا من أهل التكليف هذا في غير الرجم وأما في الرجم فلابد من شروط أخر منها الحرية بالاجماع ولا فرق بين القن والمدبر والمكاتب والمستولدة وحر البعض والسبب أن الحرية توسع طريق الحلال لان الرقيق يحتاج في النكاح الى اذن السيد ولا يجوز له أن ينكح الا امرأتين وجناية من ارتكب الحرام مع اتساع طريق الحلال أغلظ ومنها الاصابة في نكاح صحيح وقد يعبر عن هذا الشرط بشرطين أحدهما التزويج بنكاح صحيح والآخر الدخول وكيفما كان فوجه الاعتبار أنه قضى الشهوة واستوفى اللذة فحقه أن يمتنع من الحرام ويكفي في الاصابة تغييب الحشفة بلا انزال ولا يقدح وقوعها في حالة الحيض والاحرام وعدة الوطء بالشبهة ولا يحصل الاحصان بالاصابة في ملك اليمين كما لا يحصل التحليل وفي الاصابة بالشبهة وفي النكاح الفاسد قولان أحدهما أنه يفيد الاحصان لأن الفاسد كالصحيح في العدة والنسب وأصحهما المنع لأن الفاسد لا أثر له في اكمال طريق الحلال وهل يشترط أن تكون الاصابة في النكاح بعد التكليف والحرية الاصح عند امام الحرمين لا فانه وطء يحصل به التحليل فكذا الاحصان والأرجح عند معظم الأصحاب نعم لأن شرط الاصابة أن تحصل بأكمل الجهات وهو النكاح الصحيح فيعتبر حصولها من كامل وعلى هذا فهل يشترط كمال الواطئين جميعا قال أبو حنيفة نعم وهو أحد قولي الشافعي فلو كان أحدهما كاملا دون الآخر لم يصر الكامل محصنا أيضا وقال الشافعي في أصح قوليه لا بل لكل منهما حكم نفسه ومنها الاسلام عند أبي حنيفة لقوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن دون الشافعي لقوله صلى الله عليه وسلم اذا قبلوا الجزية فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ولحديث مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا فلو حكم بشرعه فظاهر ولو حكم بشريعة من قبله فقد صار شرعا له ولأن زنا الكافر مثل زنا المسلم في الحاجة الى الزاجر ولهذا قلنا اذا أقر الذمي بالزنا أقيم عليه الحد جبرا بخلاف الشرب فانه لا يعتقد تحريمه ومما احتج به لأبي حنيفة أن النعمة في حق المسلم أعظم فكانت جنايته أغلظ كقوله يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وعورض بأن الاسلام من كسب العبد وزيادة الخدمة ان لم تكن سببا للعذر فلا أقل من أن لا تكون سببا لزيادة العقوبة قالوا احصان القذف يعتبر

ولا يتساءلون فذلك في النفخة الاولى فلا يبقى على الارض شئ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وأما قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فانهم لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدي في قوله فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال في النفخة الاولى حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فذلك حين ينفخ في الصور فلا حي يبقى الا الله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فذلك اذا بعثوا في النفخة الثانية * قال أبو جعفر فعنى ذلك على هذا التأويل فاذا نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فلا أنساب بينهم يومئذ يتواصلون بها ولا يتساءلون ولا يتزاورون فيتساءلون عن أحوالهم وأنسابهم * وقال آخرون بل عنى بذلك النفخة الثانية ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن هرون بن أبي وكيع قال سمعت زاذان يقول أتيت ابن مسعود وقد اجتمع الناس اليه في داره فلم أقدر على مجلس فقلت يا أبا عبد الرحمن من أجل أني رجل من العجم تحقرني قال ادن قال فدنوت فلم يكن بيني وبينه جليس فقال يؤخذ بيد العبد أو الامة يوم القيامة على رؤس الاولين والآخرين قال وينادي مناد ألا ان هذا فلان بن فلان فمن كان له حق قبله فليأت الى حقه قال فتفرح المرأة يومئذ أن يكون لها حق على ابنها أو على أبيها أو على أخيها أو على زوجها فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن هرون بن عنترة عن زاذان قال سمعت ابن مسعود يقول يؤخذ العبد أو الامة يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادي مناد ثم ذكر نحوه وزاد فيه فيقول الرب تبارك وتعالى للعبد أعط هؤلاء حقوقهم فيقول أي رب فنيت الدنيا فمن أين أعطيهم فيقول للملائكة خذوا من أعماله الصالحة وأعطوا كل انسان بقدر طلبته فان كان له فضل مثقال حبة من خردل ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة ثم تلا ابن مسعود ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة ربنا فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها الى سيآته وصكوا له صكا الى النار * قال ثنا الحسين قال ثني حجاج فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال لا يسأل أحد يومئذ بنسب شيأ ولا يتساءلون ولا يمت اليه برحم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني محمد بن كثير عن حفص بن المغيرة عن قتادة قال ليس شئ أبغض الى الانسان يوم القيامة من أن يرى من يعرفه مخافة أن يذوب له عليه شئ ثم قرأ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه * قال ثنا الحسن قال ثنا الحكم بن سنان

فيه الاسلام بالاجماع فكذا الاحصان الرجم والجامع كمال النعمة وأجيب بان حد القذف لرفع العار كرامة للمقذوف والكافر لايكون محلا للكرامة وصيانة للعرض والجواب عن الحديث بأنا لانسلم أن الذمي مشرك سلمنا لكن الاحصان قد يراد به التزويج كقوله فاذا أحصن والذمي الثيب محصن بهذا التفسير فوجب رجمه لقوله صلى الله عليه وسلم وزنا بعد احصان ولقوله عليهم ما على المسلمين قال بعض أهل الظاهر عموم قوله الزانية والزاني يقتضي وجوب المائة على العبد والامة الا أنه ورد النص بالتنصيف في حق الامة فلو قسنا العبد عليها لزم تخصيص عموم الكتاب بالقياس ومنهم من قال الامة اذا تزوجت فعليها خمسون لقوله فاذا أحصن (٤٣) أي تزوجن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات فاذا لم تتزوج فعليها المائة لعموم قوله الزانية واتفاق الجمهور على حذف هذين وقال الشافعي وأبو حنيفة الذمي يجلد للعموم ولأنه صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين فالجلد أولى وقال مالك لايجلد بناء على أن الكفار ليسوا مخاطبين بالفروع * البحث الرابع في طريق معرفة الزنا وأنه ثلاثة الاول أن يراه الامام بنفسه فيجيء الخلاف في أن القاضي هل له أن يقضي بعلمه أم لا رجح كلا مرجحون وجه القضاء أنه يقضي بالظن وذلك عند شهادة شاهدين فلأن يقضي بالعلم أولى ووجه عدم القضاء ان فيه تهمة والتهمة تمنع القضاء ولهذا لا يقضي القاضي لولده ووالده وهذا الوجه في حدود الله تعالى أرجح لأن الحاكم فيه مأمور بالستر ولهذا قال النبي في قصة اللعان لو كنت راجما بغير بينة لرجمتها ولا فرق على القولين أن يحصل العلم للقاضي في زمان ولايته ومكانها أو في غيرهما وعن أبي حنيفة أنه ان حصل له العلم فيهما قضى بعلمه والا فلا الطريق الثاني الاقرار ويكفي عند الشافعي مرة واحدة وقال أبو حنيفة لا بد من أربع مرات في أربع مجالس وجوز أحمد أن يكون المجالس واحدا حجة الشافعي قصة العسيف فان اعترفت فارجمها والقياس على الاقرار بالقتل والردة مع أن الصارف عن الاقرار بالزنا قوي [illegible] والعار في الحال والقتل أو الالم الشديد في المآل فالاقدام على الاقرار مع هذا الصارف لايكون الا عن صدق ويقين حجة أبي حنيفة قصة ماعز فانه أعرض عنه صلى الله عليه وسلم عنه مرات حتى قال أبو بكر له بعدما أقر ثلاث مرات لو أقررت الرابعة لرجمك رسول الله صلى الله عليه وسلم والقياس على الشهادة وأجيب بأنه لا منافاة بين القضيتين فان الاولى محمولة على أقل المراتب والثانية على كمالها والفرق أن المقذوف لو أقر بالزنا مرة سقط الحد عن القاذف ولو شهد اثنان بزناه لم يسقط الطريق الثالث الشهادة وأجمعوا على أنه لا بد من شهود أربعة من الرجال لقوله

عن سدوس صاحب السابري عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد من أهل العرش يا أهل التظالم تداركوا مظالمكم وادخلوا الجنة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾ يقول تعالى ذكره فمن ثقلت موازينه موازين حسناته وخفت موازين سيآته فأولئك هم المفلحون يعني الخالدون في جنات النعيم ومن خفت موازينه يقول ومن خفت موازين حسناته فرجحت بها موازين سيآته فأولئك الذين خسروا أنفسهم يقول غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله في جهنم خالدون يقول هم في نار جهنم وقوله تلفح وجوههم النار يقول تسفع وجوههم النار كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس تلفح وجوههم النار قال تنفح وهم فيها كالحون والكلوح أن تتقلص الشفتان عن الاسنان حتى تبدو الاسنان كما قال الاعشى

وله المقدم لا مثل له * ساعة الشدق عن الناب كالح

فتأويل الكلام يسفع وجوههم لهب النار فتحرقها وهم فيها متقلصو الشفاه عن الاسنان من احراق النار وجوههم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثني عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله وهم فيها كالحون يقول عابسون حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله في قوله وهم فيها كالحون قال ألم تر الى الرأس المشيط قد بدت أسنانه وقلصت شفتاه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله قرأ هذه الآية تلفح وجوههم النار الآية قال ألم تر الى الرأس المشيط بالنار وقد قلصت شفتاه وبدت أسنانه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وهم فيها كالحون قال ألم تر الى الغنم اذا مست النار وجوهها كيف هي ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهم ألم تكن آياتي تتلى عليكم يعني آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون وترك ذكر يقال لدلالة الكلام عليه قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة غلبت علينا شقوتنا بكسر الشين وبغير ألف وقرأته عامة قراء أهل الكوفة شقاوتنا بفتح الشين والالف والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان وقرأ بكل

تعالى فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ولقوله ثم لم يأتوا بأربعة شهداء والشهادة على الاقرار بالزنا كالشهادة على الزنا فى أنه لا بد من شهود أربعة وفى قول يكفى فيه اثنان لان الفعل مما يعسر الاطلاع عليه فلزم الاحتياط فيه باشتراط الاربعة والاقرار أمر ظاهر فيكفى فيه رجلان * البحث الخامس أجمعت الامة على أن المخاطب بقوله فاجلدوا هو الامام حتى احتجوا به على وجوب نصب الامام فان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقال الشافعى السيد يملك اقامة الحد على مملوكه وهو قول ابن مسعود وابن عمر وفاطمة وعائشة وقال أبو حنيفة وأصحابه لا يملك حجة الشافعى أنه صلى الله عليه وسلم قال أقيموا الحدود (٤٤) على ما ملكت أيمانكم وعن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا زنت أمة أحدكم فليجلدها وحمل الاول على رفع القضية الى الامام حتى يقيم واعليهم الحدود وحمل الثانى على التعزير خلاف الظاهر وأيضا ان ولاية السيد على العبد فوق الولاية بالبيعة فكان أولى وأيضا الاجماع على أن السيد يملك التعزير مع أنه فى محل الاجتهاد فلأن يملك الحد مع التنصيص عليه أولى حجة أبى حنيفة فى قوله فاجلدوا والخطاب للأمة بالاتفاق ولم يذكر فرق بين الأحرار المحدودين وبين العبيد وأيضا لو جاز للمولى أن يسمع شهادة الشهود على عبده بالسرقة فيقطعه فلو رجعوا عن شهادتهم لوجب أن يتمكن من تضمين الشهود وليس له ذلك بالاتفاق لأنه ليس لأحد أن يحكم لنفسه وأيضا المالك فى محل التهمة لانه قد يشفق على ملكه فلا يستوفى الحد أجابت الشافعية بأن عدم ذكر الفرق لا يدل على عدم الفرق مع أن الكلام فى جواز اقامة السيد الحد لا فى وجوبه فالامام يملك حد العبد فى الجملة وذلك كاف فى بقاء الآية على عمومها وعن الثانى بأن للشافعى فى القطع والقتل قولين أحدهما يجوز لما روى أن ابن عمر قطع عبداله سرق وثانيهما لا وهو قول مالك ان القطع للامام بخلاف الجلد لان المولى يملك جنس الجلد وهو التعزير وفى سماع المولى الشهادة أيضا وجهان فاذا فقد الامام فليس لآحاد الناس اقامة هذه الحدود بل ينبغى أن يعينوا واحدا من الصلحاء ليقوم بها وفى الخارجى المتغلب خلاف * البحث السادس فى كيفية اقامة الحد انه فيها سبحانه قد أشار الى أن هذا الحد يجب أن لا يكون فى غاية العنف بلفظ الجلد كما مر والى أنه يجب أن لا يكون فى غاية الرفق بقوله (ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله) وذلك اما بأن يترك الحد رأسا أو ينقص شئ منه أو يخفف بحيث لا يحس الزانى بالالم وفى معناه أن يفرق على الايام كأن يضرب كل يوم سوطا أو سوطين وان ضرب كل يوم عشرين مثلا كان محسوبا لحصول التكليف والاولى أن لا يفرق وأكد هذا المعنى بقوله (ان كنتم

واحدة منها علماء من القراء بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام قالوا ربنا غلبت علينا ما سبق لنا فى سابق علمك وخط لنا فى أم الكتاب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد قوله غلبت علينا شقوتنا قال التى كتبت علينا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله غلبت علينا شقوتنا التى كتبت علينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال قال ابن جريج بلغنا أن أهل النار نادوا خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فلم يجيبوهم ما شاء الله فلما أجابوهم بعد حين قالوا ادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال قال ثم نادوا مالكا يا مالك ليقض علينا ربك فسكت عنهم مالك خازن جهنم أربعين سنة ثم أجابهم فقال انكم ماكثون ثم نادى الاشقياء ربهم فقالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا ثم أجابهم بعد ذلك تبارك وتعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون * قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله قال ينادى أهل النار أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله ثم يقال أجيبوهم وقد قطع الرحم والرحمة فيقول أهل الجنة يا أهل النار عليكم غضب الله يا أهل النار عليكم لعنة الله يا أهل النار لا لبيكم ولا سعديكم ماذا تقولون فيقولون ألم نك فى الدنيا آباءكم وأبناءكم واخوانكم وعشيرتكم فيقولون بلى فيقولون أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين * قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى * قال وثنى عبدة المروزى عن عبد الله بن المبارك عن عمرو بن أبى ليلى قال سمعت محمد بن كعب زاد أحدهما على صاحبه قال محمد بن كعب بلغنى أو ذكر لى أن أهل النار استغاثوا بالخزنة ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردوا عليهم ما قال الله فلما أيسوا نادوا يا مالك وهو عليهم وله مجلس فى وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها فقالوا يا مالك ليقض علينا ربك سألوا الموت فمكث لا يجيبهم ثمانين ألف سنة من سنى الآخرة أو كما قال ثم انحط اليهم فقال انكم ماكثون فلما سمعوا ذلك قالوا فاصبروا فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله قال فصبروا فطال صبرهم فنادوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص أى منجى فقام ابليس عند ذلك فخطبهم فقال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم قال فنودوا لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا الآية قال فيجيبهم الله

فبهذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير قال فيقولون ما أيسنا بعد قال ثم دعوا مرة أخرى فيقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون قال فيقول الرب تبارك وتعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها يقول الرب لو شئت لهديت الناس جميعا فلم يختلف منهم أحد ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا يقول بما تركتم أن تعملوا ليومكم هذا انا نسيناكم أى تركناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون قال فيقولون ما أيسنا بعد قال فيدعون مرة أخرى ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل قال فيقال لهم أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم الآية قال فيقولون ما أيسنا بعد ثم قالوا مرة أخرى ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل قال فيقول أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير الى نصير ثم مكث عنهم ما شاء الله ثم ناداهم ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون فلما سمعوا ذلك قالوا الآن يرحمنا فقالوا عند ذلك ربنا غلبت علينا شقوتنا أى الكتاب الذى كتب علينا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها الآية فقال عند ذلك اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فلا يتكلمون فيها أبدا فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهم وأقبل بعضهم ينبح فى وجه بعض فأطبقت عليهم قال عبد الله بن المبارك فى حديثه فحدثنى الأزهر ابن أبى الازهر أنه قال فذلك قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله أنه قال فوالذى أنزل القرآن على محمد والتوراة على موسى والانجيل على عيسى ما تكلم أهل النار كلمة بعدها الا الشهيق والزعيق فى الخلد أبدا ليس له نفاد * قال ثنى حجاج عن أبى معشر قال كنا فى جنازة ومعنا أبو جعفر القارئ فجلسنا فتنحى أبو جعفر فبكى فقيل له ما يبكيك يا أبا جعفر قال أخبرنى زيد بن أسلم أن أهل النار لا يتنفسون وقوله وكنا قوما ضالين يقول كنا قوما ضللنا عن سبيل الرشاد وقصد الحق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين خفت موازين صالح أعمالهم يوم القيامة فى جهنم ربنا أخرجنا من النار فان عدنا لما تكره منا من عمل فانا ظالمون وقوله قال اخسؤا فيها يقول تعالى ذكره قال الرب لهم جل ثناؤه مجيبا اخسؤا فيها أى اقعدوا فى النار يقال منه خسأت فلانا أخسؤه خسأ وخسوا وخسأ هو يخسأ وما كان خاسئا ولقد خسأ ولا تكلمون فعند ذلك أيس المساكين من الفرج ولقد كانوا طامعين فيه كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنى أبو الزعراء عن عبد الله فى قصة ذكرها فى الشفاعة قال فاذا أراد الله أن لا يخرج منها يعنى من

تؤمنون بالله واليوم الآخر) قال الجبائى فيه دلالة على أن الاشتغال باداء الواجبات من الايمان لان التقدير ان كنتم مؤمنين فلا تتركوا اقامة الحدود وأجيب بأن الرأفة لا تحصل الا اذا حكم الانسان بطبعه وأن ذلك يوجب ترك اقامة الحدود وحينئذ يكون منكر الدين فلهذا يخرج من الايمان وفى الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقال له لم فعلت ذلك فيقول رحمة لعبادك فيقول له أنت أرحم بهم منى فيؤمر به الى النار روى أبو عثمان النهدى قال أتى عمر برجل فى حد ثم جىء بسوط فيه شدة فقال أريد ألين من هذا فأتى بسوط فيه لين فقال أريد أشد من هذا فأتى بسوط بين السوطين وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أتى برجل فى حد فذهب (٥٤) الرجل ينزع قميصه وقال ما ينبغى لجسد هذا المذنب أن يضرب وعليه قميص فقال أبو عبيدة لا تدعوه ينزع قميصه وضربه عليه ولا خلاف فى أن المرأة لا يجوز تجريدها بل يربط عليها ثيابها حتى لا تنكشف ويلى ذلك منها امرأة وجوز الشافعى الضرب على الرأس لما روى أن أبا بكر قال اضرب على الرأس فان الشيطان فيه وقال أبو حنيفة حكم الرأس حكم الوجه لان الموضحة وسائر الشجاج حكمها فى الرأس وفى الوجه واحد وأما فى سائر البدن فلا يجب الا الحكومة وأيضا ان ضرب الرأس يوجب فى الاغلب ظلمة البصر ونزول الماء واختلاط العقل كالوجه فانه أيضا عرضة للآفات وفيه الاعضاء الشريفة اللطيفة وللشافعى أن يقول انما يحترم الوجه لما جاء فى الحديث ان الله تعالى خلق آدم على صورته وهذا المعنى مفقود فى الرأس ولتكن اقامة الحد فى وقت اعتدال الهواء الا اذا كان رجما فان المقصود وهو قتله لا يتفاوت بذلك ولهذا يرجم المريض أيضا فى مرضه وقيل ان كان مرضا يرجى برؤه يؤخر كما فى الجلد لأنه ربما يرجع عن اقراره فى حال الرجم وقد أثر الرجم فى بدنه فتعين شدة الحر والبرد مع المرض على اهلاكه وهذا بخلاف ما ثبت بالبينة فانه لا يسقط وفى الجلد ان كان المرض مما لا يرجى زواله كالسل والزمانة فلا يؤخر سواء زنى فى حال الصحة أو فى حال المرض ولكن لا يضرب بالسياط عند الشافعى لأن المقصود ليس موته بل يضرب بعثكال عليه مائة شمراخ كما روى أن مقعدا أصاب امرأة فأمر النبى صلى الله عليه وسلم فأخذوا مائة شمراخ فضربوه بها ضربة واحدة والاثكال والعثكال الغصن الذى عليه فروع خفيفة من النخل أو من غيره وعند أبى حنيفة يضرب بالسياط ثم ان ثبت الزنا باقراره فمتى رجع ترك وقع به بعض الحد أو لم يقع وبه قال أبو حنيفة والشافعى والثورى وأحمد واسحق لان ماعزا لما مسته الحجارة هرب فقال صلى الله عليه وسلم هلا تركتموه وعن الحسن وابن أبى ليلى وداود

أنه لا يقبل رجوعه ويحفر للمرأة الى صدرها حتى لا تنكشف ويرمى اليها ولا يحفر للرجل كما فى حق ماعز اذ لو كان فى الحفرة لم يمكنه الهرب ولما روى أبو سعيد الخدرى فى قصته فما أوثقناه ولا حفرنا له واذا مات الزانى فى الحد يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين ومن تغليظات حد الزنا قوله سبحانه (وليشهد) ظاهره أمر للوجوب الا أن الفقهاء أجمعوا على أن حضور الجمع مستحب والمقصود اعلان اقامة الحد لما فيه من مزيد الردع ولما فيه من دفع التهمة عمن يجلد وفى لفظ العذاب دليل على انه عقوبة لا استصلاح الا أن يراد بالعذاب ما يمنع من المعاودة كالنكال وقد مر فى أول البقرة فى قوله ولهم عذاب عظيم ومعنى الطائفة قد مر فى التوبة فقال النخعى ومجاهد هى فى الآية واحد وعن عطاء وعكرمة اثنان وعن الزهرى وقتادة ثلاثة وقال ابن عباس والشافعى أربعة بعدد شهود الزنا وعن الحسن عشرة لأنها أول عقد وجوز ابن عباس الى أربعين رجلا من المصدقين بالله وحضور الامام والشهود ليس بلازم عند الشافعى ومالك لأنه صلى الله عليه وسلم لم يحضر رجم ماعز والغامدية وقال أبو حنيفة ان ثبت بالبينة وجب على الشهود أن يبدؤا بالرجم ثم الامام ثم الناس وان ثبت باقراره بدأ الامام ثم الناس ثم ذكر شيأ من خواص الزناة فقال (الزانى لا ينكح) وهو خبر فى معنى النهى كقراءة عمرو بن عبد لا ينكح بالجزم ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى أن عادتهم جارية بذلك وفى الآية أسئلة الاول كيف قدمت الزانية على الزانى فى الآية المتقدمة وعكس الترتيب فى هذه والجواب أن تلك الآية مسوقة لبيان عقوبتهما على جنايتهما وكانت المرأة أصلا فيها لأنها هى التى أطمعت الرجل فى ذلك وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل هو الاصل فى الرغبة والخطبة والثانى ما الفرق بين الجملتين فى الآية والجواب معنى الاولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفائف ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير الحسن
مرغوب فيها للأعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان لانه لا يلزم عقلا من كون الزانى كذلك أن يكون حال الزانية منحصرة فى ذلك فأخبره الله تعالى بالجملة الثانية عن هذا الانحصار الثالث أنا نرى الزانى قد ينكح المؤمنة العفيفة والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف وأيضا المؤمن قد يحل له التزوج بالمرأة الزانية الجواب للمفسرين فيه وجوه أحدها وهو الأحسن قول القفال ان اللفظ وان كان عاما الا أن المراد منه الاعم الاغلب وذلك أن الفاسق الخبيث الذى من شأنه الزنا والتقحب لا يرغب غالبا فى نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب فى فاسقة خبيثة من

النار أحداغير وجوههم وألوانهم فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيهم فيقول يا رب فيقول من عرف أحدا فليخرجه قال فيجيء الرجل فينظر فلا يعرف أحدا فيقول يا فلان يا فلان فيقول ما أعرفك فعند ذلك يقولون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيقول اخسؤا فيها ولا تكلمون فاذا قالوا ذلك انطبقت عليهم جهنم فلا يخرج منها بشر **حدثنا** تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق عن شريك عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن شهر بن حوشب عن معدى كرب عن أبى الدرداء قال يرسل أو يصب على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع فلا يغنى ذلك عنهم شيأ فيستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة فاذا أكلوه نشب فى حلوقهم فيذكرون أنهم كانوا فى الدنيا يحدرون الغصة بالماء فيستغيثون فيرفع اليهم الحميم فى كلاليب الحديد فاذا انتهى الى وجوههم شوى وجوههم فاذا شربوه قطع أمعاءهم قال فينادون مالكا ليقض علينا ربك قال فيتركهم ألف سنة ثم يجيبهم انكم ماكثون قال فينادون خزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال قال فيقولون ما نجد أحدا خيرا لنا من ربنا فينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيقول الله اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير فيدعون بالويل والشهيق والثبور **حدثنى** محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عاصم بن يوسف اليربوعى قال ثنا قطبة بن عبد العزيز الأسدى عن الاعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع ثم ذكر نحوا منه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن هرون بن عنترة عن عمرو بن مرة قال يرى أهل النار فى كل سبعين عاما ساق مالك خازن النار فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك فيجيبهم بكلمة ثم لا يرونه سبعين عاما فيستغيثون بالخزنة فيقولون لهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيجيبونهم أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات الآية فيقولون ادعوا ربكم فليس أحد أرحم من ربكم فيقولون ربنا أخرجنا منها وان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فعند ذلك ييأسون من كل خير ويأخذون فى الشهيق والويل والثبور **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة اخسؤا فيها ولا تكلمون قال بلغنى أنهم ينادون مالكا فيقولون ليقض علينا ربك فيسكت عنهم قدر أربعين سنة ثم يقول انكم ماكثون قال ثم ينادون ربهم فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يقول اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فييأس القوم فلا يتكلمون بعدها كلمة وكان انما هو الزفير والشهيق قال قتادة صوت الكافر فى النار مثل صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق **حدثنا**

شكله أو في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة لا يرغب في نكاحها الصلحاء في الأغلب وانما يرغب فيها أشكالها من الفسقة أو المشركين نظير هذا الكلام قول القائل لا يفعل الخير الا الرجل التقي وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقي وأما المحرم على المؤمنين فصرف الرغبة بالكلية الى الزواني وترك الرغبة في الصالحات لانخراطهم بسبب هذا الحصر في سلك الفسقة المتسمين بالزنا الوجه الثاني أن الالف واللام في قوله الزاني وفي قوله المؤمنين للعهد روى مجاهد وعطاء ابن أبي رباح وقتادة أنه قدم المهاجرون المدينة وليست لهم أموال ولا عشائر وبها نساء يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة ولكل واحدة منهن علامة  على بابها لتعرف بها وكان لا يدخل عليها الا زان أو مشرك فرغب فيهن ناس من فقراء المسلمين وقالوا نتزوج بهن الى أن يغنينا الله عنهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية والتقدير أولئك الزواني لا ينكحون الا تلك الزانيات وتلك الزانيات لا ينكحها الا أولئك الزواني وحرم نكاحهن بأعيانهن على المؤمنين الوجه الثالث أن هذا خبر في معنى النهي كما مر وهكذا كان الحكم في ابتداء الاسلام ثم قيل ان ذلك الحكم باق الى الآن حتى يحرم على الزاني والزانية التزوج بالعفيفة والعفيف وبالعكس ويقال هذا مذهب أبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعائشة ثم في هؤلاء من يسوي بين الابتداء والدوام فيقول كما لا يحل للمؤمن أن يتزوج بالزانية فكذلك اذا زنت تحته لا يحل له أن يقيم عليها ومنهم من يفصل لان في جملة ما منع من التزوج ما لا يمنع من دوام النكاح كالاحرام والعدة وقيل انه صار منسوخا اما بالاجماع وهو قول سعيد بن المسيب وزيف بأن الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به واما بعموم قوله وأنكحوا الايامى فانكحوا ما طاب لكم وهو قول الجبائي وضعف بأن ذلك العام مشروط بعدم الموانع السببية والنسبية ولكن هذا المانع أيضا من جملتها وسئل ابن عباس عن ذلك فأجازه وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال الوجه الرابع قول أبي مسلم ان النكاح محمول على الوطء وذلك اشارة الى الزنا أي وحرم الزنا على المؤمنين قال الزجاج هذا التأويل فاسد من جهة أن النكاح في كتاب الله لم يرد الا بمعنى التزويج ومن جهة أنه يخرج الكلام عن الفائدة اذ لا معنى لقول القائل الزاني لا يطأ الا الزانية حتى يكون وطؤه زنا ولو أريد حين التزوج فالاشكال عائد لان الزاني قد يطأ العفيفة حين يتزوج بها الحكم الثاني من أحكام السورة حد القذف والرمي قد يكون بالزنا وبغيره كالكفر والسرقة

---

الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا الحسن قال ثنا عبد الله ابن عيسى قال أخبرني زياد الخراساني قال أسنده الى بعض أهل العلم فنسيته في قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فيسكتون قال فلا يسمع فيها حس الا كطنين الطست حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون هذا قول الرحمن عز وجل حين انقطع كلامهم منه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين﴾ يقول تعالى ذكره انه وهذه الهاء في قوله انه هي الهاء التي يسميها أهل العربية المجهولة وقد بينت معناها فيما مضى قبل ومعنى دخولها في الكلام بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع كان فريق من عبادي يقول كانت جماعة من عبادي وهم أهل الايمان بالله يقولون في الدنيا يا ربنا آمنا بك وبرسلك وما جاؤا به من عندك فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا وأنت خير من رحم أهل البلاء فلا تعذبنا بعذابك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون﴾ يقول تعالى ذكره فاتخذتم أيها القائلون لربهم ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين في الدنيا القائلين فيها ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين سخريا والهاء والميم في قوله فاتخذتموهم من ذكر الفريق واختلفت القراء في قراءة قوله سخريا فقرأه بعض قراء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة فاتخذتموهم سخريا بكسر السين ويتأولون في كسرها أن معنى ذلك الهزء ويقولون انها اذا ضمت فمعنى الكلمة السخرة والاستعباد فمعنى الكلام على مذهب هؤلاء فاتخذتم أهل الايمان بي في الدنيا هزوا ولعبا تهزؤن بهم حتى أنسوكم ذكري وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة فاتخذتموهم سخريا بضم السين وقالوا معنى الكلمة في الضم والكسر واحد وحكى بعضهم عن العرب سماعا لجي ولجي ودري ودري منسوب الى الدر وكذلك كرسي وكرسي وقالوا ذلك من قيلهم كذلك نظير قولهم في جمع العصا العصي بكسر العين والعصي بضمها قالوا وانما اخترنا الضم في السخري لانه أفصح اللغتين والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فمصيب وليس يعرف من فرق بين معنى ذلك اذا كسرت السين واذا ضمت لما ذكرت من الرواية عمن سمع من العرب ما حكيت عنه ذكر الرواية به عن بعض من فرق في ذلك بين معناه مكسورة سينه ومضمومة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فاتخذتموهم سخريا قال هما مختلفتان سخريا وسخريا يقول الله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال هذا سخريا يسخرونهم والآخرون

الذين يستهزؤن بهم هم سخريا فتلك سخريا يسخرونهم عندك فسخرك رفعك فوقه والآخرون استهزؤا بأهل الاسلام هي سخريا يسخرون منهم فهما مختلفان وقرأ قول الله كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون وقال يسخرون منهم كما سخر قوم نوح بنوح اتخذوهم سخريا اتخذوهم هزؤا لم يزالوا يستهزؤن بهم وقوله حتى أنسوكم ذكرى يقول لم يزل استهزاؤكم بهم أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكرى فألهاكم عنه وكنتم منهم تضحكون كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله حتى أنسوكم ذكرى قال أنسى هؤلاء الله استهزاؤهم بهم وضحكهم بهم وقرأ ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون حتى بلغ ان هؤلاء لضالون وقوله اني جزيتهم اليوم بما صبروا يقول تعالى ذكره اني أيها المشركون بالله المخلدون في النار جزيت الذين اتخذتموهم في الدنيا سخريا من أهل الايمان بي وكنتم منهم تضحكون اليوم بما صبروا على ما كانوا يلقون بينكم من أذى سخريتكم وضحككم منهم في الدنيا انهم هم الفائزون اختلفت القراء في قراءة انهم فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة أنهم بفتح الالف من انهم بمعنى جزيتهم هذا فان في قراءة هؤلاء في موضع نصب بوقوع قوله جزيتهم عليها الان معنى الكلام عندهم اني جزيتهم اليوم الفوز بالجنة وقد يحتمل النصب من وجه آخر وهو أن يكون موجها معناه الى اني جزيتهم اليوم بما صبروا لأنهم هم الفائزون بما صبروا في الدنيا على ما لقوا في ذات الله وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة اني بكسر الالف منها بمعنى الابتداء وقالوا ذلك ابتداء من الله مدحهم وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الالف لأن قوله جزيتهم قد عمل في الهاء والميم والجزاء انما يعمل في منصوبين واذا عمل في الهاء والميم لم يكن له العمل في أن فيصير عاملا في ثلاثة الا أن ينوى به التكرير فيكون نصب أن حينئذ بفعل مضمر لا بقوله جزيتهم وان هي نصبت باضمار لام لم يكن له أيضا كبير معنى لان جزاء الله عباده المؤمنين بالجنة انما هو على ما سلف من صالح أعمالهم في الدنيا وجزاؤه اياهم وذلك في الآخرة هو الفوز فلا معنى لأن يشرط لهم الفوز بالاعمال ثم يخبر أنهم انما فازوا لأنهم هم الفائزون فتأويل الكلام اذ كان الصواب من القراءة ما ذكرنا اني جزيتهم اليوم الجنة بما صبروا في الدنيا على أذاكم بها في أنهم اليوم هم الفائزون بالنعيم الدائم والكرامة الباقية أبدا بما عملوا من صالحات الاعمال في الدنيا ولقوا في طلب رضاي من المكاره فيها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله كم لبثتم في الارض عدد سنين وفي قوله لبثنا يوما أو بعض يوم فقرأ ذلك عامة قراء

المدينة

وشرب الخمر الا أن العلماء أجمعوا على أن المراد به في الآية هو الرمي بالزنا بالقرائن منها تقدم ذكر الزنا ومنها ذكر المحصنات وهن العفائف ومنها قوله لم يأتوا بأربعة شهداء أي على صحة ما رموها به ومعلوم أن هذا العدد من الشهود غير مشروط الا في الزنا والقذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان وألفاظ القذف تنقسم الى صريح وكناية وتعريض فالصريح أن يقول يا زانية أو زنيت أو زنى قبلك أو دبرك والأصح أن قوله زنى بدنك صريح لأن الفعل لكل البدن والفرج آلة والكناية أن يقول يا فاسقة يا فاجرة يا خبيثة يا بنت الحرام أو امرأته لا ترد يد لامس فهذا لا يكون قذفا الا أن يريده وكذا لو قال لعربي يا نبطي الدار واللسان وادعت أم المقول له أنه أراد القذف فالقول قوله مع يمينه والتعريض ليس بقذف كقوله يا ابن الحلال وأما أنا فلست أمي بزانية وهذا قول الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه وقال مالك يجب الحد فيه وقال أحمد واسحق هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا لنا أن الاصل براءة الذمة فلا يرجع عنه بالشك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات والايذاء الحاصل بالتصريح فوق الايذاء الحاصل بالتعريض حجة المخالف ما روى أن رجلين استبا في زمن عمر بن الخطاب فقال أحدهما للآخر والله ما أبي بزان ولا أمي بزانية فاستشار عمر الناس في ذلك فقال قائل مدح أباه وأمه وقال آخرون قد كان لأبيه وأمه مدح غير هذا فجلده عمر ثمانين واذا قذف شخصا واحدا مرارا فان أراد بالكل زنية واحدة كما لو قال مرارا زنيت بعمرو لم يجب الا حد واحد ولو أنشأ الثاني بعد ما حد للأول عزر للثاني وان أراد زنيات مختلفة كأن قال زنيت بزيد وزنيت بعمرو فالاصح تداخل الحدود لانهما حدان من جنس واحد فصار كما لو قذف زوجته مرارا يكتفي بلعان واحد واذا قذف جماعة بكلمات أو بكلمة واحدة كأن قال يا ابن الزانيين فعليه حدان لأنه قذف لكل واحد من أبويه هذا هو الجديد من قولي الشافعي وعند أبي حنيفة لا يجب الا حد واحد لان قوله والذين يرمون المحصنات معناه كل من رمى جماعة من المحصنات فاجلدوه ثمانين ولأنه صلى الله عليه وسلم قال لهلال بن أمية أو حد في ظهرك فلم يوجب عليه الا حدا واحدا مع قذفه لامرأته ولشريك بن سحماء للقياس على من زنى مرارا أو شرب أو سرق مرارا والجامع رفع مزيد الضرر وأجيب بأن قوله والذين صيغة جمع وقوله المحصنات كذلك واذا قوبل الجمع بالجمع يقابل الفرد بالفرد فيصير المعنى كل من رمى محصنة فاجلدوه وفيه أن رمي المحصنة علة الجلد فحيث وجدت وجد ولا شك أن هذه العلة موجودة عند رمي كل واحدة

من المحصنات فيترتب عليها الجلد لا محالة وأما السنة فالانصاف أن دلالتها على المطلوب قوية وأما القياس فالفرق أن هذا حق الآدمي وتلك حدود الله تعالى هذا كله هو البحث عن الرمي وأما البحث عن الرامي فنقول لا عبرة بقذف الصبي والمجنون الا في باب التعزير للتأديب ان كان لهما تمييز ولو لم يتفق اقامة التعزير على الصبي حتى بلغ قال القفال يسقط التعزير لأنه كان للزجر والعقل زاجر قوي واشارة الاخرس وكتابته قذف ولعان عند الشافعي قياسا على سائر الأحكام ولأنه كاف في لحوق العار وعند أبي حنيفة لا يصح قذفه ولعانه لضعف تأثيرهما واذا قذف العبد حرا فعليه أربعون جلدة قاله مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه  على قانون قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وعند الشيعة وروى عن علي رضي الله عنه أنه يجلد ثمانين أخذا بعموم الآية ولهذا اتفقوا على دخول الكافر فيه حتى لو قذف اليهودي مسلما جلد ثمانين ويستثنى من الرماة الاب والجد اذا قذف أولاده أو أحفاده فانه لا يجب عليه الحد كما لا يجب عليه القصاص وأما البحث عن المرمي فالمحصنات العفائف لانهن منعن فروجهن الا من أزواجهن وهي عامة الا أن الفقهاء اعتبروا لكونها محصنة شرائط خمسا الاسلام لقوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن والعقل والبلوغ لان المجنون والصبي لا اهتمام لهما بدفع العار عن أنفسهما والحرية لمثل ما قلنا والعفة لان الحد شرع لتكذيب القاذف فاذا كان صادقا فلا معنى للحد حتى لو زنى مرة في عنفوان شبابه ثم تاب وحسنت حاله لم يحد قاذفه بخلاف ما لو زنى في حال صغره أو جنونه ثم بلغ أو أفاق فقذفه قاذف فانه يحد لأن فعل الصبي والمجنون لا يكون زنا ولو زنى بعد القذف وقبل اقامة الحد على القاذف سقط الحد عن قاذفه قاله أبو حنيفة والشافعي لأن ظهور الزنا منه خدش ظن الاحصان به وقت القذف ودل على أنه كان متصفا به قبله كما روي أن رجلا زنى في عهد عمر فقال والله ما زنيت الا هذه فقال عمر كذبت ان الله لا يفضح عبده في أول مرة وقال أحمد والمزني وأبو ثور الزنا الطارئ لا يسقط الحد عن القاذف ولفظ المحصنات لا يتناول الرجال عند جمهور العلماء الا أنهم أجمعوا على أنه لا فرق في هذا الباب بين المحصنين والمحصنات والقذف بغير الزنا كأن يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق وكذا قذف غير المحصنين بالزنا لا يوجب الا التعزير ولو كان المقذوف معروفا بما ذكره فلا تعزير أيضا واعلم أنه سبحانه حكم على القاذف اذا لم يأت بأربعة شهداء بثلاثة أحكام جلد ثمانين وبطلان الشهادة

* المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة على وجه الخبر قال كم لبثتم وكذلك قوله قال ان لبثتم ووجه هؤلاء تأويل الكلام الى أن الله قال لهؤلاء الاشقياء من أهل النار وهم في النار كم لبثتم في الارض عدد سنين وأنهم أجابوا الله فقالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فنسي الاشقياء لعظيم ما هم فيه من البلاء والعذاب مدة مكثهم التي كانت في الدنيا وقصر عندهم أمد مكثهم الذي كان فيها لما حل بهم من نقمة الله حتى حسبوا أنهم لم يكونوا مكثوا فيها الا يوما أو بعض يوم ولعل بعضهم كان قد مكث فيها الزمان الطويل والسنين الكثيرة وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة على وجه الامر لهم بالقول كأنه قال لهم قولوا كم لبثتم في الارض وأخرج الكلام مخرج الامر للواحد والمعني به الجماعة اذ كان مفهوما معناه وانما اختار هذه القراءة من اختارها من أهل الكوفة لان ذلك في مصاحفهم قل بغير ألف وفي غير مصاحفهم بالألف * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ ذلك قال كم لبثتم على وجه الخبر لأن وجه الكلام لو كان ذلك أمرا أن يكون قولوا على وجه الخطاب للجمع لان الخطاب فيما قبل ذلك وبعده جرى لجماعة أهل النار فالذي هو أولى أن يكون كذلك قوله قولوا لو كان الكلام جاء على وجه الامر وان كان الآخر جائزا أعني التوحيد لما بينت من العلة لقارئ ذلك كذلك وجاء الكلام بالتوحيد في قراءة جميع القراء كان معلوما أن قراءة ذلك على وجه الخبر عن الواحد أشبه اذ كان ذلك هو الفصيح المعروف من كلام العرب فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام قال الله كم لبثتم في الدنيا من عدد سنين قالوا مجيبين له لبثنا فيها يوما أو بعض يوم فاسأل العادين لأنا لا ندري قد نسينا ذلك واختلف أهل التأويل في المعني بالعادين فقال بعضهم هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصون عليهم ساعاتهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فاسأل العادين قال الملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون بل هم الحساب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاسأل العادين قال فاسأل الحساب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فاسأل العادين قال فاسأل أهل الحساب * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فاسأل العادين وهم الذين يعدون عدد الشهور والسنين وغير ذلك وجائز أن يكونوا الملائكة وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم ولا حجة بأي ذلك من أي ثبتت صحتها فغير جائز توجيه معنى ذلك الى بعض العادين دون بعض ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون)

والحكم بفسقه الى أن يتوب فذهب جمع من الأئمة كالشافعي والليث بن سعد الى أنه رتب على القذف مع عدم الاتيان بالشهداء الاربعة أمور ثلاثة معطوفة بعضها على بعض بالواو وهو لا يفيد الترتيب فوجب أن لا يكون رد الشهادة مرتبا على اقامة الحد بل يجب أن يثبت رد الشهادة بالقذف مع عدم البينة سواء أقيم عليه الحد أم لا وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابه شهادته مقبولة ما لم يحد فاذا استوفى لم تقبل شهادته وانما ذهب الى هذا نظرا الى ظاهر الترتيب مع موافقته للاصل وهو كونه مقبول الشهادة ما لم يطرأ مانع ولقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدودا (٥٠) في قذف أخبر ببقاء عدالته ما لم يحد أما الاستثناء في قوله (الا الذين تابوا) فانه لا يرجع الى الجملة الاولى اتفاقا لأنه اذا عجز عن البينة وهو الاتيان بأربعة شهداء وجب عليه الجلد ولم يكن للامام ولا للمقذوف أن يعفو عن القاذف لانه خالص حق الله عز وجل ولهذا لا يصح أن يصالح عنه بمال هذا قول أبي حنيفة وأصحابه وقال الشافعي اذا عجز عن البينة وجب على الامام وهو المخاطب بقوله فاجلدوهم أن يأمر بجلده وان تاب لان القذف وحده حق الآدمي والمغلب فيه حقه فليس للامام أن يعفو عنه ولا خلاف في رجوع الاستثناء الى الجملة الاخيرة وأن المراد أنهم محكوم عليهم بالفسق الا ان تابوا بقي الخلاف في رجوع الاستثناء الى الجملة المتوسطة ومنشأ الخلاف مسئلة أصولية هي أن الاستثناء بعد جمل معطوف بعضها على بعض للجميع وهو مذهب الشافعية أو للاخيرة وهو مذهب الحنفية ويتفرع على مذهب الشافعي أن القاذف اذا تاب وحسنت حاله قبلت شهادته فيكون الابد مصروفا الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف ويتفرع على مذهب أبي حنيفة أنه لم تقبل شهادته وان تاب والابد عنده مدة حياته وقوله (وأولئك هم الفاسقون) جملة مستأنفة عنده لا معطوفة لأنها خبرية وما قبلها طلبية ولو سلم أنها معطوفة فالاستثناء يرجع اليها فقط قال صاحب الكشاف حق المستثنى عند الشافعي أن يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند أبي حنيفة أن يكون منصوبا لانه عن موجب قلت حقه عند الامامين أن يكون منصوبا لأن الاستثناء يعود عند الشافعي الى الجملتين ولا يمكن أن يكون الاسم الواحد معربا باعرابين مختلفين في حالة واحدة لكنه يجب نصبه نظرا الى الاخيرة فتعين نصبه نظرا الى ما قبلها أيضا وان جاز البدل في غير هذه المادة هذا وقد احتجت الشافعية أيضا في قبول شهادة القاذف بعد التوبة بقوله صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له واذا كانت التوبة

---

اختلف القراء في قراءة قوله قال ان لبثتم الا قليلا اختلافهم في قراءة قوله قال كم لبثتم والقول عندنا في ذلك في هذا الموضع نحو القول الذي بيناه قبل في قوله كم لبثتم وتأويل الكلام على قراءتنا قال الله لهم ما لبثتم في الارض الا قليلا يسيرا لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فيها وقوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا يقول تعالى ذكره أفحسبتم أيها الاشقياء أنا انما خلقناكم اذ خلقناكم لعبا وباطلا وأنكم الى ربكم بعد مماتكم لا تصيرون أحياء فتجزون بما كنتم في الدنيا تعملون وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة والكوفة لا ترجعون بضم التاء لا تردون وقالوا انما هو من مرجع الآخرة لا من الرجوع الى الدنيا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة لا ترجعون وقالوا سواء في ذلك مرجع الآخرة والرجوع الى الدنيا * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال انهما قراءتان متقاربتا المعنى لان من رده الله الى الآخرة من الدنيا بعد فنائه فقد رجع اليها وأن من رجع اليها فبرده الله اياه اليها رجع وهما مع ذلك قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب * وبنحو الذي قلنا في معنى قوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا قال باطلا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) يقول تعالى ذكره فتعالى الله الملك الحق عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له شريكا وعما يضيفون اليه من اتخاذ البنات لا اله الا هو يقول لا معبود تنبغي له العبودة الا الله الملك الحق رب العرش الكريم والرب مرفوع بالرد على الحق ومعنى الكلام فتعالى الله الملك الحق رب العرش الكريم لا اله الا هو ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) يقول تعالى ذكره ومن يدع مع المعبود الذي لا تصلح العبادة الا له معبودا آخر لا حجة له بما يقول ويعمل من ذلك ولا بينة كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لا برهان له به قال بينة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لا برهان له به قال حجة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله لا برهان له به قال لا حجة وقوله فانما حسابه عند ربه يقول فانما حساب عمله السيئ عند ربه وهو موف جزاءه اذا قدم عليه انه لا يفلح الكافرون يقول انه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم ۞ القول في تأويل

قوله

قوله تعالى ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد رب استر علي ذنوبي بعفوك عنها وارحمني بقبول توبتك وتركك عقابي على ما اجترمت وأنت خير الراحمين يقول وقل وأنت يا رب خير من رحم ذا ذنب فقبل توبته ولم يعاقبه على ذنبه

آخر تفسير سورة المؤمنين

## ﴿تفسير سورة النور﴾

### ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون﴾ قال أبو جعفر يعني بقوله تعالى ذكره سورة أنزلناها وهذه السورة أنزلناها وانما قلنا معنى ذلك كذلك لأن العرب لا تكاد تبتدئ بالنكرات قبل أخبارها اذا لم تكن جوابا لأنها توصل كما يوصل الذي ثم يخبر عنها بخبر سوى الصلة فيستقبح الابتداء بها قبل الخبر اذا لم تكن موصولة اذ كان يصير خبرها اذا ابتدئ بها كالصلة لها ويصير السامع خبرها كالمتوقع خبرها بعد اذ كان الخبر عنها بعدها كالصلة لها واذا ابتدئ بالخبر عنها قبلها لم يدخل الشك على سامع الكلام في مراد المتكلم وقد بينا فيما مضى قبل أن السورة وصف لما ارتفع بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله وفرضناها فان القراء اختلفت في قراءته فقرأه بعض قراء الحجاز والبصرة وفرضناها ويتأولونه وفصلناها ونزلنا فيها فرائض مختلفة وكذلك كان مجاهد يقرؤه ويتأوله حدثني أحمد ابن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا ابن مهدي عن عبد الوارث بن سعيد عن حميد عن مجاهد أنه كان يقرؤها وفرضناها يعني بالتشديد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وفرضناها قال الأمر بالحلال والنهي عن الحرام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقد يحتمل ذلك اذا قرئ بالتشديد وجها غير الذي ذكرنا عن مجاهد وهو أن يوجه الى أن معناه وفرضناها عليكم وعلى من بعدكم من الناس الى قيام الساعة وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة والشأم وفرضناها بتخفيف الراء بمعنى أوجبنا ما فيها من الأحكام عليكم وألزمناكموه وبيناذلك لكم * والصواب من القول في ذلك أنهما

---

من الكفر والزنا والقتل مع غلظها مقبولة فلان تقبل من القذف أولى وأيضا ان أبا حنيفة يقبل شهادته قبل الحد فبعده وقد تاب وحسن حاله أولى وأيضا الكافر يقذف فيتوب من الكفر فتقبل شهادته بالاجماع فالقاذف المسلم اذا تاب من القذف كان أولى بأن تقبل شهادته لأن القذف مع الاسلام أهون حالا من القذف مع الكفر لا يقال المسلمون لا يعبؤن بسب الكفار لاشتهارهم بعداوتهم والطعن فيهم فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر عار حادث بخلاف ما لو قذفه مسلم وأيضا الايمان يجب ما قبله وبهذا لا يلزم الحد بعد التوبة من الكفر ويلزم بعد التوبة من القذف لأنا نقول هذا الفرق ملغى في أهل الذمة لقوله صلى الله  عليه وسلم لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين

واحتجت الحنفية في عدم قبول شهادته بما روى ابن عباس في قصة هلال بن أمية يجلد هلال وتبطل شهادته في المسلمين ولم يشترط التوبة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدودا في قذف ولم يذكر التوبة وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجوز شهادة محدود في الاسلام والشافعية عارضوا هذه الحجج بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس فاشهد فاذا علم المحدود وجبت عليه الشهادة ولو لم يقبل كان عبثا ومنها قوله نحن نحكم بالظاهر وههنا قد ظهرت العفة والصلاح ومنها أن عمر بن الخطاب ضرب الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة وهم أبو بكرة ونافع ونفيع ثم قال لهم من أكذب نفسه قبلت شهادته فأكذب نافع ونفيع أنفسهما وتابا فكان يقبل شهادتهما وقد بقي في الآية مسائل الأولى قال الشافعي لا فرق بين أن يجيء الشهود متفرقين أو مجتمعين وقال أبو حنيفة اذا جاؤا متفرقين لم يثبت وعليهم حد القذف كما لو شهد على الزنا أقل من أربعة حجة الشافعي أن الآتي بالشهداء متفرقين آت بمقتضى النص واجتماعهم أمر زائد لا اشعار به في الآية وأيضا القياس على سائر الأحكام بل تفريقهم أولى لأنه أبعد عن التهمة والتواطؤ وكذلك يفعل القاضي في كل حكم سواء عند الريبة وأيضا لا يجب أن يشهدوا معا في حالة واحدة بل اذا اجتمعوا عند القاضي ويقوم واحد بعد آخر ويشهد جاز فكذا اذا اجتمعوا على بابه ويدخل واحد بعد آخر حجة أبي حنيفة الشاهد الواحد لما شهد قذفه ولم يأت بأربعة شهداء فوجب عليه الحد فخرج عن كونه شاهدا ولا عبرة بتسميته شاهدا اذا فقد المسمى فلا خلاص عن هذا الاشكال الا باشتراط الاجتماع ونظيره ما روى أن المغيرة بن شعبة شهد عليه بالزنا عند عمر بن الخطاب أربعة أبو بكرة ونافع

ونفيع وقال ابادوكان ابعهم رأيت رجلها على عاتقه كأذني حمار ولا أدري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يسأل هل معهم شاهد آخر فلو قبل بعد ذلك شهادة غيرهم لتوقف في الحد للاحتياط الثانية جوز أبو حنيفة أن يكون زوج المقذوفة واحدا من الشهداء الاربعة وأباه الشافعي الثالثة قال الشافعي في أحد قوليه اذا أتى بأربعة فساق فهم قذفة يجب عليهم الحد كما يجب على القاذف الاول وقال أبو حنيفة لا حد عليهم ولا على القاذف لانه أتى بأربعة من أهل الشهادة الا أن الشرع لم يعتبر شهادتهم فكما اعتبرنا التهمة في نفي الحد عن المشهود عليه فكذلك يجب اعتبارها في نفي الحد عنهم الرابعة لا يكفي في الشهادة اطلاق (٥٣) الزنا بل لا بد أن يذكروا التي زنى بها وأن يذكروا الزنا مفصلا مفسرا فيقولوا رأيناه أدخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة أو كالرشا في البئر ولا بد مع ذلك من الوصف بالتحريم ولو أقر على نفسه بالزنا فهل يشترط التفسير والبيان فيه وجهان نعم كالشهود ولا كالقذف الخامسة قالوا أشد الحدود ضرب الزنا ثم ضرب الخمر ثم القذف لان سبب عقوبته يحتمل الصدق والكذب الا أنه عوقب صيانة للاعراض السادسة حد القذف يورث عند مالك والشافعي بناء على أنه حق الآدمي وقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك حقا فلورثته والأصح أنه يرثه جميع الورثة وفي قول سوى الزوج والزوجة لان الزوجية ترفع بالموت ولان لحوق العار بهما أقل وعلى هذا القول اعترض أبو حنيفة بأنه لو كان موروثا لكان للزوج والزوجة فيه نصيب السابعة اذا قذف انسان انسانا بين يدي الحاكم أو قذف امرأته برجل والرجل غائب فعلى الحاكم ان يبعث الى المقذوف ويخبره بأن فلانا قد قذفك وثبت لك حد القذف عليه كما لو ثبت له حق على آخر وهو لا يعلمه يلزمه اعلامه وبهذا المعنى بعث النبي صلى الله عليه وسلم أنيسا ليخبرها بأن فلانا قذفها بابنه ولم يبعثه ليتفحص عن زناها قال الشافعي وليس للامام اذا رمى رجل بالزنا أن يبعث اليه فيسأله عن ذلك لأن الله تعالى قال ولا تجسسوا بهما وأراد به اذا لم يكن القاذف معينا كأن قال رجل بين يدي الحاكم الناس يقولون ان فلانا زنى فلا يبعث الحاكم اليه فيسأله الثامنة قال الشافعي توبة القاذف اكذابه نفسه وفسره الاصطخري بأن يقول كذبت فيما قلت فلا أعود الى مثله وقال أبو اسحق لا يقول كذبت لأنه ربما يكون صادقا فيكون قوله كذبت كذبا والكذب معصية والاتيان بالمعصية لا يكون توبة عن معصية أخرى بل يقول القذف باطل وندمت على ما قلت ورجعت عنه ولا أعود اليه ولا بد من مضي مدة عليه في حسن الحال وهو المراد بقوله وأصلحوا وقدروا تلك المدة بسنة لان مرور

قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن الله قد فصلها وأنزل فيها ضروبا من الأحكام وأمر فيها ونهى وفرض على عباده فيها فرائض ففيها المعنيان كلاهما التفريض والفرض فلذلك قلنا بأية القراءتين قرأ القارئ فمصيب الصواب ذكر من تأول ذلك بمعنى الفرض والبيان من أهل التأويل حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله وفرضناها يقول بيناها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله سورة أنزلناها وفرضناها قال فرضناها لهذا الذي يتلوها مما فرض فيها وقرأ فيها آيات بينات لعلكم تذكرون وقوله وأنزلنا فيها آيات بينات يقول تعالى ذكره وأنزلنا في هذه السورة علامات ودلالات على الحق بينات يعني واضحات لمن تأملها وفكر فيها بعقل أنها من عند الله فانها الحق المبين وانها تهدي الى الصراط المستقيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وأنزلنا فيها آيات بينات قال الحلال والحرام والحدود لعلكم تذكرون يقول لتتذكروا بهذه الآيات البينات التي أنزلناها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره من زنى من الرجال أو زنت من النساء وهو حر بكر غير محصن بزوج فاجلدوه ضربا مائة جلدة عقوبة لما صنع وأتى من معصية الله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله يقول تعالى ذكره لا تأخذكم بالزاني والزانية أيها المؤمنون رأفة وهي رقة الرحمة في دين الله يعني في طاعة الله فيما أمركم به من اقامة الحد عليهما على ما ألزمكم به واختلف أهل التأويل في المنهي عنه المؤمنون من أخذ الرأفة بهما فقال بعضهم هو ترك اقامة حد الله عليهما فأما اذا أقيم عليهما الحد فلم تأخذهم بهما رأفة في دين الله ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام قال ثنا يحيى بن أبي زائدة عن نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر قال جلد ابن عمر جارية له أحدثت فجلد رجليها قال نافع وحسبت أنه قال وظهرها فقلت ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فقال وأخذتني بها رأفة ان الله لم يأمرني أن أقتلها حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن جريج قال سمعت عبد الله بن أبي مليكة يقول ثني عبيد الله بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن عمر حد جارية له فقال للجالد وأشار الى رجلها والى أسفلها قلت فأين قول الله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال أفأقتلها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال أن تقيم الحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولا تأخذكم

الفصول الأربعة كلها له تأثير في الطباع وأن الشارع جعل السنة معتبرة في الزكاة والجزية وغيرهما أما قوله (وأولئك هم الفاسقون) ففيه دليل على أن القذف من جملة الكبائر وأن الفاسق اسم من يستحق العقاب لانه لو كان مشتقا من فعله لكانت التوبة لا تمنع من دوامه كما لا تمنع من وصفه بأنه ضارب اللهم الا أن يقال انما لا يطلق عليه هذا الاسم بعد التوبة للتعظيم كما لا يقال لأكابر الصحابة كافر لكفر سبق قالت الاشاعرة في قوله (فان الله غفور رحيم) دلالة على أن قبول التوبة لا يجب عليه والالم يفد المدح الحكم الثالث اللعان وسببه قذف الزوجات خاصة القذف أمر محظور في نفسه الا اذا عرض ما يباح أو يجب به وتفصيل ذلك أنه ان رآها الزوج بعينه تزني أو أقرت هي على نفسها ووقع في قلبه صدقها أو سمع ممن يثق بقوله أو استفاض بين الناس أن فلانا زنى بفلانة وقد رآه الزوج يخرج من بيتها أو رآه معها في بيت أبيح له القذف لتأكد التهمة ويجوز أن يمسكها أو يستر عليها لما روي أن رجلا قال يا رسول الله ان لي امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها قال اني أحبها قال فأمسكها أما اذا سمعه ممن لا يوثق بقوله أو استفاض ولكن لم يره الزوج معها أو بالعكس لم يحل له قذفها لأنه ربما دخل لخوف أو سرقة أو لطلب فجور وأبت المرأة هذا كله اذا لم يكن ثمة ولد يريد نفيه فان كان ثمة ولد فان تيقن أنه ليس منه بأن لم يكن وطئها أو وطئها لكنها أتت به لأقل من ستة أشهر من وقت الوطء أو لأكثر من أربع سنين يجب عليه نفيه باللعان لانه ممنوع من استلحاق نسب الغير كما هو ممنوع من نفي نسبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه يوم القيامة وفضحه على رؤس الأشهاد من الأولين والآخرين وان احتمل أن يكون الولد منه بأن أتت به لأكثر من ستة أشهر من وقت الوطء ولأقل من أربع سنين فان لم يكن استبرأها بحيضة أو استبرأها وأتت به لدون ستة أشهر من وقت الاستبراء لم يحل له القذف والنفي وان اتهمها بالزنا وان استبرأها وأتت به لأكثر من ستة أشهر من وقت الاستبراء يباح له القذف والنفي والاولى أن لا يفعل لأنها قد ترى الدم على الحبل وان أتت امرأته بولد لا يشبهه كأن كانا أبيضين وأتت به أسود فان لم يتهمها بالزنا فليس له نفيه لما روى أبو هريرة أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان امرأتي ولدت غلاما أسود فقال هل لك من ابل قال نعم قال ما ألوانها قال حمر قال فهل فيها أورق قال نعم قال فكيف ذلك قال نزعه عرق قال فلعل هذا نزعه عرق وان كان يتهمها بزنا أو برجل فأتت بولد

---

بهما رأفة في دين الله قال لا تضيعوا حدود الله قال ابن جريج وقال مجاهد لا تأخذكم بهما رأفة لا تضيعوا الحدود في أن تقيموها وقالها عطاء بن أبي رباح **حدثنا** أبو هشام قال ثنا عبد الملك وحجاج عن عطاء ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال يقام حد الله ولا يعطل وليس بالقتل **حدثنا** ابن المثنى قال ثني محمد بن فضيل عن داود عن سعيد بن جبير قال الجلد **حدثني** عبيد بن اسمعيل الهباري قال ثنا محمد بن فضيل عن المغيرة عن ابراهيم في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال الضرب **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت عمران قال قلت لأبي مجلز الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما الى قوله واليوم الآخر انا لنرحمهم أن يجلد الرجل حدا أو تقطع يده قال انما ذاك انه ليس للسلطان اذا رفعوا اليه أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم الحد **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال لا تقام الحدود **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فتدعوهما من حدود الله التي أمر بها وافترضها عليهما * قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران أنه سأل سليمن بن يسار عن قول الله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله أي في الحدود أو في العقوبة قال ذلك فيهما جميعا **حدثنا** عمرو بن عبد الحميد الآملي قال ثنا يحيى بن زكريا عن عبد الملك ابن أبي سليمان عن عطاء في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال أن يقام حد الله ولا يعطل وليس بالقتل **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عامر في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال الضرب الشديد * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب عنهما ولكن أوجعوهما ضربا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا يحيى ابن أبي بكر قال ثنا أبو جعفر عن قتادة عن الحسن وسعيد بن المسيب ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال الجلد الشديد * قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن حماد قال يحد القاذف والشارب وعليهما ثيابهما وأما الزاني فتخلع ثيابه وتلا هذه الآية ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فقلت لحماد أهذا في الحكم قال في الحكم والجلد **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري قال يجتهد في حد الزاني والفرية ويخفف في حد الشرب وقال قتادة يخفف في الشراب ويجتهد في الزاني * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ولا تأخذكم بهما رأفة في اقامة حد الله عليهما الذي افترض عليكم اقامته عليهما وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب لدلالة قول الله بعده في دين الله يعني في طاعة الله التي أمركم بها ومعلوم أن دين الله الذي أمر به في الزانيين اقامة الحد عليهما على ما أمر من جلد كل واحد منهما مائة جلدة مع أن

يشبهه فهل يباح بغيه فيه وجهان أما سبب نزول الآية فقد قال ابن عباس لما نزلت الآية المتقدمة قال عاصم بن عدى الانصارى اذا دخل منا رجل بيته ووجد رجلا على بطن امرأته فان جاء بأربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وان قتله قتل به وان قال وجدت فلانا مع تلك المرأة ضرب وان سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وله امرأة يقال لها خولة بنت قيس فأتى عويمر عاصما وقال رأيت شريك بن السحماء على بطن امرأتى خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجمعة الاخرى فقال يارسول الله ما أسرع ما ابتليت بهذا فى أهل بيتى (٥٤) أخبرنى عويمر أنه رأى شريكا على بطن امرأته وكان عويمر وخولة وشريك كلهم أبناء عم عاصم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا وقال لعويمر اتق الله فى زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها فقال يارسول الله أقسم بالله انى رأيت شريكا على بطنها وانى ما قربتها منذ أربعة أشهر وانها حبلى من غيرى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقى الله ولا تخبرى الا بما صنعت فقالت يارسول الله ان عويمرا رجل غيور وانه رأى شريكا يطيل التردد ويتحدث فحملته الغيرة على ما قال فأنزل الله سبحانه هذه الآيات (والذين يرمون أزواجهم) الى آخرها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودى بالصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم وقل أشهد بالله ان خولة لزانية وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثانية قل أشهد بالله انى رأيت شريكا على بطنها وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثالثة قل أشهد بالله انها حبلى من غيرى وانى لمن الصادقين ثم قال فى الرابعة قل أشهد بالله انها زانية وانى ما قربتها منذ أربعة أشهر وانى لمن الصادقين ثم قال فى الخامسة قل لعنة الله على عويمر يعنى نفسه ان كان من الكاذبين فيما قاله ثم قال اقعد وقال لخولة قومى فقامت وقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وان زوجى عويمرا لمن الكاذبين وقالت فى الثانية أشهد بالله ما رأى شريكا على بطنى وانه لمن الكاذبين وقالت فى الثالثة أشهد بالله انى حبلى منه وانه لمن الكاذبين وفى الرابعة أشهد بالله انه ما رآنى على فاحشة قط وانه لمن الكاذبين وفى الخامسة غضب الله على خولة ان كان عويمر من الصادقين فى قوله ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وعن ابن عباس أيضا فى رواية الكلبى أن عاصما رجع الى أهله فوجد شريكا على بطن امرأته فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث كما تقدم وفى رواية عكرمة عن ابن عباس لما نزلت آية القذف قال سعد بن عبادة وهو سيد الانصار لو وجدت رجلا على بطنها فانى ان جئت بأربعة شهداء يكون

---

الشدة فى الضرب لا حدّ لها يوقف عليه وكل ضرب أوجع فهو شديد وليس للذى يوجع فى الشدة حدّ لا زيادة فيه فيؤمر به وغير جائز وصفه جل ثناؤه بأنه أمر بما لا سبيل للمأمور به الى معرفته واذا كان ذلك كذلك فالذى للمأمورين الى معرفته السبيل هو عدد الجلد على ما أمر به وذلك هو اقامة الحد على ما قلنا وللعرب فى الرأفة لغتان الرأفة بتسكين الهمزة والرآفة بمدها كالسأمة والسآمة والكأبة والكآبة وكأن الرأفة المرة الواحدة والرآفة المصدر كما قيل ضؤل ضآلة مثل فعل فعالة وقبح قباحة وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر يقول ان كنتم تصدّقون بالله ربكم وباليوم الآخر وأنكم فيه مبعوثون لحشر القيامة وللثواب والعقاب فان من كان بذلك مصدّقا فانه لا يخالف الله فى أمره ونهيه خوف عقابه على معاصيه وقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين يقول تعالى ذكره وليحضر جلد الزانيين البكرين وحدّهما اذا أقيم عليهما طائفة من المؤمنين والعرب تسمى الواحد فما زاد طائفة وقوله من المؤمنين يقول من أهل الايمان بالله ورسوله وقد اختلف أهل التأويل فى مبلغ عدد الطائفة الذى أمر الله بشهود عذاب الزانيين البكرين فقال بعضهم أقله واحد ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الطائفة رجل حدثنا على بن سهل بن موسى بن اسحق الكنانى وابن القوّاس قالا ثنا يحيى بن عيسى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة رجل قال على فما فوق ذلك وقال ابن القوّاس فأكثر من ذلك حدثنا على قال ثنا زيد عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الطائفة رجل حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية قال قال ابن أبى نجيح وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال مجاهد أقله رجل حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن مجاهد فى قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة الواحد الى الالف حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن مجاهد فى هذه الآية وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة واحد الى الألف وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما حدثنا ابن المثنى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن مجاهد قال الطائفة الرجل الواحد الى الألف قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما انما كانا رجلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال سمعت عيسى ابن يونس يقول ثنا النعمان بن ثابت عن حماد وابراهيم قالا الطائفة رجل حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة رجل واحد فما فوقه * وقال آخرون أقله فى هذا الموضع رجلان

ذكر

ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبي نجيح في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال قال عطاء أقله رجلان حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة قال ليحضر رجلان فصاعدا ❊ وقال آخرون أقل ذلك ثلاثة فصاعدا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن ابن أبي ذئب عن الزهري قال الطائفة الثلاثة فصاعدا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال نفر من المسلمين حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثني أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث قال ثنا أشعث عن أبيه قال أتيت أبا برزة الاسلمي في حاجة وقد أخرج جارية الى باب الدار وقد زنت فدعا رجلا فقال اضرب بها خمسين فدعا جماعة ثم قرأ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى عن أشعث عن أبيه أن أبا برزة أمر ابنه أن يضرب جارية له ولدت من الزنا ضربا غير مبرح قال فألقى عليها ثوبا وعنده قوم وقرأ وليشهد عذابهما الآية ❊ وقال آخرون بل أقل ذلك أربعة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال فقال الطائفة التي يجب بها الحد أربعة ❊ وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال أقل ما ينبغي حضور ذلك من عدد المسلمين الواحد فصاعدا وذلك ان الله عم بقوله وليشهد عذابهما طائفة والطائفة قد تقع عند العرب على الواحد فصاعدا فاذ كان ذلك كذلك ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على أن مراده من ذلك خاص من العدد كان معلوما أن حضور ما وقع عليه أدنى اسم الطائفة ذلك المحضر مخرج مقيم الحد مما أمره الله به بقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين غير أني وان كان الامر على ما وصفت أستحب أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس عدد من تقبل شهادته على الزنا لأن ذلك اذا كان كذلك فلا خلاف بين الجميع أنه قد أدى المقيم الحد ما عليه في ذلك وهم فيما دون ذلك مختلفون ۞ القول في تأويل قوله ﴿ الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم نزلت هذه الآية في بعض من استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح نسوة كن معروفات بالزنا من أهل الشرك وكن أصحاب رايات يكرين أنفسهن فأنزل الله تحريمهن على المؤمنين فقال الزاني من المؤمنين لا يتزوج الا زانية أو مشركة لأنهن كذلك والزانية من أولئك البغايا

قد قضى حاجته وذهب فقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا يا رسول الله لا تلمه فانه رجل غيور فقال سعد يا رسول الله اني لأعرف أنها من الله وأنها حق ولكني عجبت منه فقال صلى الله عليه وسلم فان الله أبى الا ذلك فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فقال يا رسول الله اني وجدت مع امرأتي رجلا رأيت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به فقال هلال والله يا رسول الله اني لأرى الكراهية في وجهك مما أخبرتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما البينة واما اقامة الحد عليك فاجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد فبيناهم كذلك اذ نزل الوحي فقال يا هلال أبشر فقد جعل الله لك فرجا وأمر بالملاعنة وفرق بينهما وقال أبصروها فان جاءت به أصهب أحمش الساقين أي دقيقهما فهو لهلال وان جاءت به أورق جعدا خدلج الساقين أي ضخمهما فهو لصاحبه فجاءت به خدلج الساقين فقال صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لي ولها شأن قال عكرمة لقد رأيته بعد ذلك أمير مصر من الامصار لا يدري من أبوه واعلم أن الفرق بين قذف غير الزوجة وبين قذف الزوجة هو أن المخلص من الحد في الاول اقرار المقذوف بالزنا أو بينة تقوم على زناه وفي الثانية المخلص أحد الامرين أو اللعان وسبب شرع اللعان هو أنه لا مضرة على الزوج في زنا الاجنبي والاولى له ستره وأما في زنا الزوجة فيلحقه العار والشنار والنسب الفاسد فلا يمكنه الصبر عليه وتوقيفه على البينة كالمتعذر وأيضا الغالب أن الرجل لا يقصد رمي زوجته الا عن حقيقة فنفس الرمي دليل على صدقه الا أن الشرع أراد اكمال شهادة الحال بقرينة الايمان كما أن شهادة المرأة حين ضعفت أكدت بزيادة العدد فمن هنا قال كثير من العلماء ان حد قاذف الزوجة كان هو الجلد وان الله نسخه باللعان ولنذكر ههنا مسائل ❊ الاولى قال الشافعي اذا نكل الزوج عن اللعان لزمه الحد للقذف فاذا لاعن ونكلت عن اللعان لزمها حد الزنا وقال أبو حنيفة اذا نكل الزوج يحبس حتى يلاعن وكذا المرأة حجة الشافعي اذا لم يأت بالمخلص وهو الملاعنة وجب الرجوع الى مقتضى آية القذف وهو الحد وأيضا قوله ويدرأ عنها العذاب ليست اللام فيه للجنس لأنه لا يجب عليها جميع أنواع العذاب ولان الآية تصير اذ ذاك مجملة فهو للعهد ولا معهود في الآية الا حد القذف ولقوله صلى الله عليه وسلم لخولة الرجم أهون عليك من غضب الله وللمرأة أن تقول ان كان الرجل

صادقا فـدونى وان كان كاذبا فخلونى فـا بالى والحبس وليس حبسى فى كتاب الله ولا سنة رسوله حجة أبى حنيفة أن النكول ليس بصريح فى الاقرار فلا يجوز اثبات الحد به كاللفظ المحتمل للزنا وغـيره الثانية الجمهور على أنه اذا قال يازانيـة وجب اللعان لعموم قوله والذين يرمون وقال مالك لا يلاعن الا أن يقول رأيتك تزنى و ينفى حملا بها أوولدا منها الثالثة قال الشافعى من صح رميه صح لعانه فلا يشترط الا التكليف و يجرى اللعان بين الذميين والمحـدودين والرقيقين وذهب أبو حنيفة الى أن الزوج ينبغى أن يكون مسلما حرا عاقلا بالغا غير



محدود فى القذف والمـرأة ينبغى أن تكون بهـذه الصفة مع العفة فاذا كان الزوج عبـدا أو محدودا فى قذف والمرأة محصـنة حد كما فى قذف الاجنبيات دليـل الشافعى عموم قوله والذين يرمون أزواجهم والاجماع عـلى أنه يصح لعان الفاسـق والأعمى وان لم يكونا من أهل الشـهادة فكذا القـول فى غيرهما والجامع هو الحاجـة الى دفع العار دليل أبى حنيفة حديث عـبدالله بن عمرو بن العاص من النساء من ليس بينهن و بين أزواجهن ملاعنة اليهودية والنصرانية تحت المسـلم والحـرة تحت المملوك والممـلوكة تحت الحـر وأيضا اللعان بين الزوجات قائم مقام الحد فى الاجنبيات فلا يجب اللعان على من لا يجب عليه الحد لو قذفها أجنبى وأيضا اللعان شـهادة لقوله تعالى (فشهادة أحدهم أربع شهادات) وقد جاء مثـله فى أحاديث اللعان واذا كان شهادة وجب أن لا يقبل من المحدود فى القذف ولا من العبد والكافر أجاب الشافعى بأن اللعان يمين مؤكدة بلفظ الشـهادة أو يمين فيها شائبة الشـهادات فلا يشترط فى الملاعن الا أهلية اليمين ومما يدل على أنه يمين قوله صلى الله عليه وسـلم لهلال بن أمية احلف بالله الذى لا اله الا هـو انك صادق وقـوله لولا الايمان لكان لى ولها شأن وأيضا لو كان شـهادة لكان حظ المرأة ثمان شهادات لأنها على النصف من الرجل ولم يجز لعان الفاسق والأعمى لانهما ليسا من أهل الشهادة لا يقال الفاسق والفاسقة قد يتوبان لأ نا نقول العبد أيضا قد يعتق بل العبد اذا عتق تقبل شهادته فى الحال والفاسق اذا تاب لا تقبل شهادته الا بعد الاختبار ثم ألزم الشافعى أبا حنيفة بأن شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض مقبولة فينبغى أن يجوز اللعان بين الذمى والذميـة ثم قال الشافعى بعد ذلك وتختلف الحدود لمن وقعت له ومعناه أن الزوج ان لم يلاعن ينصف الحد

لا ينكحها الا زان من المؤمنـين أو المشركين أو مشرك مثلها الا نهن كن مشركات وحرم ذلك على المؤمنين فحرم الله نكاحهن فى قول أهل هذه المقالة بهـذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثنى الحضرمى عن القاسم بن محمـد عن عبدالله ابن عمرو أن رجلا من المسلمين استأذن نبى الله فى امرأة يقال لها أم مهزول كانت تسافح الرجل وتشـترط له أن تنفق عليه وأنه استأذن فيها نبى الله صلى الله عليه وسلم وذكر له أمرها قال فقرأ نبى الله صلى الله عليه وسـلم الزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك أو قال فأنزلت الزانية حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنى هشيم عن التيمى عن القاسم بن محمد عن عبدالله بن عمرو فى قوله الزانى لا ينكح الا زانيـة أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال كن نساء معلومات قال فكان الرجـل من فقراء المسلمـين يتزوج المرأة منهن لتنفق عليه فنهاهم الله عن ذلك * قال أخبرنا سليمن التيمى عن سعيد بن المسيب قال كن نساء موارد بالمدينة حدثنا أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر قال سمعت أبى قال ثنا قتادة عن سعيد بن المسيب فى هذه الآية والزانيـة لا ينكحها الا زان أو مشرك قال نزلت فى نساء موارد كن بالمدينـة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عمرو بن عاصم الكلابى قال ثنا معتمر عن أبيه عن قتادة عن سعيد بنحوه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبـد الاعلى قال ثنا داود عن رجـل عن عمرو بن شعيب قال كان لمرثد صـديقة فى الجاهلية يقال لها عناق و كان رجلا شـديدا وكان يقال له دلدل وكان يأتى مكة فيحمل ضعفة المسلمين الى رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فلقى صديقته فدعته الى نفسها فقال ان الله قـد حرم الزنا فقالت أنى تبرز فخشى أن تشيع عليه فرجع الى المدينـة فأتى رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فقال يارسول الله كانت لى صـديقة فى الجاهلية فهل ترى لى نكاحها قال فأنزل الله الزانى لا ينكح الا زانيـة أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال كن نساء معلومات يدعون القلـيقيات حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن ابراهيم ابن مهاجر قال سمعت مجاهدا يقول فى هذه الآية الزانى لا ينكح الا زانيـة أو مشركة قال كن بغايا فى الجاهلية حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن عبد الملك عمن أخبره عن مجاهـد نحوا من حـديث ابن المثنى الا أنه قال كانت امرأة منهن يقال لها أم مهزول يعنى فى قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة قال فكن نساء معلومات قال فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة منهن لتنفق عليه فنهاهم الله عن ذلك هذا فى حديث التيمى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الزانى لا ينكح الا زانية قال رجال كانوا يريدون الزنا بنساء زوان بغايا متعالمات كن فى الجاهلية فقيل لهم هذا حرام فأرادوا نكاحهن فحرم الله عليهـم نكاحهن

حدثنا

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال بغايا معلنات كن كذلك في الجاهلية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن هشام بن عروة عن أبيه واسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي وابن أبي ذئب عن شعبة عن ابن عباس قال كن بغايا في الجاهلية على أبوابهن رايات مثل رايات البيطار يعرفن بها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن قيس بن سعد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال نساء بغايا متعالمات حرم الله نكاحهن لا ينكحهن الا زان من المؤمنين أو مشرك من المشركين حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال كانت بيوت تسمى المواخير في الجاهلية وكانوا يؤاجرون فيها فتياتهن وكانت بيوتا معلومة للزنا لا يدخل عليهن ولا يأتيهن الا زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الأوثان فحرم الله ذلك على المؤمنين حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن جريج عن عطاء في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال بغايا متعالمات كن في الجاهلية بغي آل فلان وبغي آل فلان فأنزل الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين فحكم الله بذلك من أمر الجاهلية على الاسلام فقال له سليمن بن موسى أبلغك ذلك عن ابن عباس فقال نعم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سمعت عطاء بن أبي رباح يقول في ذلك كن بغايا متعالمات بغي آل فلان وبغي آل فلان وكن زواني مشركات فقال الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال أحكم الله من أمر الجاهلية بهذا قيل له أبلغك هذا عن ابن عباس قال نعم * قال ابن جريج وقال عكرمة انه كان يسمى تسعا بعد صواحب الرايات وكن أكثر من ذلك ولكن هؤلاء أصحاب الرايات أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي (١) وأم عليط جارية صفوان بن أمية وحنة القبطية جارية العاصي بن وائل ومرية جارية مالك ابن عميلة بن السباق بن عبد الدار وحلالة جارية سهيل بن عمرو وأم سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومي وسريفة جارية زمعة بن الاسود وفرسة جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة ابن جبل بن مالك بن عامر بن لؤي وقريبا جارية هلال بن أنس بن جابر بن نمر بن غالب بن فهر حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقاله الزهري وقتادة قالوا كان في الجاهلية بغايا معلوم ذلك منهن فأراد ناس من المسلمين نكاحهن فأنزل الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك الآية حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقاله الزهري وقتادة

عليه برفقه وان لاعن ولم تلاعن اختلف حدها باحصانها وحريتها ورقها الرابعة اختلف المجتهدون في نتائج اللعان فعن عثمان البتي أنه لا يحصل به الفرقة أصلا لأن أكثر ما فيه أن يكون الزوج صادقا في قذفه وهذا لا يوجب تحريما كما لو قامت البينة عليها وأيضا ان تلاعنهما في بيتهما لا يوجب الافتراق فكذا عند الحاكم وأيضا انه قائم مقام الشهود في الاجنبيات فلا يكون له تأثير الا في اسقاط الحد وأيضا اذا أكذب الزوج نفسه ثم حد لا يوجب الفرقة فكذا اللعان وأما تفريق النبي صلى الله عليه وسلم بين (٥٧) المتلاعنين في قصة العجلاني فذلك لان الزوج كان طلقها ثلاثا قبل اللعان وعن أبي حنيفة وأصحابه إلا زفر أن الحاكم يفرق بينهما لما روى سهل ابن سعد مضت السنة في المتلاعنين أن يفرق بينهما ثم لا يجتمعان أبدا ولما في قصة عويمر كذبت عليها ان أمسكتها هي طالق ثلاثا فلو وقعت الفرقة باللعان لم يمكن امساكها وقال مالك والليث وزفر اذا فرغا من اللعان وقعت الفرقة بينهما وان لم يفرق الحاكم لأنهما لو تراضيا على دوام النكاح لم يخليا فدل ذلك على وقوع الفرقة بينهما وقال الشافعي اذا فرغ الزوج وحده من اللعان حصل بذلك خمس نتائج درء الحد عنه ونفي الولد والفرقة والتحريم المؤبد ووجوب الحد عليها ولا تأثير للعان الزوجة الا في دفع العذاب عن نفسها وما روى أنه صلى الله عليه وسلم فرق بينهما محمول على أنه أخبر عن وقوع الفرقة بينهما وزعم أبو بكر الرازي أن قول الشافعي خلاف الآية لأنه لو وقعت الفرقة بلعان الزوج لاعنت المرأة وهي أجنبية ولكنه تعالى أوجب اللعان بين الزوجين وأيضا اللعان شهادة فلا يثبت حكمها الا عند الحاكم كسائر الشهادات وأيضا اللعان تستحق به المرأة نفسها كما يستحق المدعي ما ادعاه بالبينة فيتوقف على حكم الحاكم وأيضا اللعان لا اشعار فيه بالتحريم فهو كما لو قامت البينة على زناها فلا بد من احداث التفريق إما من قبل الزوج أو من قبل الحاكم ولقائل أن يقول سماها زوجين باعتبار ما كان كالعبد على من عتق ولا نسلم أن اللعان شهادة محضة ومما يؤكد قول الشافعي تنصيص الله سبحانه على ذلك بقوله ويدرأ عنها العذاب أن تشهد ففيه دلالة على أن كل ما يجب باللعان من الأحكام فقد وقع بلعان الزوج الا درء العذاب وأيضا أن لعان الزوج مستقل بنفي الولد لان الاعتبار في الالحاق بقوله لا بقولها ألا ترى أنها

(١) لم نقف على ضبط الاسماء فلتحرر

فى لعانها لحق الولد به ونحن ننفيه عنه واذا انتفى الولد عنه بمجرد لعانه وجب أن يكون الفراش زائلا لقوله الولد للفراش ✲ الخامسة مذهب مالك والشافعى وأبى يوسف والثورى واسحق أن المتلاعنين لا يجتمعان أبدا وهو قول على وابن مسعود ولما روى الزهرى من حديث سهل ابن سعد ولما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال للمتلاعنين بعد اللعان لا سبيل لك عليها ولم يقل حتى تكذب نفسك ولو كان الاكذاب غاية لهذه الحرمة وأنه اذا أكذب نفسه وحد زال تحريم العقد وحلت له بنكاح جديد لذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وقد يحتج لأبى حنيفة بعموم قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقوله وأحل لكم ما وراء ذلكم ✲ السادسة اتفق أهل العلم على أن الولد ينتفى من الزوج باللعان وخالف بعضهم مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وزيف بأن الأخبار الدالة على أن الولد ينتفى باللعان كالمتواترة فلا يعارضها هذا الواحد بل يجب تخصيصه بها ✲ السابعة لو أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق بها الحكم عند الشافعى وهو ظاهر وعن أبى حنيفة أن الأكثر حكم الكل اذا حكم به الحاكم ✲ الثامنة كيفية اللعان كالصريحة فى الآية وان الحديث قد زادها بيانا كما مر وقد عد الشافعى من سننها أن يقام الرجل حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة حتى تشهد والرجل قاعد ويأمر الامام من يضع يده على فيه عند الانتهاء الى اللعنة ويقول له القاضى أو صاحب المجلس اتق الله فانها موجبة وهكذا يقال للمرأة اذا انتهت الى الغضب ومما يستحب فى اللعان ولا يجب على الأصح التغليظ بالزمان وهو ما بعد صلاة العصر ولا سيما عصر يوم الجمعة وبالمكان وذلك بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة بين المنبر والمدفن وفى سائر البلاد عند المنبر فى المسجد الجامع أيضا وهو المقصورة وفى بيت المقدس فى المسجد الاقصى عند الصخرة ولليهود فى الكنيسة وللنصارى أهل فى البيعة وللمجوس فى بيت نارهم واذا لم يكن له دين ففى مساجدنا الا فى المسجد الحرام ولا بد من حضور الحاكم سواء كان مدار اللعان على اليمين أو على الشهادة ولا بد من حضور جمع من الأعيان أقلهم أربعة ✲ التاسعة قال جار الله انما خصت الملاعنة بأن تخمس بغضب الله تغليظا عليها لأنها أصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة فى آية الجلد ✲ العاشرة فى فوائد متعلقة بالآية منها

---

قالوا كانوا فى الجاهلية بغايا ثم ذكر نحوه **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن القاسم بن أبى بزة كان الرجل ينكح الزانية فى الجاهلية التى قد علم ذلك منها يتخذها مأكلة فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة فنهوا عن ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح قال قال القاسم بن أبى بزة فذكر نحوه **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا سليمن التيمى عن سعيد بن المسيب قال كن نساء موارد بالمدينة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا عبد الملك بن أبى سليمن عن سعيد بن جبير أن نساء فى الجاهلية كن يؤاجرن أنفسهن وكان الرجل انما ينكح احداهن يريد أن يصيب منها عرضا فنهوا عن ذلك ونزل الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ومنهن امرأة يقال لها أم مهزول **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن اسمعيل عن الشعبى فى قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال كن نساء يكرين أنفسهن فى الجاهلية ✲ وقال آخرون معنى ذلك الزانى لا يزنى الا بزانية أو مشركة والزانية لا يزنى بها الا زان أو مشرك قالوا ومعنى النكاح فى هذا الموضع الجماع ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الاحوص عن حصين عن عكرمة عن ابن عباس فى قول الله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة قال لا يزنى الا بزانية أو مشركة **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير أنه قال فى هذه الآية والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال لا يزنى الزانى الا بزانية مثله أو مشركة **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن شبرمة عن سعيد بن جبير وعكرمة فى قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة قالا هو الوطء **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد عن معمر قال قال سعيد بن جبير ومجاهد الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة قالا هو الوطء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم وشعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قالا لا يزنى الزانى حين يزنى الا بزانية مثله أو مشركة ولا تزنى مشركة الا بمثلها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال هؤلاء بغايا كن فى الجاهلية والنكاح فى كتاب الله الاصابة لا يصيبها الا زان أو مشرك لا يحرم الزنا ولا تصيب هى الا مثلها قال وكان ابن عباس يقول بغايا كن فى الجاهلية **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن قيس بن سعد عن سعيد بن جبير قال اذا زنى بها فهو زان **حدثنا** على قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة قال الزانى من

ابطال الجمهور قول الخوارج ان الزنا والقذف كفر وذلك أن الرامى ان صدق فهى زانية وان كذب فهو قاذف فلا بد من كفر أحدهما والردة توجب الفرقة من غير لعان ومنها ابطال قول من زعم أن الزنا يوجب فساد النكاح لأن رمى الزوج اياها اعتراف منه بزناها بل بفساد النكاح على قول هذا القائل فتحصل الفرقة بلا لعان ومنها أن المعتزلة قالوا المتلاعنان يستحقان اللعن أو الغضب الموجبين للعقاب الأبدى المضاد للثواب وذلك يدل على خلود الفساق فى النار أجابت الاشاعرة بأن كونه مغضوبا عليه بفسقه لا ينافى كونه مرضيا عنه بجهة ايمانه فلا بد أن يحصل له بعد العقاب ثواب ثم أخبر عن كمال رأفته بقوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أى فيما بين من هذه الأحكام وفيما أمهل وأبقى ومكن من التوبة وجواب لولا محذوف أى لهلكتم أو فضحتم أو لكان ما كان من أنواع المفاسد وانما حسن حذفه ليذهب الوهم كل مذهب فيكون أبلغ فى البيان فرب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به ۞ التأويل النفس الزانية المستسلمة لتصرفات الشيطان والدنيا فيها والروح الزانى بتصرفه فى الدنيا وشهواتها المنهية عنها فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة من الجوع وترك الشهوات والمرادات ومن حملهما على المخالفات ولعل السر فى تخصيص هذا العدد هو أن ساعات اليوم بليلته أربع وعشرون منها أربع ساعات لأجل النوم ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل والباقية يجب فيها مراقبة الحواس الخمس وتأديبهن بآداب الشرع والعقل فيكون المجموع مائة تأديبة يحصل نتائجها وكمالها للنفس والروح والله تعالى أعلم وليشهد عذابهما ولتكن هذه التزكية والتأديبات بحضر شيخ واصل كامل يحفظه من طرفى الافراط والتفريط الزانى لا ينكح فيه أن الطبع يسرق والجنس الى الجنس يميل فأهل الفساد لا ترغب الا فى صحبة أمثالهم من أهل الفساد كما أن أرباب السداد لا تطمح الا الى صحبة أمثالهم من أرباب السداد وحرم ذلك الذى قلنا من اختلاط الاشرار على المؤمنين والذين يرمون المحصنات أى الأرواح الذين ينسبون الى نقصان النفوس المستعدات للكمالات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء أى لم يكن خواص العناصر الأربعة ظاهرة على صفحات أحوالهن كما مر تقريره فى أول النساء فى قوله فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ولم تبلغ الملكات الذميمة منهن مرتبتها الرابعة كالمكاتب يكتب بالفعل فاجلدوهم ثمانين جلدة مروهم

---

أهل القبلة لا يزنى الا بزانية مثله أو مشركة قال والزانية من أهل القبلة لا تزنى الا بزان مثلها من أهل القبلة أو مشرك من غير أهل القبلة ثم قال وحرم ذلك على المؤمنين ۞ وقال آخرون كان هذا حكم الله فى كل زان وزانية حتى نسخه بقوله وأنكحوا الأيامى منكم فأحل نكاح كل مسلمة وانكاح كل مسلم ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب فى قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال يرون الآية التى بعدها نسختها وأنكحوا الأيامى منكم قال فهن من أيامى المسلمين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال نسختها التى بعدها وأنكحوا الأيامى منكم وقال انهن من أيامى المسلمين **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال وذكر عن يحيى عن ابن المسيب قال نسختها وأنكحوا الأيامى منكم **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال نسختها قوله وأنكحوا الأيامى **حدثنى** يونس قال أخبرنا أنس بن عياض عن يحيى قال ذكر عند سعيد بن المسيب الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة قال فسمعته يقول انها قد نسختها التى بعدها ثم قرأها سعيد قال يقول الله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة ثم يقول الله وأنكحوا الأيامى منكم فهن من أيامى المسلمين ۞ قال أبو جعفر وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال عنى بالنكاح فى هذا الموضع الوطء وأن الآية نزلت فى البغايا المشركات ذوات الرايات وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك وأن الزانى من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان فمعلوم اذ كان ذلك كذلك أنه لم يعن بالآية أن الزانى من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات ولا ينكح الا بزانية أو مشركة واذ كان ذلك كذلك فبين أن معنى الآية الزانى لا يزنى إلا بزانية لا تستحل الزنا أو بمشركة تستحله وقوله وحرم ذلك على المؤمنين يقول وحرم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله وذلك هو النكاح الذى قال جل ثناؤه الزانى لا ينكح الا زانية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾ يقول تعالى ذكره والذين يشتمون العفائف من حرائر المسلمين فيرمونهن بالزنا ثم لم يأتوا على ما رموهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول يشهدون عليهن أنهن رأوهن يفعلن ذلك فاجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الذين خالفوا أمر الله وخرجوا من طاعته ففسقوا عنها وذكر أن هذه الآية انما نزلت فى الذين رموا عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم بما رموها به من الافك ذكر من قال ذلك **حدثنى** أبو السائب وابراهيم بن سعيد قالا ثنا ابن فضيل عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير الزنا أشد أو قذف

المحصنة قال لا بل الزنا قلت ان الله يقول والذين يرمون المحصنات قال انما هذا فى حديث عائشة خاصة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الآية فى نساء المسلمين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأولئك هم الفاسقون قال الكاذبون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ﴾ اختلف أهل التأويل فى الذى استثنى منه قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فقال بعضهم استثنى من قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون وقالوا اذا تاب القاذف قبلت شهادته و زال عنه اسم الفسق حد فيه أولم يحد ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن حماد الدولابى قال ثنى سفيان عن الزهرى عن سعيد ان شاء الله أن عمر قال لأبى بكرة ان تبت قبلت شهادتك أو رديت شهادتك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب ضرب أبا بكرة وشبل بن معبد ونافع بن الحرث بن كلدة حدهم وقال لهم من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما أستقبل ومن لم يفعل لم أجز شهادته فأكذب شبل نفسه ونافع وأبى أبو بكرة أن يفعل قال الزهرى هو والله سنة فاحفظوه حدثنا ابن أبى الشوارب قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا داود عن الشعبى قال اذا تاب يعنى القاذف ولم يعلم منه الا خير جازت شهادته حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا داود عن الشعبى قال على الامام أن يستتيب القاذف بعد الجلد فان تاب وأونس منه خير جازت شهادته وان لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا داود عن عامر أنه قال فى القاذف اذا تاب وعلم منه خير ان شهادته جائزة وان لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته وتوبته اكذابه نفسه ٭ قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن الشعبى نحوه حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا داود بن أبى هند عن الشعبى قال فى القاذف اذا تاب وأكذب نفسه قبلت شهادته والا كان خليعا لا شهادة له لأن الله يقول لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء الى آخر الآية حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا داود بن أبى هند عن الشعبى أنه كان يقول فى شهادة القاذف اذا رجع عن قوله حين يضرب أو أكذب نفسه قبلت شهادته ٭ قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى أنه كان يقول يقبل الله توبته وتردون شهادته وكان يقبل شهادته اذا تاب ٭ قال أخبرنا اسمعيل عن الشعبى أنه كان يقول فى القاذف اذا شهد قبل أن يضرب الحد قبلت شهادته ٭ قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبيدة عن ابراهيم واسمعيل بن سالم عن الشعبى أنهما قالا فى القاذف اذا شهد قبل أن يجلد فشهادته جائزة حدثنى يعقوب قال قال أبو بشر يعنى ابن علية سمعت ابن أبى نجيح يقول القاذف اذا تاب تجوز شهادته وقال كنا نقوله فقيل له من قال قال عطاء وطاوس ومجاهد حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا

محمد

---

بالخلوة أربعين يوما وأربعين ليلة حتى يظهر لهم كمال حال النفوس فى الموافقة لهم ولا تقبلوا لهم بعد ذلك شهادة عليهن وأولئك هم الذين يريدون أن يخرجوا عن طاعة الله بقدر نسبة النقصان الى النفوس المستعدة والذين يرمون أزواجهم وهن القوالب المزدوجة بالارواح ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم لأنه لا يطلع على أحوال القالب الا الروح فشهادة أحدهم أربع شهادات هى الاسنان الاربعة التى فيها تحصل التربية والاستكمال والخامسة وهى حالة حلول الأجل اللعنة والغضب والعذاب الابدى وما تولد منهما من الصفات الذميمة ينسبها الروح الى ثالث هو الشيطان وينسبها القالب الى الروح الذى يدبره ويتصرف فيه والافتراق الذى يحصل بينهما ليس بالصورة بل بالمعنى لأن الروح يميل الى العالم العلوى والقالب الى العالم السفلى لعدم الموافقة بينهما وهو سبحانه أعلم ﴿ ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذلم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله

دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴿ القراآت كبره بضم الكاف يعقوب اذ سمعتموه وبابه مدغما أبو عمرو وعلي وهشام وحمزة غير خلف ورجاء والعجلي اذ تلقونه بالاظهار وتشديد التاء البزي وابن فليح ولا يتأل من التألي يزيد ما زكى بالتشديد والامالة روح وقرأ قتيبة ممالة مخففة يوم يشهد على التذكير حمزة وعلي وخلف والباقون بتاء **(٦١)** التأنيث ﴿ الوقوف عصبة منكم ط شر لكم ط خير لكم ط من الاثم ج لنوع عدول من اجمال حكم الكل الى بيان حكم البعض مع اتفاق الجملتين عظيم ○ خيرا لا للعطف مبين ○ شهداء ج للشرط معنى مع الفاء الكاذبون ○ عظيم ج لاحتمال أن يكون اذ ظرف قوله لمسكم أو أفضتم واحتمال كونه منصوبا باذكر وبهذا قد قيل الوصل ألزم لأن قوله سبحانك من جملة مفعول قلتم عظيم ○ مؤمنين ○ ج لاتفاق الجملتين مع تكرار اسم الله دون الاكتفاء بالضمير وأنها آية الآيات ط حكيم ○ أليم ○ لا لتعلق الظرف والآخرة ط لا تعلمون ○ رحيم ○ خطوات الشيطان ط والمنكر ط أبدا لا لتعلق لكن من يشاء ط عليم ○ في سبيل الله ط والوصل أولى للعطف وليصفحوا ط لكم ط رحيم ○ والآخرة ص عظيم ○ لا لتعلق الظرف يعملون ○ المبين ○ للخبيثات ج للعطف مع التضاد للطيبات ○ ج لاتحاد المعنى مع فقدان العاطف يقولون ط كريم ○ ﴿ التفسير انه سبحانه لما ذكر من أحكام القذف ما ذكر أتبعها حديث إفك عائشة الصديقة وما قذفها به أهل النفاق روى الزهري عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن أبي وقاص وكلهم رووا عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج اسمها خرج بها معه فأقرع بيننا في غزوة قال الزهري هي غزوة المريسيع وذكره البخاري في غزوة بني المصطلق من خزاعة قال وهي غزوة المريسيع أيضا فخرج اسمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف وقرب من المدينة نزل منزلا ثم أذن بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني وأقبلت الى رحلي لمست صدري فاذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع فرجعت والتمست عقدي وحبسني

محمد بن خالد ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن عمر بن طلحة عن عبد الله قال اذا تاب القاذف جلد وجازت شهادته قال أبو موسى هكذا قال ابن أبي (٣) عثمة **حدثنا** ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا ابن أبي عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن سليمن بن يسار والشعبي قالا اذا تاب القاذف عند الجلد جازت شهادته **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة جلد رجلا في قذف فقال أكذب نفسك حتى تجوز شهادتك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي الهيثم قال سمعت ابراهيم والشعبي يتذاكران شهادة القاذف فقال الشعبي لابراهيم لم لا تقبل شهادته فقال لأني لا أدري تاب أم لا * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال تقبل شهادته اذا تاب * قال ثنا عبد الله بن المبارك عن يعقوب بن القعقاع عن محمد بن زيد عن سعيد بن جبير مثله * قال ثنا عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن عمران بن موسى قال شهدت عمر بن عبد العزيز أجاز شهادة القاذف ومعه رجل **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال قال الشعبي اذا تاب جازت شهادته قال ابن المثنى قال عندي يعني في القذف **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا مسعر عن عمران بن عمير أن عبد الله بن عتبة كان يجيز شهادة القاذف اذا تاب **حدثني** يعقوب قال ثني هشيم عن جويبر عن الضحاك قال اذا تاب وأصلح قبلت شهادته يعني القاذف **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن المسيب قال تقبل شهادة القاذف اذا تاب **حدثنا** الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن ابن المسيب مثله **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد عن معمر قال قال الزهري اذا حد القاذف فانه ينبغي للامام أن يستتيبه فان تاب قبلت شهادته والا لم تقبل قال كذلك فعل عمر بن الخطاب بالذين شهدوا على المغيرة بن شعبة فتابوا الا أبا بكرة فكان لا تقبل شهادته * وقال آخرون الاستثناء في ذلك من قوله وأولئك هم الفاسقون وأما قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا فقد وصل بالأبد ولا يجوز قبولها أبدا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا أشعث بن سوار قال ثنا الشعبي قال كان شريح يجيز شهادة صاحب كل عمل اذا تاب الا القاذف فان توبته فيما بينه وبين ربه ولا نجيز شهادته **حدثنا** حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد قال ثنا أشعث بن سوار قال ثنا الشعبي عن شريح بنحوه غير أنه قال صاحب كل حد اذا كان عدلا يوم شهد **حدثني** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن شريح قال كان لا يجيز شهادة القاذف ويقول توبته فيما بينه وبين ربه **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن مطرف عن أبي عثمان عن شريح في القاذف يقبل الله توبته ولا أقبل شهادته **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أشعث

طلبه وأقبل الرهط الذين كانوا يحملون فحملوا هودجي وهم يحسبون أني فيه لخفتي فاني كنت جارية حديثة السن وذهبوا بالبعير فلما
رجعت الى المكان وليس به أحد جلست وقلت يعودون في طلبي فنمت وقد كان صفوان بن المعطل يمكث في العسكر يتتبع أمتعة الناس فيحمله
الى المنزل الآخر لئلا يذهب منهم شيء فلما رآني عرفني وقال ما خلفك عن الناس فأخبرته الخبر فنزل وتنحى حتى ركبت ثم قاد البعير فافتقدني
الناس حين نزلوا وخاض الناس في ذكري  فبيناهم في ذلك اذ هجمت عليهم فتكلم القوم فيّ وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة ومكثت شهرا أشتكي ولا
يرقألي دمع أقول كما يقول العبد
الصالح أبو يوسف فصبر جميل والله
المستعان على ما تصفون الى أن نزل
فيّ ان الذين جاؤا بالافك الى آخر
الآيات وفي الحديث طول هذا
حاصل سبب النزول وأما التفسير
فالافك أبلغ ما يكون من الكذب
والافتراء وقيل هو البهتان والعصبة
الجماعة من العشرة الى الأربعين
والتركيب يدل على الاجتماع
ومنه العصابة قال المفسرون هم
عبدالله بن أبيّ رأس النفاق وزيد
ابن رفاعة وحسان بن ثابت
ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش
ومن ساعدهم ومعنى (منكم) أنهم
كانوا من جملة من حكم لهم بالايمان
ظاهرا أما الخطاب في قوله (لا
تحسبوه شرا لكم) فالصحيح أنه لمن
ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبا بكر وعائشة وصفوان
ومعنى كونه خيرا لهم أنهم
اكتسبوا فيه الثواب العظيم على
قدر عظم البلاء وأنه نزلت فيه بضع
عشرة آية فيها تعظيم شأن الرسول
صلى الله عليه وسلم وتسلية له
وتنزيه لأم المؤمنين وتطهير لأهل
البيت وتهويل للطاعنين فيهم الى
غير ذلك من الأحكام الشرعية
والآداب العقلية وقيل الخطاب
لعائشة وحدها والجمع لتعظيمها
وقيل الخطاب للقاذفين وبيان الخير به صرفهم عن الاستمرار على حديث الافك الى التوبة عن ذلك أعني
ولعل في هذا الذكر عقوبة معجلة لهم فيكون في هذا القول الكفارة وضعف هذا القول بأنه لا يناسب تسلية الرسول والمؤمنين ولا يطابق قوله
لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) أي يصيب كل خائض في حديث الافك ما يصيبه من عقاب ما اكتسب من اثم الخوض (والذي تولى
كبره) أي معظم الافك وهو في قول الضحاك حسان ومسطح ولهذا جلدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امرأة من قريش والأشهر أنه

عن الشعبي قال أتاه خصمان فجاء أحدهما بشاهد أقطع فقال الخصم ألا ترى ما به قال قد أراه
قال فسأل القوم فأثنوا عليه خيرا فقال شريح نجيز شهادة كل صاحب حد اذا كان يوم شهد عدلا
الا القاذف فان توبته فيما بينه وبين ربه حدثنا أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا
أشعث عن الشعبي قال جاء خصمان الى شريح فجاء أحدهما ببينة فجاء بشاهد أقطع فقال الخصم
ألا ترى الى ما به فقال شريح قد رأيناه وقد سألنا القوم فأثنوا خيرا ثم ذكر سائر الحديث نحو حديث
أبي كريب حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا الشيباني عن الشعبي عن شريح
أنه كان يقول لا تقبل له شهادة أبدا توبته فيما بينه وبين ربه يعني القاذف * قال ثنا هشيم
قال أخبرنا الأشعث عن الشعبي بأن رابا قطع رجلا في قطع الطريق قال فقطع يده ورجله قال
ثم تاب وأصلح فشهد عند شريح فأجاز شهادته قال فقال المشهود عليه أتجيز شهادته عليّ وهو أقطع
قال فقال شريح كل صاحب حد اذا أقيم عليه ثم تاب وأصلح فشهادته جائزة الا القاذف حدثنا
ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا شعبة قال المغيرة أخبرني قال سمعت ابراهيم يحدث
عن شريح قال قضاء من الله لا تقبل شهادته أبدا توبته فيما بينه وبين ربه قال أبو موسى يعني
القاذف حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال قال شريح
لا يقبل الله شهادته أبدا حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد عن قتادة عن
سعيد بن المسيب قال لا تجوز شهادة القاذف توبته فيما بينه وبين الله حدثنا ابن بشار قال
ثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن أنه قال القاذف توبته فيما بينه
وبين الله وشهادته لا تقبل(١) حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد عن
قتادة عن سعيد بن المسيب قال لا تجوز شهادة القاذف توبته فيما بينه وبين الله حدثنا ابن
بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن أنه قال القاذف توبته فيما
بينه وبين الله وشهادته لا تقبل حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة
عن الحكم عن ابراهيم أنه قال في الرجل يجلد الحد قال لا تجوز شهادته أبدا حدثني يعقوب
قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه كان لا يقبل له شهادة أبدا وتوبته فيما بينه وبين
الله يعني القاذف حدثنا أبو كريب قال ثنا معتمر بن سليمن عن حجاج عن عمرو بن سعيد
عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تجوز شهادة محدود في الاسلام حدثنا ابن
عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا قال كان يقول
لا تقبل شهادة القاذف أبدا انما توبته فيما بينه وبين الله وكان شريح يقول لا تقبل شهادته حدثني
علي قال ثنا عبد الله عن علي عن ابن عباس قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ثم قال فمن تاب وأصلح
فشهادته في كتاب الله تقبل * والصواب من القول في ذلك عندنا أن الاستثناء من المعنيين جميعا

(١) كذا في الأصل هذا الأثر والذي بعده ويظهر أنهما مكرران فتأمل كتبه مصححه

أعنى من قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ومن قوله وأولئك هم الفاسقون وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن ذلك كذلك اذا لم يحد فى القذف حتى تاب اما بأن لم يرفع الى السلطان بعفو المقذوفة عنه واما بأن ماتت قبل المطالبة بحدها ولم يكن لها طالب يطلب بحدها فاذ كان ذلك كذلك وحدثت منه توبة صحت له بها العدالة فاذ كان من الجميع اجماعا ولم يكن الله تعالى ذكره شرط فى كتابه أن لا تقبل شهادته أبدا بعد الحد فى رميه بل نهى عن قبول شهادته فى الحال التى أوجب عليه فيها الحد وسماه فيها فاسقا كان معلوما بذلك أن اقامة الحد عليه فى رميه لا تحدث فى شهادته مع التوبة من ذنبه مالم يكن حادثا فيها قبل اقامته عليه بل توبته بعد اقامة الحد عليه من ذنبه أحرى أن تكون شهادته معها أجوز منها قبل اقامته عليه لأن الحد يزيد المحدود عليه تطهيرا من جرمه الذى استحق عليه الحد فان قال قائل فهل يجوز أن يكون الاستثناء من قوله فاجلدوهم ثمانين جلدة فتكون التوبة مسقطة عنه الحد كما كانت لشهادته عندك قبل الحد وبعده مجيزة ولاسم الفسق عنه مزيلة قيل ذلك غير جائز عندنا وذلك أن الحد حق عندنا للمقذوفة كالقصاص الذى يجب لها من جناية يجنيها عليها مما فيه القصاص ولا خلاف بين الجميع أن توبته من ذلك لا تضع عنه الواجب لها من القصاص منه فكذلك توبته من القذف لا تضع عنه الواجب لها من الحد لأن ذلك حق لها ان شاءت عفته وان شاءت طالبت به فتوبة العبد من ذنبه انما تضع عن العبد الاسماء الذميمة والصفات القبيحة فأما حقوق الآدميين التى أوجبها الله لبعضهم على بعض فى كل الاحوال فلا تزول بها ولا تبطل واختلف أهل العلم فى صفة توبة القاذف التى تقبل معها شهادته فقال بعضهم هى اكذابه نفسه فيه وقد ذكرنا بعض قائلى ذلك فيما مضى قبل ونحن نذكر بعض ما حضرنا ذكره مما لم نذكره قبل **حدثنى** أبو السائب قال ثنا حفص عن ليث عن طاوس قال توبة القاذف أن يكذب نفسه **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين قال رأيت رجلا ضرب حدا فى قذف بالمدينة فلما فرغ من ضربه تناول ثوبه ثم قال أستغفر الله وأتوب اليه من قذف المحصنات قال فلقيت أبا الزناد فذكرت ذلك له قال فقال ان الامر عندنا ههنا أنه اذا قال ذلك حين يفرغ من ضربه ولم نعلم منه الا خيرا قبلت شهادته **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا الآية قال من اعترف وأقر على نفسه علانية أنه قال البهتان وتاب الى الله توبة نصوحا والنصوح أن لا يعود واقراره واعترافه عند الحد حين يؤخذ بالجلد فقد تاب والله غفور رحيم * وقال آخرون توبته من ذلك صلاح حاله وندمه على ما فرط منه من ذلك والاستغفار منه وتركه العود فى مثل ذلك من الجرم وذلك قول جماعة من التابعين وغيرهم وقد ذكرنا بعض قائليه فيما مضى وهو قول مالك بن أنس وهذا القول أولى القولين فى ذلك بالصواب

---

عبد الله رأس النفاق ويحكى أن صفوان مر بهودجها وهو فى ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها ويروى أن عائشة ذكرت حسانا وقالت أرجوله الجنة فقيل أليس هو الذى تولى كبره فقالت اذا سمعت شعره فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم رجوت له الجنة وفى رواية أخرى قالت وأى عذاب أشد من العمى ثم علم أدبا حسنا فى مثل هذه الواقعة فقال (لولا اذ سمعتموه ظن) فصل بين لولا التحضيضية وبين فعلها بالظرف لأنه يتسع فى الظرف مالا يتسع فى غيره تنزيلا للظرف منزلة المظروف نفسه ولأن الممكنات لا تنفك عن الظروف والفائدة فيه أن يعلم أن ظن الخير كان يجب عليهم أول ما سمعوه بالافك فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم ومثله ولولا اذ سمعتموه قلتم ثم لا يخفى أن أصل المعنى أن يقال لولا اذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم هذا افك ومعنى بأنفسكم بالذين منكم من المؤمنين والمؤمنات فعدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ليبالغ فى التوبيخ بطريقة الالتفات ولينبه بلفظ الايمان على أن الاشتراك فيه يقتضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا عاتب بل يقول على فيه بناء على ظن الخير مصرحا ببراءة ساحته هذا افك مبين وذلك أن المؤمن معه من العقل والدين ما يهديه الى الأصلح ويؤخره عن الأقبح ولم يوجد هذا الداعى والصارف معارض يتساويهما كما قيل كلام العدى ضرب من الهذيان فوجب أن لا يلتفت المؤمن الى قول الطاعن فى حق أخيه ويبقى على حسن ظنه به وهذا أدب حسن قل العامل به وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يزيد فيه روى أن أبا أيوب الأنصارى قال لأم أيوب أما ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله سوأ قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير منى وصفوان خير منك وفى الآية دلالة على قول أبى حنيفة ان المسلمين عدول بعضهم على بعض مالم يظهر منهم ريبة لأنا مأمورون بحسن الظن وذلك يوجب قبول الشهادة ومن هنا قال أيضا اذا باع درهما ودينارا بدرهمين ودينارين انا نخالف بينهما لأنا قد أمرنا بظن الخير فوجب حمله على ما يجوز ومثله اذا باع سيفا محلى فيه مائة درهم بمائتى درهم نجعل المائة بالمائة والفضل بالسيف

واذا وجدنا امرأة أجنبية مع رجل فاعترفا بالتزويج نصدقهما حملا لعقود المسلمين وتصرفاتهم على الجواز والصحة وزعم مالك أنهما يحدان ان لم يقيما بينة على النكاح وقيل ان الآية مختصة بعائشة لأن كونها زوجة النبى كالدليل القاطع على أن الذى قيل فيها افك صريح قال العلماء يجوز أن تكون زوجة النبى كافرة كامرأة نوح ولوط ولا يجوز أن تكون فاجرة لأن الأنبياء معصومون عن المنفرات البتة فان حصول المنفر معه ينافى بعثته لكن الكفر غير  منفر للكفرة قال وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات قيل فى تفسيره انكشخان الذى يحسب امرأته الرجال الى نفسها ويقال كشخنته أى قلت له يا كشخان ثم بالغ فى زجرهم عن حديث الافك بقوله (لولا جاؤا) وهى أيضا تحضيضية والمراد التفصيل بين الرمى الصادق والكاذب بثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفائها ولكن هذا العدد وكل فرد منه منتف فى حق عائشة فهم فى حكم الله وشريعته كاذبون وهذا القدر كاف فى الزام أولئك الطاعنين والافهم فى نفس الأمر بالنسبة الى هذه الواقعة كاذبون كما مر تقريره آنفا ثم زاد فى التهديد والزجر بقوله (ولولا فضل الله) هى لولا الامتناعية قال جمهور المفسرين لولا أنى قضيت أن أتفضل عليكم فى هذه الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الامهال للتوبة وأن أترحم عليكم فى الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك وعن مقاتل أن فى الآية تقديما وتأخيرا والمعنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالحلم عنكم والحكم عليكم بالتوبة (لمسكم فيما) اندفعتم (فيه عذاب عظيم) فى الدنيا والآخرة معا وتلقى الافك أخذه من أفواه القالة وقوله والاصل تتلقونه بتاءين وقد قرئ به كان الرجل يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى طار وانتشر وفى زيادة قوله (بأفواهكم) اشارة الى أنه قول لا وجود له الا فى العبارة ولا حقيقة لمؤداه فى الواقع والقذف كبيرة التأويل من الكبائر كما سبق لا سيما قذف زوجة النبى وخاصة نبينا صلى الله عليه وسلم فلهذا قال (وهو عند الله عظيم) عن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف ذنبا لم يكن منى على بال وهو عند الله عظيم وفى النصائح الكبار لا تقولن لشئ من سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم فى الآية بارتكاب ثلاثة آثام تلقى الافك والتكلم بما لا حقيقة له ولا علم لهم به واستهانة عظيمة من العظائم وفيه أن نتم

لان الله تعالى ذكره جعل توبة كل ذى ذنب من أهل الايمان تركه العود منه والندم على ما سلف منه واستغفار ربه منه فيما كان من ذنب بين العبد وبينه دون ما كان من حقوق عباده ومظالمهم بينهم والقاذف اذا أقيم عليه فيه الحد أو عفى عنه فلم يبق عليه الا توبته من جرمه بينه وبين ربه فسبيل توبته منه سبيل توبته من سائر أجرامه فاذ كان الصحيح فى ذلك من القول ما وصفنا فتأويل الكلام وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من جرمهم الذى اجترموه بقذفهم المحصنات من بعد اجترامهموه فان الله غفور يقول ساتر على ذنوبهم بعفوه لهم عنها رحيم بهم بعد التوبة أن يعذبهم عليها فاقبلوا شهادتهم ولا تسموهم فسقة بل سموهم باسمائهم التى هى لهم فى حال توبتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين﴾ يقول تعالى ذكره والذين يرمون من الرجال أزواجهم بالفاحشة فيقذفونهن بالزنا ولم يكن لهم شهداء يشهدون لهم بصحة ما رموهن به من الفاحشة فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة أربع شهادات نصبا ولنصبهم ذلك وجهان أحدهما أن تكون الشهادة فى قوله فشهادة أحدهم مرفوعة بمضمر قبلها وتكون الاربع منصوبا بمعنى الشهادة فيكون تأويل الكلام حينئذ فعلى أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله والوجه الثانى أن تكون الشهادة مرفوعة بقوله انه لمن الصادقين والأربع منصوبة بوقوع الشهادة عليها كما يقال شهادتى ألف مرة انك لرجل سوء وذلك أن العرب ترفع الأيمان بأجوبتها فتقول حلف صادق لأقومن وشهادة عمرو ليقعدن وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين أربع شهادات برفع الاربع ويجعلونها للشهادة مرافعة وكأنهم وجهوا تأويل الكلام فالذى يلزم من الشهادة أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ۞ وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأ فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين بنصب أربع بوقوع الشهادة عليها والشهادة مرفوعة حينئذ على ما وصفت من الوجهين قبل وأحب وجهيهما الى أن تكون به مرفوعة بالجواب وذلك قوله انه لمن الصادقين وذلك أن معنى الكلام والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين تقوم مقام الشهداء الأربعة فى دفع الحد عنه فترك ذكر تقوم مقام الشهداء الأربعة اكتفاء بمعرفة السامعين بما ذكر من الكلام فصار مرافع الشهادة ما وصفت ويعنى بقوله فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله فحلف أحدهم أربع أيمان بالله من قول القائل أشهد بالله انه لمن الصادقين فيما رمى زوجته به من الفاحشة والخامسة يقول والشهادة الخامسة أن لعنة الله عليه يقول أن لعنة الله له واجبة وعليه حالة ان كان فيما رماها به من الفاحشة من الكاذبين ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت به جماعة من أهل

التأويل ذكر الرواية بذلك وذكر السبب الذى فيه أنزلت هذه الآية **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن عكرمة قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة قال سعد بن عبادة آلله ان أنا رأيت لكاع متفخذها رجل فقلت بما رأيت ان فى ظهرى لثمانين الى ما أجمع أربعة قد ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الانصار ألا تسمعون الى ما يقول سيدكم قالوا يارسول الله لا تلمه وذكروا من غيرته فما تزوج امرأة قط الا بكرا ولا طلق امرأة قط فرجع فيها أحد منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يأبى الا ذاك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا أن جاء ابن عم له فرمى امرأته فشق ذلك على المسلمين فقال لا والله لا يجعل الله فى ظهرى ثمانين أبدا لقد نظرت حتى أيقنت ولقد استسمعت حتى استشفيت قال فأنزل الله القرآن باللعان فقيل له احلف فحلف قال قفوه عند الخامسة فانها موجبة فقال لا يدخله الله النار بهذا أبدا كما درأ عنه جلد ثمانين لقد نظرت حتى أيقنت ولقد استسمعت حتى استشفيت فحلف ثم قيل احلفى فحلفت ثم قال قفوها عند الخامسة فانها موجبة فقيل لها انها موجبة فتلكأت ساعة ثم قالت لا أخزى قومى فحلفت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذى قيل فيه ما قيل قال فجاءت به غلاما كأنه جمل أورق فكان بعد أميرا بمصر لا يعرف نسبه أو لا يدرى من أبوه **حدثنا** خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا عباد قال سمعت عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون قال سعد بن عبادة لهكذا أنزلت يارسول الله لو أتيت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لى أن أهيجه ولا أحركه حتى آتى بأربعة شهداء فوالله ما كنت لآتى بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الأنصار أما تسمعون الى ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج فينا قط إلا عذراء ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا أن يتزوجها قال سعد يارسول الله بأبى وأمى والله انى لأعرف أنها من الله وأنها حق ولكن عجبت لو وجدت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لى أن أهيجه ولا أحركه حتى آتى بأربعة شهداء والله لا آتى بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته فوالله ما لبثوا الا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية من حديقة له فرأى بعينيه وسمع باذنيه فأمسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يارسول الله انى جئت أهلى عشاء فوجدت رجلا مع أهلى رأيت بعينى وسمعت باذنى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه جدا حتى عرف ذلك فى وجهه فقال هلال والله يارسول الله انى لأرى الكراهية فى وجهك مما أتيتك به والله يعلم أنى صادق وما قلت الا حقا فانى لأرجو أن يجعل الله فرجا قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد أيجلد هلال بن أمية وتبطل شهادته فى المسلمين فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

المعصية لا يتعلق بظن فاعله بل جهله بعظمه ربما يصير مؤكد العظمه وفيه أن الواجب على المكلف أن يستعظم الاقدام على كل محرم اذ لا يأمن أن يكون عند الله من الكبائر ثم علمهم أدبا آخر ومعنى (ما يكون لنا) لا ينبغى ولا يصح لنا ومعنى (سبحانك) تنزيه الله من أن تكون زوجة نبينا الذى هو أحب خلقه اليه فاجرة أو تنزيهه من أن يرضى بقذف هؤلاء المقربين ولا يعاقبهم أو هو للتعجب من عظم الأمر وذلك أنه يسبح الله عند رؤية كل أمر عجيب من صنائعه فكثر حتى استعمل فى كل متعجب (٦٥) منه والفرق بين هذه الآية وبين قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون هو أن تلك تميل الى العموم وهذه الى الخصوص فكأنه بين أن هذا القذف خاصة مما ليس لهم أن يتفوهوا به لما فيه من ايذاء نبيه وايذاء زوجته التى هى حبيبته (يعظكم الله) بهذه المواعظ التى بها تعرفون عظم هذا الذنب كراهة (أن تعودوا) أو فى شأن أن تعودوا (لمثله أبدا) أى مدة حياتكم ولا دلالة للمعتزلة فى قوله (ان كنتم مؤمنين) على أن ترك القذف من الايمان لاحتمال انه للتهييج والانزجار (ويبين الله لكم) أى لانتفاعكم (الآيات) الدالات على علمه وحكمته وما ينبغى أن يتمسك المكلف به فى أبواب صلاح معاشه ومعاده والله عليم حكيم) هما صفتان مختلفتان عند المعتزلة ثانيتهما أخص من الأولى وعند الأشاعرة الثانية للتأكيد المحض والمراد أنه يجب قبول تكاليفه وبياناته لانه عالم بما أمر وبما يستحقه كل مأمور وليس فى تكليفه عيب ولا عبث ومن كان هذه صفته وجب طاعته لئلا يثيب ولا يعاقب استدلت المعتزلة بالآية فى أنه يريد الايمان من الكل والا لم يكن واعظا ولا مبينا آياته لانتفاعهم ولا حكيما لا يفعل القبائح ولا جواب للأشاعرة الا أنه يشاء ما يشاء ولا اعتراض عليه ثم بين



بقوله (ان الذين يحبون) أن أهل الافك يشاركهم فى عذاب الدارين من رضى بقولهم وأنهم كما هم مؤاخذون بما أظهروه فهم معاقبون على ما أضمروه من محبة اشاعة الفاحشة والفحشاء فى المؤمنين لأنها تدل على الدغل والنفاق وعدم سلامة القلب والفاحشة والفحشاء ما أفرط قبحه وشيوعها انتشارها وظهورها بحيث يطلع عليها كل أحد وخصوص السبب لا يقتضى خصوص الحكم فهذا الوعيد شامل لكل من أراد بواحد من المؤمنين أو المؤمنات شيأ من المضار

والاذيات وبعضهم حمل الفاحشة على الزنا وخصص من يحب شيوع الفاحشة بعبد الله بن أبي وخصص الذين آمنوا بعائشة وصفوان ولا يخفى ما فيه من ضيق العطن الا أن يساعده نقل صحيح وعذاب الدنيا الحد واللعن والذم وما على أهل النفاق من صنوف البلاء ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وعذاب الآخرة في القبر وفي القيامة هو النار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعرف قوما يضربون صدورهم ضربا يسمعه أهل النار وهم الهمازون اللمازون الذين يلتمسون عورات المسلمين ويهتكون ستورهم ويشيعون عليهم من الفواحش ما ليس فيهم وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير وأما قوله (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ففي نهاية حسن الموقع لأن الأعمال القلبية محبة الشر أو الخير لا يطلع عليها أحد كما هي الا الله سبحانه وانما نعرف نحن شيأ منها بالقرائن والامارات وفيه زجر عظيم لمن لا يجتهد في أن يكون قلبه سليما من النفاق والغل وحصول هذا الغل في القلب غير العزم على الذنب فان الأول ملكة والثاني حال ولا يلزم من ترتب العقاب على الملكات ترتبه على الأحوال فافهم قال أبو حنيفة المغتابة بالفجور لا تستنطق لأن استنطاقها اشاعة للفاحشة وانها ممنوع عنها وقالت المعتزلة في الآية دليل على أنه تعالى غير خالق للكفر ولا مريد والا كان ممن يحب أن تشيع الفاحشة ولقائل أن يقول قياس الغائب على الشاهد فاسد ثم كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب والتمكين من التلافي وبالغ فيها بذكر الرؤف والرحيم وجواب لولا محذوف على نسق ما مر وقيل جوابه ما دل على ذلك في قوله (ما زكى منكم) وهو بعيد عن ابن عباس أن الخطاب لحسان ومسطح وحمنة والأقرب العموم ثم نهى عن اتباع آثار الشيطان وسلوك مسالكه والاقتداء به في الاصغاء الى الافك واشاعة الفحشاء وارتكاب ما تنكره العقول وتأباه وقوله (فانه يأمر بالفحشاء) من وضع السبب مقام المسبب والمراد ضل قالت الاشاعرة في قوله ما زكى بالتشديد والضمير لله وكذا في قوله ولكن الله يزكي دلالة على أن الزكاء وهو الطهارة من دنس الآثام لا يحصل الا بالله وهو دليل على أنه خالق الافعال والآثار وحمله المعتزلة على منح الالطاف

---

يضربه فانه لكذلك يريد أن يأمر بضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه اذ نزل عليه الوحي فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل حتى فرغ فأنزل الله والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم الى أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر يا هلال فان الله قد جعل فرجا فقال قد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لها فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال يا رسول الله بأبي وأمي لقد صدقت وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما قيل لهلال يا هلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقيل له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الله أشد من عذاب الناس وانها الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد الخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قيل لها اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقيل لها عند الخامسة اتقي الله فان عذاب الله أشد من عذاب الناس وان هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فتلكأت ساعة ثم قالت والله لا أفضح قومي فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضى أن الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا أبو أحمد الحسين بن محمد قال ثنا جرير بن حازم عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قذف هلال بن أمية امرأته قيل له والله ليجلدنك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين جلدة قال الله أعدل من ذلك أن يضربني ضربة وقد علم أني قد رأيت حتى استيقنت وسمعت حتى استثبت لا والله لا يضربني أبدا فنزلت آية الملاعنة فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت الآية فقال الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال والله اني لصادق فقال له احلف بالله الذي لا اله الا هو اني لصادق يقول ذلك أربع مرات فان كنت كاذبا فعلي لعنة الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قفوه عند الخامسة فانها موجبة فحلف ثم قالت أربعا والله الذي لا اله الا هو انه لمن الكاذبين فان كان صادقا فعليها غضب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قفوها عند الخامسة فانها موجبة فترددت وهمت بالاعتراف ثم قالت لا أفضح قومي حدثنا أبو كريب وأبو هشام الرفاعي قالا ثنا عبدة عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال كنا ليلة الجمعة في المسجد فدخل رجل فقال لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا فقتله قتلتموه وان تكلم جلدتموه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله آية اللعان ثم جاء الرجل بعد فقذف امرأته فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال عسى أن تجيء به أسود جعدا فجاءت به أسود جعدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير بن عبد الحميد عن عبد الملك

ابن

أوعلى الحكم بالطهارة وضعف بأنه خلاف الظاهر و بأنه يجب انتهاء الكل اليه و بأن قوله من يشاء ينافى قولكم ان خلق الالطاف واجب عليه. ثم علم أدبا آخر جميلا بقوله (ولا يأتل) وهو افتعل من الألية أى لا يحلف على عدم الاحسان وحرف النفى يحذف من جواب القسم كثيرا فهى كقراءة من قرأ ولا يتأل وقيل هو من قولهم ما ألوت جهدا اذا لم يدخر من الاجتهاد شيأ أى لا يقصر فى الاحسان الى المستحقين قالوا نزلت فى شأن مسطح وكان ابن خالة أبى بكر الصديق فقيرا من فقراء المهاجرين وكان  أبو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى أن لا ينفق عليه فنزلت فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى بكر فلما وصل الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال أبو بكر بلى أحب أن يغفر الله لى فعفا عن مسطح ورجع الى الانفاق عليه وقال والله لا أنزعها أبدا قال الامام فخر الدين الرازى هذه الآية تدل على أفضلية أبى بكر الصديق من وجوه وذلك أن الفضل المذكور فى الآية لا يراد به السعة فى المال والا لزم التكرار فهو الفضل فى الدين ولكنه مطلق غير مقيد فثبت له الفضل على الاطلاق تركنا العمل به فى حق النبى صلى الله عليه وسلم بالاتفاق فيبقى فى الغير معمولا به وأيضا ذكره الله تعالى فى الآية بلفظ الجمع وانه مشعر بالتعظيم وأيضا قد قيل

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند

فهذا الظلم من مسطح كان فى غاية العظم وقد أمره الله تعالى بالصفح عنه وامتثل هو فكان فيه نهاية جهاد النفس فيكون ثوابه على حسب ذلك وأيضا فى تسميته أولى الفضل والسعة شرف تام فكأنه قيل له أنت أفضل من أن تقابل انسانا بسوء وأنت أوسع قلبا من أن تقيم للدنيا وزنا فلا يليق بفضلك وسعة قلبك أن يقطع برك عمن أساء اليك وأيضا أمره الله تعالى بالعفو والصفح وقال لنبيه فاعف عنهم واصفح فهو من هذه الجهة ثانى اثنين له فى الأخلاق وأيضا علق المغفرة بالعفو وقال ... ل العفو فتحصل المغفرة البتة فى الحال وفى الاستقبال لقوله ان يغفر فهو للاستقبال فيكون كما قال لنبيه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وفيه دليل على حقية خلافته والا كان عاصيا والعاصى فى النار وليس النهى فى قوله ولا يأتل نهى زجر عن المعصية ولكنه ندب الى الأولى والافضل وهو العفو عن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل أخلاق المسلمين العفو وعنه صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل

---

ابن أبى سليمن عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عمر فقلت يا أبا عبد الرحمن أيفرق بين المتلاعنين فقال نعم سبحان الله ان أول من سأل عن ذلك فلان أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله فقال أرأيت لو أن أحدنا رأى صاحبته على فاحشة كيف يصنع فلم يجبه فى ذلك شيأ قال فأتاه بعد ذلك فقال ان الذى سألت عنه قد ابتليت به فأنزل الله هذه الآية فى سورة النور فدعا الرجل فوعظه وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة قال والذى بعثك بالحق لقد رأيت وما كذبت عليها قال ودعا المرأة فوعظها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقالت والذى بعثك بالحق انه لكاذب وما رأى شيأ قال فبدأ الرجل فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم ان المرأة شهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين وفرق بينهما **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن عامر قال لما أنزل والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة قال عاصم بن عدى ان أنا رأيت فتكلمت جلدت ثمانين وان أنا سكت سكت على الغيظ قال فكأن ذلك شق على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأنزلت هذه الآية والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم قال فما لبثوا الا جمعة حتى كان بين رجل من قومه وبين امرأته فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم الآية والخامسة أن يقال له ان عليك لعنة الله ان كنت من الكاذبين وان أقرت المرأة بقوله رجمت وان أنكرت شهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن يقال لها غضب الله عليك ان كان من الصادقين فيدرأ عنها العذاب و يفرق بينهما فلا يجتمعان أبدا و يلحق الولد بأمه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله والذين يرمون أزواجهم قال هلال بن أمية والذى رميت به شريك بن سحماء والذى استفتى عاصم ابن عدى * قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى الزهرى عن الملاعنة والسنة فيها عن حديث سهل بن سعد أن رجلا من الانصار جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل فأنزل الله فى شأنه ما ذكر من أمر المتلاعنين فقال رسول الله قد قضى الله فيك وفى امرأتك فتلاعنا وأنا شاهد ثم فارقها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت السنة بعدها ان يفرق بين المتلاعنين وكانت حاملة فأنكره فكان ابنها يدعى الى أمه ثم جرت السنة أن ابنها يرثها وترث ما فرض الله لها **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين يرمون أزواجهم الى قوله ان كان من الكاذبين قال اذا شهد الرجل خمس شهادات فقد برئ كل واحد من الآخر وعدتها ان كانت حاملا أن تضع حملها ولا يجلد واحد منهما وان لم تحلف أقيم عليها الحد والرجم

حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه واعلم أن العلماء أجمعوا على أن مسطحا كان مذنبا لأنه أتى بالقذف أو رضي به على الروايتين عن ابن عباس ولهذا حده رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمعوا أيضا على أنه من البدريين وقد ورد فيهم الخبر الصحيح لعل الله نظر الى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فكيف الجمع بين الامرين أجابوا بأنه ليس المراد من قوله اعملوا ما شئتم أنهم خارجون عن حد التكليف وانما المراد اعملوا من  النوافل ما شئتم قليلا أو كثيرا فقد أعطيتكم الدرجات العاليات في الجنة أو أراد حسن

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين﴾ يعني جل ذكره بقوله ويدرأ عنها العذاب ويدفع عنها الحد واختلف أهل العلم في العذاب الذي عناه الله في هذا الموضع أنه يدرؤه عنها شهاداتها الاربع فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك من أنه الحد جلد مائة ان كانت بكرا أو الرجم ان كانت ثيبا قد أحصنت * وقال آخرون بل ذلك الحبس وقالوا الذي يجب عليها ان هي لم تشهد الشهادات الاربع بعد شهادات الزوج الاربع والتعانه الحبس دون الحد وانما قلنا الواجب عليها اذا هي امتنعت من الالتعان بعد التعان الزوج الحد الذي وصفنا قياسا على اجماع الجميع على أن الحد اذا زال عن الزوج بالشهادات الأربع على تصديقه فيما رماها به أن الحد عليها واجب فجعل الله أيمانه الاربع والتعانه في الخامسة مخرجا له من الحد الذي يجب لها برميه اياها كما جعل الشهداء الأربعة مخرجا له منه في ذلك وزائلا به عنه الحد فكذلك الواجب أن يكون بزوال الحد عنه بذلك واجبا عليها حدها كما كان بزواله عنه بالشهود واجبا عليها لا فرق بين ذلك وقد استقصينا العلل في ذلك في باب اللعان من كتابنا المسمى لطيف القول في شرائع الاسلام فأغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله أن تشهد أربع شهادات بالله يقول ويدفع عنها العذاب أن تحلف بالله أربع أيمان ان زوجها الذي رماها بما رماها به من الفاحشة لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنا وقوله والخامسة أن غضب الله عليها الآية يقول والشهادة الخامسة أن غضب الله عليها ان كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين ورفع قوله والخامسة في كلتا الآيتين بأن التي تليها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾ يقول تعالى ذكره ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم وأنه عواد على خلقه بلطفه وطوله حكيم في تدبيره اياهم وسياسته لهم لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلا رحمة منه بكم وتفضلا عليكم فاشكروا نعمه وانتهوا عن التقدم عما عنه نهاكم من معاصيه وترك الجواب في ذلك اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين جاؤا بالكذب والبهتان عصبة منكم يقول جماعة منكم أيها الناس لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم يقول لا تظنوا ما جاؤا به من الافك شرا لكم عند الله وعند الناس بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين وذلك أن الله يجعل ذلك كفارة للمرمي به ويظهر براءته مما رمي به ويجعل له منه مخرجا وقيل ان الذي عنى الله بقوله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم جماعة منهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد

حالهم في العاقبة أنهم يوافون بالطاعة فكأنه قال قد غفرت لكم لعلمي بأنكم تموتون على التوبة والانابة قالت الاشاعرة في وصف مسطح ومدحه بكونه من المهاجرين دليل على أن ثواب كونه مهاجرا لم يحبط باقدامه على القذف فيكون القول بالمحابطة باطلا استدل جمهور الفقهاء بالآية في قول من فسر الائتلاء بالحلف على أن اليمين على الامتناع من الخير غير جائزة وانما تجوز اذا جعلت داعية للخير لا صارفة عنه ثم قالوا من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فينبغي له أن يأتي بالذي هو خير ثم يكفر عن يمينه كما جاء في الحديث ولقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو عام في جانب الخير وفي غيره ومثله ما ورد في قصة أيوب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولو كان الحنث كفارة لم يؤمر بضرب الضغث عليها وقال بعض العلماء انه يأتي بالذي هو خير وذلك كفارته لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت بالذي هو خير وذلك كفارته ولأنه تعالى أمر أبا بكر في هذه الآية بالحنث ولم يوجب عليه كفارة وأجيب بأن معنى الكفارة في الحديث تكفير الذنب لا الكفارة الشرعية التي هي احدى الخصال وانما ذهبنا الى هذا ليكون مطابقا للحديث الآخر من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه وأما هذه الآية فانما لم يذكر فيها الكفارة لأنها معلومة من آية المائدة قوله (ان الذين يرمون المحصنات) قد مر تفسير المحصنة وأما الغافلات فهن السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر بحسب الغريزة أو لقلة التجارب وقد يعين على ذلك صغر السن وغير ذلك من الاحوال قال الاصوليون خصوص السبب لا يمنع العموم فيدخل

في الآية قذفة عائشة وقذفة غيرها وخصصه بعض المفسرين فمنهم من قال المراد عائشة وحدها والجمع للتعظيم ومنهم من قال عائشة مع سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال هي أم المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة المشاكلة لها في الاحصان والغفلة والايمان وذكروا في سبب التخصيص أن قاذف سائر المحصنات تقبل توبته لقوله الا الذين تابوا وأما القذف المذكور في هذه الآية فوعيده مطلق من غير استثناء وأجيب بانه طوى ذكر التوبة في هذه الآية لكونها معلومة وقد يحتج للمخصص بما روي عن ابن عباس أنه كان بالبصرة يوم عرفة فسئل عن تفسير هذه الآية فقال من أذنب ذنبا ثم تاب قبلت توبته الا من خاض في أمر عائشة ومنهم من قال نزلت الآية في مشركي مكة حين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وكانت المرأة اذا خرجت الى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من أهل مكة وقالوا انما خرجت لتفجر أما شهادة الجوارح فلا اشكال فيها عند الاشاعرة لأنهم يقولون البنية ليست شرطا في الحياة فيجوز أن يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علما وقدرة وكلاما وقالت المعتزلة المتكلم هو فاعل الكلام فيكون الكلام المضاف الى الجوارح هو في الحقيقة من الله تعالى ويجوز أن يبني الله هذه الجوارح على خلاف ما هي عليه ويلجئها الى أن تشهد على الانسان وتخبر عن أعماله ومعنى (دينهم الحق) الجزاء المستحق وقال في الكشاف معنى قوله (هو الحق المبين) العادل الظاهر العدل وقال غيره سمي حقا لأنه تحق عبادته أو لأنه الموجود بالحقيقة وما سواه فوجوده مستعار زائل والمبين ذو البيان الصحيح أو المظهر للموجودات فالحاصل أنه واجب الوجود لذاته مفيد لوجود غيره ثم ختم الآيات الواردة في أهل الافك بكلمة جامعة وهي قوله (الخبيثات) يعني الكلمات التي تخبث موادها ويستقذرها من يخاطب بها وعجها سمعه ككلمات أهل الافك ويجوز أن يراد بالخبيثات مضمون الآيات الواردة في وعيد القذفة لأن مضمونها ذم ولعن وهو يستكره طبعا وان كان نفس الكلمة التي هي من قبل الله سبحانه طيبا وعلى الوجهين يراد بالخبيثين الرجال والنساء جميعا الا انه غلب الرجال والحاصل أن الخبيثات من القول تقال أو تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون من الصنفين معرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون فـ(أولئك) الطيبون (مبرؤن مما) يقول الخبيثون

قال ثنا أبي قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة أنه كتب الى عبد الملك ابن مروان كتبت الي تسألني في الذين جاؤا بالافك وهم كما قال الله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم وانه لم يسم منهم أحد الا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش وهو يقال في آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله جاؤا بالافك عصبة منكم هم أصحاب عائشة قال ابن جريج قال ابن عباس قوله جاؤا بالافك عصبة منكم الآية الذين افتروا على عائشة عبد الله بن أبي وهو الذي تولى كبره وحسان بن ثابت ومسطح وحمنة بنت جحش **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الذين جاؤا بالافك عصبة منكم الذين قالوا لعائشة الافك والبهتان **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم قال الشر لكم بالافك الذي قالوا الذي تكلموا به كان شرا لهم وكان فيهم من لم يقله انما سمعه فعاتبهم الله فقال أول شئ ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ثم قال والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقوله لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم يقول لكل امرئ من الذين جاؤا بالافك جزاء ما اجترم من الاثم بمجيئه بما جاء به من الاولى عبد الله وقوله والذي تولى كبره منهم يقول والذي تحمل معظم ذلك الاثم والافك منهم هو الذي بدأ بالخوض فيه كما **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والذي تولى كبره منهم يقول الذي بدأ بذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله عصبة منكم قال أصحاب عائشة عبد الله بن أبي ابن سلول ومسطح وحسان «قال أبو جعفر» له من الله عذاب عظيم يوم القيامة وقد اختلف القراء في قراءة قوله كبره فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار كبره بكسر الكاف سوى حميد الأعرج فانه كان يقرؤه كبره بمعنى والذي تحمل أكبره * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب القراءة التي عليها عوام القراء وهي كسر الكاف لاجماع الحجة من القراء عليها وأن الكبر بالكسر مصدر الكبير من الامور وأن الكبر بضم الكاف انما هو من الولاء والنسب من قولهم هو كبر قومه والكبر في هذا الموضع هو ما وصفناه من معظم الاثم والافك فاذ كان ذلك كذلك فالكسر في كافه هو الكلام الفصيح دون ضمها وان كان لضمها وجه مفهوم * وقد اختلف أهل التأويل في المعني بقوله والذي تولى كبره منهم الآية فقال بعضهم هو حسان بن ثابت ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن قزعة قال ثنا مسلمة بن علقمة قال ثنا داود عن عامر أن عائشة قالت ما سمعت بشئ أحسن من شعر حسان وما تمثلت به الا رجوت له الجنة قوله لأبي سفيان

من خبيثات الكلم قال جار الله هو كلام جار مجرى المثل لعائشة ومارميت به من قول لا يطابق حالها فى النزاهة والطيب وجوز بقرينة الحال أن يكون أولئك اشارة الى أهل البيت عليهم السلام وأنهم مبرؤن مما يقول أهل الافك وفى الآية قول آخر وهو أن يراد بالخبيثات النساء الخبائث و بالخبيثين الرجال الذين هم اشكال لهن فيكون أول الآية نظير قوله الزانى لا ينكح الا زانية وكذلك الكلام فى أهل الطيب ولا أطيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم



فيكون أزواجه مثله فلذلك أخبر عن حالهن بقوله (لهم مغفرة ورزق كريم) وقدم تفسير الرزق الكريم فى الحج نظيره قوله فى الاحزاب واعتدنا لها رزقا كريما وفى الآية دلالة على أن عائشة من أهل الجنة وقال بعض الشيعة هذا الوعد مشروط باجتناب الكبائر وقد فعلت عائشة من البغى يوم الجمل مافعلت والصحيح عند العلماء انها رجعت عن ذلك الاجتهاد وتابت * عن عائشة لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتى فى راحته حين أمر النبى أن يتزوجنى ولقد تزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى ولقد توفى وان رأسه لفى حجرى ولقد قبر فى بيتى ولقد حفته الملائكة فى بيتى وان الوحى لينزل عليه فى أهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وأنا معه فى لحافه وانى لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذرى من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما وعن بعضهم برأ الله أربعة بأربعة برأ يوسف بلسان الشاهد وشهد شاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها انى عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام فى كتابه المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها و بين تبرئة أولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة سيد الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين

(التأويل) قال اذا حصل لأهل الله مسئلة الى غيره قيض الله له ما يرده اليه وأن النبى عليه السلام لما قيل له أى الناس أحب اليك قال عائشة فسأكنها وقال ياعائشة حبك فى قلبى كالعقدة وقالت عائشة انى أحبك وأحب قربك فالله تعالى حل عقدة الحب عن قلبه لحديث الافك ورد قلب عائشة الى حضرته حتى قالت حين ظهرت براءة ساحتها بحمد الله لا بحمدك وقيل الملامة مفتاح باب حبس الوجود بها يذوب الوجود ذوبان الثلج

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء
فان أبى و والده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء
أتشتمه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء
لسانى صارم لا عيب فيه * وبحرى لا تكدره الدلاء

فقيل يا أم المؤمنين أليس هذا لغوا قالت لا انما اللغو ماقيل عند النساء قيل أليس الله يقول والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت أليس قد أصابه عذاب عظيم أليس قد ذهب بصره وكنع بالسيف * قال ثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال كنت عند عائشة فدخل حسان بن ثابت فأمرت فألقى له وسادة فلما خرج قلت لعائشة ما تصنعين بهذا وقد قال الله ما قال فقالت قال الله والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد ذهب بصره ولعل الله يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن أبى عدى عن شعبة عن سليمن عن أبى الضحى عن مسروق قال دخل حسان ابن ثابت على عائشة فشبب بأبيات له فقال * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل * فقالت عائشة أما انك لست كذلك فقلت تدعين هذا الرجل يدخل عليك وقد أنزل الله فيه والذى تولى كبره الآية فقالت وأى عذاب أشد من العمى وقالت انه كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن عثمان الواسطى قال ثنا جعفر بن عون عن المعلى بن عرفان عن محمد ابن عبد الله بن جحش قال تفاخرت عائشة وزينب قال فقالت زينب أنا التى نزل تزويجى من السماء قال وقالت عائشة أنا التى نزل عذرى فى كتابه حين حملنى ابن المعطل على الراحلة فقالت لها زينب ياعائشة ما قلت حين ركبتها قالت قلت حسبى الله ونعم الوكيل قالت قلت كلمة المؤمنين * وقال آخرون هو عبد الله بن أبى ابن سلول ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان الذين تكلموا فيه المنافق عبد الله بن أبى ابن سلول وكان يستوشيه ويجمعه وهو الذى تولى كبره ومسطحا وحسان بن ثابت حدثنا سفيان قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن علقمة ابن وقاص وغيره أيضا قالوا قالت عائشة كان الذى تولى كبره الذى يجمعهم فى بيته عبد الله ابن أبى ابن سلول حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن شهاب قال ثنى عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت كان الذى تولى كبره عبد الله بن أبى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ان الذين جاؤا الآية الذين افتروا على عائشة عبد الله ابن أبى وهو الذى تولى كبره وحسان ومسطح وحمنة بنت جحش حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد

بالشمس يوم تشهد عليهم شهادة الأعضاء في القيامة مؤجلة وبالحقيقة هي في الدنيا معجلة كقوله تعرفهم بسيماهم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقال الشاعر عينالُ قد حكتا مبيتك كيف كنت وكيف كانا ولرب عين قد أرتك مبيت صاحبها عيانا * واذا كانت الامارة في الدنيا ظاهرة فهي في القيامة أولى فاللسان يشهد بالاقرار بقراءة القرآن واليد تشهد بأخذ المصحف والرجل تشهد بالمشي الى المسجد والعين تشهد بالبكاء والاذن تشهد باستماع كلام الله وعند الحكماء تظهر (٧١) أنوار الملكات الجيدة على النفس من البدن وبالعكس كما تنعاكس أنوار المرايا المتقابلة ويعلمون أهل الوصول والوصال أن الله هو الحق المبين لاشئ في الوجود غيره لا في الدنيا ولا في الآخرة وحينئذ يحق أن يقال الخبيثات وهن الملوثات بلوث الوجود المجازي للخبيثين وهم أمثالهن والطيبات من لوث الحدوث للطيبين وهم اشكالهن ولا طيب الا الله وحده ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان

قال ثنا أبي قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة في الذين جاؤا بالافك يزعمون أنه كان كبر ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول أحد بني عوف بن الخزرج وأخبرت أنه كان يحدث به عنهم فيقره ويسمعه ويستوشيه حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أما الذي تولى كبره منهم فعبد الله بن أبي ابن سلول الخبيث هو الذي ابتدأ هذا الكلام وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والذي تولى كبره هو عبد الله بن أبي ابن سلول وهو بدأه * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال الذي تولى كبره من عصبة الافك كان عبد الله بن أبي وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن الذي بدأ بذكر الافك وكان يجمع أهله ويحدثهم عبد الله بن أبي ابن سلول وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كبر ذلك الامر وكان سبب مجيء أهل الافك ما حدثنا به ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب قال ثني عروة ابن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا فبرأها الله وكلهم حدثني بطائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني وبعضهم حدثني يصدق بعضهم بعضا زعموا أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها قالت عائشة فأقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما أنزل الحجاب وأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل الى المدينة أذن ليلة بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت الى الرحل فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه قالت وكانت النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني ويرجعون الي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت حتى أصبحت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وكان يراني قبل أن يضرب الحجاب فاستيقظت

الله من بعد اكراههن غفور رحيم ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين ۞ القراآت وليضربن
بكسر اللام على الأصل عباس جيوبهن بضم الجيم أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل ويعقوب وخلف وهشام وعاصم غير الأعشى والبزي
والقواس من طريق الهاشمي وفي رواية خلف عن حمزة باشمام الجيم الضم ثم يشير الى الكسر وبضم الياء الآخرون بالكسر الخالص
غير بالنصب على الاستثناء أو الحال ابن عامر  ويزيد وأبو بكر وحماد الباقون بالكسر على الوصف أيه المؤمنون بضم الهاء في الحالين
ابن عامر وقرأ أبو عمرو وعلي وابن
كثير بألف في الوقف الباقون
بفتح الهاء بغير ألف في الوقف وبألف
في الوصل ۞ الوقوف أهلها ط
تذكرون ○ يؤذن لكم ج للشرط
مع العطف أزكى لكم ط عليم ○
متاع لكم ط تكتمون ○ فروجهم
ط لهم ط ما يصنعون ○ جيوبهن
صل عورات النساء ص زينتهن
ط تفلحون ○ وامائكم ط
فضله ط عليم ○ فضله ط خيرا
ق قد قيل والوصل أوجه للعطف
آتاكم ط للعدول الى حكم آخر الدنيا
ط رحيم ○ للمتقين ○ ۞ التفسير
الحكم الرابع الاستئذان لما كانت
الخلوة طريقا الى التهمة ولذلك وجد
أهل الافك سبيلا الى افكهم شرع
أن لا يدخل المرء بيت غيره الا بعد
الاستئذان وفي الآية أسئلة الاول
الاستئناس هو الأنس الحاصل بعد
المجانسة قال الله تعالى ولا مستأنسين
لحديث ولا يكون ذلك في الأغلب
الا بعد الدخول والسلام فلم عكس
هذا الترتيب في الآية جوابه بعد
تسليم أن الواو للترتيب هو أن
الاستئناس طلب الانس وأنه مقدم
على السلام وقال جار الله هو من
باب الكفاية والارداف لان الانس
الذي هو خلاف الوحشة يردف
الاذن فوضع موضع الاذن كأنه
قيل حتى يؤذن لكم أو هو استفعال
من آنس اذا أبصر فالمراد حتى تستكشفوا الحال ويبين هل يراد دخولكم أم لا وهو
أو هو من الانس بالكسر وهو أن يتعرف هل ثم انسان لأنه لا معنى للسلام ما لم يعلم أفي البيت انسان أم لا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير
انما هو حتى تستأذنوا فأخطأ الكاتب ولا يخفى ضعف هذه الرواية لأنها توجب الطعن في المتواتر وتفتح باب القدح في القرآن كله نعوذ بالله
منه * الثاني ما الحكمة في شرع الاستئذان الجواب كيلا يطلع الداخل على عورات ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه ولئلا يوقف

باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما تكلمت بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير
استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش
بعد ما نزلوا في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول
فقدمت المدينة فاشتكيت شهرا والناس يفيضون في قول أهل الافك ولا أشعر بشيء من ذلك
وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي انما
يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت فخرجت
مع أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف
قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا
فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر
خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب فأقبلت أنا وابنة أبي رهم قبل بيتي
حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها أتسبين رجلا
قد شهد بدرا فقالت أي هنتاه أولم تسمعي ما قال قلت وما قال فأخبرتني بقول أهل الافك فازددت
مرضا على مرضي فلما رجعت الى منزلي ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف
تيكم فقلت أتأذن لي أن آتي أبوي قالت وأنا حينئذ أريد أن أستثبت الخبر من قبلهما فأذن
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبوي فقلت لأمي أي أمتاه ماذا يتحدث الناس فقالت أي
بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن
عليها قالت قلت سبحان الله أوقد تحدث الناس بهذا وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم
قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت فدخل علي
أبو بكر وأنا أبكي فقال لأمي ما يبكيها قالت لم تكن علمت ما قيل لها فأكب يبكي فبكى ساعة ثم
قال اسكتي يا بنية فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلي المقبل لا يرقأ لي
دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى ظن أبواي أن
البكاء سيفلق كبدي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين
استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي في نفسه من الود فقال يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم الا خيرا وأما علي
فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وان تسأل الجارية تصدقك يعني بريرة فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بريرة فقال هل رأيت من شيء يريبك من عائشة قالت له بريرة والذي بعثك بالحق
ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن
فتأكله فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال من يعذرني
ممن قد بلغني أذاه في أهلي يعني عبد الله بن أبي ابن سلول وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

على الاحوال التي تخفيها الناس في العادة ولانه تصرف في ملك الغير فلا بد أن يكون برضاه والا أشبه الغصب والتغلب ولذلك قال سبحانه (ذلكم) يعني الاستئذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور أي الدخول من غير اذن قال صلى الله عليه وسلم من سبقت عينه استئذانه فقد دمر واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب (لعلكم تذكرون) أي أنزل عليكم أو قيل لكم هذا ارادة أن تتعظوا أو تعملوا به الثالث كيف يكون الاستئذان جوابه استأذن رجل على رسول الله **(٧٣)** فقال أألج فقال لامرأة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن أن يستأذن قولي له يقول السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل فقالها فقال ادخل ويؤيده قراءة عبد الله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد فمنع الله تعالى عن ذلك وعلم الأدب الأحسن وعن مجاهد حتى تستأنسوا هو التنحنح ونحوه وقال عكرمة هو التسبيح والتكبير وقرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار منهي عنه وكذا كل ما يؤدي الى الكراهة وينبئ عن الثقل الرابع كم عدد الاستئذان الجواب روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الاستئذان ثلاث بالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون ومثله عن أبي موسى الأشعري وقصته مع عمر مشهورة في ذلك وعن قتادة الاستئذان ثلاثة الاول يسمع الحي الثاني ليتهيأ والثالث ان شاؤا أذنوا وان شاؤا ردوا وينبغي أن يكون بين المرات فاصلة والا كان الكل في حكم واحد الخامس كيف يقف على الباب جوابه أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن يقف من ركنه الأيمن أو الأيسر فان كان الباب ستر كانت الكراهة أخف السادس قوله حتى تستأنسوا وتسلموا يدل على أنه يجوز الدخول بعد الاستئذان والتسليم وان لم يكن ثمة اذن أو من يأذن لأن حتى للغاية والحكم بعد الغاية يكون خلاف ما قبلها جوابه سلمنا المخالفة لكن لا نسلم المناقضة وذلك أنه قبل الاستئذان لا يجوز الدخول مطلقا وبعده فيه تفصيل وهو أنه ان لم يجد فيها أحدا من الآذنين مطلقا أو من يعتبر اذنه شرعا فليس له الدخول وذلك قوله (فان لم تجدوا فيها أحدا) أي على الاطلاق أو ممن له

---

وهو على المنبر أيضا يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على أهلي الا معي فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال أنا أعذرك منه يا رسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة فقال وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال أي سعد بن معاذ لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في بيت أبوي فبينا هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت علي امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس عندي ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شأني بشيء قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه دمعة قلت لأبي أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لأمي أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن اني والله قد عرفت أن قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم حتى كدتم أن تصدقوا به فان قلت لكم اني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني واني والله ما أجد لي ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم توليت فاضطجعت على فراشي وأنا والله أعلم أني بريئة وأن الله سيبرئني ببراءتي ولكني والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام رؤيا يبرئني الله بها قالت والله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه قالت فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشري يا عائشة ان الله قد برأك فقالت لي أمي قومي اليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله هو الذي أنزل براءتي فأنزل الله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم عشر آيات فأنزل هذه الآيات

الاذن (فلاتدخلوها حتى يؤذن لكم) أى حتى تجدوا من يأذن لكم أومن يعتبر اذنه وان وجد فيها من له الاذن فان أذن دخل وان لم يأذن وقال ارجع رجع وهو قوله (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى) أى الرجوع أطيب (لكم وأطهر) لما فيه من سلامة الصدر والبعد من الريبة وفى قوله (والله بما تعملون عليم) نوع زجر للمكلف فعليه أن يحتاط كيف يدخل ولاى غرض يدخل وكيف يخرج وهل يقوم غير الاذن مقام الاذن عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رسول الرجل الى الرجل اذنه وفى رواية أخرى اذا دعى أحدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن وقيل ان من قد جرت العادة له باباحة الدخول فهو غير محتاج الى الاستئذان والجهور على أن اذن الصبى والعبد والمرأة معتبر وكذلك فى الهدايا لاجل الضرورة وهل يعتبر الاستئذان على المحارم روى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أستأذن على أمى قال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى أستأذن عليها كلما دخلت عليها قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن قال العلماء ان كان المنع من الهجوم على الغير لاجل أنه لا يراه منكشف الاعضاء فتستثنى منه الزوجة وملك اليمين وان كان لأجل أنه لا يراه مشغولا بما يكره الاطلاع عليه فالمنع عام الااذا عرض ما يبيح هتك الستر كحريق أوهجوم سارق أوظهور منكر يجب انكاره التاسع ما حكم من اطلع على دار غيره بغير اذنه الجواب قال الشافعى لوفقأ عينه فهى هدر وتمسك بما روى سهل بن سعد أنه اطلع رجل فى حجرة من حجر النبى صلى الله عليه وسلم ومع النبى مدرى يحك به رأسه فقال لو علمت أنك تنظر الى لطعنت بها فى عينك انما الاستئذان من النظر وعن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال من اطلع فى دار قوم بغير اذنهم ففقؤا عينه فقد هدرت عينه قال أبو بكر الرازى هذا الخبر مردود لوروده على خلاف الاصول فلا خلاف أنه لو دخل داره بغير اذنه ففقأ عينه كان ضامنا وعليه القصاص ان كان عامدا ومعلوم أن الداخل قد اطلع وزاد على الاطلاع فمعنى الحديث لوصح انه من اطلع فى دار قوم ونظر الى حرمهم ونسائهم ثم منع فلم يمتنع فذهبت عينه فى حال الممانعة فهى هدر وأجيب بالفرق فانه اذا علم القوم دخوله عليهم احترزوا عنه وتستروا فاما اذا نظر على حين غفلة منهم اطلع على مالا يراد الاطلاع عليه فلا يبعد فى حكمة الشرع أن يبالغ ههنا فى الزجر حسما لمادة هذه المفسدة جميع هذه والله

---

براءة لى قالت فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لا أنفق عليه شيأ أبدا بعد الذى قال لعائشة قالت فأنزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة حتى بلغ غفور رحيم فقال أبو بكر انى لأحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمرى وما رأت وما سمعت فقالت يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى والله ما رأيت الا خيرا قالت عائشة وهى التى كانت تسامينى فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب فهلكت فيمن هلك قال الزهرى بن شهاب هذا الذى انتهى الينا من أمر هؤلاء الرهط **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى عن علقمة بن وقاص الليثى عن سعيد بن المسيب وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عتبة بن مسعود قال الزهرى كل قد حدثنى بعض هذا الحديث وبعض القوم كان أوعى له من بعض قال وقد جمعت لك كل الذى قد حدثنى **وحدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة * قال وثنى محمد ابن اسحق قال ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة * قال وثنى عبد الله بن بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصارى عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت وكل قد اجتمع فى حديثه قصة خبر عائشة عن نفسها حين قال أهل الافك فيها ما قالوا وكله قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعا ويحدث بعضهم مالم يحدث بعض وكل كان عنها ثقة وكل قد حدث عنها ما سمع قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فلما كانت غزاة بنى المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمى عليهن فخرج بى رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت وكان النساء اذ ذاك انما يأكلن العلق لم يهبجهن اللحم فيثقلن قالت وكنت اذا رحل بعيرى جلست فى هودجى ثم يأتى القوم الذين يرحلون بى بعيرى ويحملونى فيأخذون بأسفل الهودج يرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فينطلقون به قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجه قافلا حتى اذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا فبات بعض الليل ثم أذن فى الناس بالرحيل فلما ارتحل الناس خرجت لبعض حاجتى وفى عنقى عقد لى من جزع ظفار فلما فرغت انسل من عنقى وما أدرى فلما رجعت الى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده وقد أخذ الناس فى الرحيل قالت فرجعت عودى الى بدئى الى المكان الذى ذهبت اليه فالتمسته حتى وجدته وجاء القوم خلافى الذين كانوا يرحلون بى البعير ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى عن ابن ثور **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت لما ذكر من شأنى الذى ذكر وما علمت به قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا وما علمت فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أشيروا على فى أناس أبنوا أهلى والله ما علمت على أهلى سوأ قط وأبنوهم بمن

الاحكام فيما اذا كانت الدار مسكونة فان لم تكن مسكونة فذاك قوله (ليس عليكم جناح) الآية وللمفسرين فيه أقوال الأول قول محمد بن
الحنفية أنها الخانات والرباطات وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرجال والسلع والبيع والشراء
يروى أن أبا بكر قال يارسول الله ان الله قد أنزل عليك آية فى الاستئذان وانا نختلف فى تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها الا باذن فنزلت
وقيل هى الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز وقيل الأسواق والاولى العموم وانما لم يحتج الى الاذن دفعا للحرج ولأنها مأذون
فى دخولها من جهة العرف ثم ختم
الآية بوعيد مثل ما تقدم الحكم
الخامس غض البصر وحفظ الفرج
عما لا يحل وتخصيص المؤمنين
بهذا التكليف عند من لا يجعل
الكفار مكلفين بفروع الاسلام
ظاهر وأما عند من يجعلهم مكلفين
بالفروع أيضا فالتخصيص
للتشريف أو نزل فقدان مقدمة
التكليف منزلة فقدان التكليف
وان كان حالهم فى الحقيقة كحال
المؤمنين فى استحقاق العقاب على
تركها قال أكثر النحويين من
للتبعيض والمراد غض شئ من
البصر لأن غض كله كالمتعذر
بخلاف حفظ الفرج فانه ممكن
على الاطلاق وجوز الأخفش
أن تكون من مزيدة وقيل صلة
للغض أى ينقصوا من نظرهم
يقال غضضت من فلان اذا نقصت
من قدره فالنظر اذا لم يكن من عمله
فهو معفو موضوع عنه واعراب
قوله يغضوا كما مر فى سورة
ابراهيم فى قوله قل لعبادى الذين
آمنوا يقيموا قال الفقهاء العورات
على أربعة أقسام عورة الرجل
مع الرجل وعورة المرأة مع المرأة
وعورة المرأة مع الرجل وبالعكس
أما الرجل مع الرجل فيجوز أن
ينظر الى جميع بدنه الا الى عورته
وعورته ما بين السرة والركبة
والسرة والركبة ليستا بعورة
وعند أبى حنيفة الركبة عورة قال مالك الفخذ ليست بعورة وهو خلاف ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى لا تبرز فخذك ولا تنظر الى
فخذ حى وميت فان كان فى نظره الى وجه الرجل أو سائر بدنه شهوة أو خوف فتنة بأن كان أمرد لا يحل النظر اليه ولا يجوز للرجل مضاجعة
الرجل وان كان واحد منهما فى جانب الفراش لرواية أبى سعيد الخدرى أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يفضى الرجل الى الرجل فى ثوب واحد ولا
تفضى المرأة الى المرأة فى الثوب الواحد ويكره المعانقة وتقبيل الوجه الا لولده شفقة وتستحب المصافحة والمرأة مع المرأة كالرجل مع الرجل

والله ما علمت عليه سوأ قط ولا دخل بيتى قط الا وأنا حاضر ولا أغيب فى سفر الا غاب معى فقام
سعد بن معاذ فقال يارسول الله نرى أن نضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان
ابن ثابت من رهط ذلك الرجل فقال كذبت أما والله لو كانوا من الاوس ما أحببت أن تضرب
أعناقهم حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج فى المسجد شر وما علمت به فلما كان مساء ذلك
اليوم خرجت لبعض حاجتى ومعى أم مسطح فعثرت فقالت تعس مسطح فقلت علام تسبين ابنك
فسكتت ثم عثرت الثانية فقالت تعس مسطح قلت علام تسبين ابنك فسكتت الثانية ثم عثرت
الثالثة فقالت تعس مسطح فانتهرتها وقلت علام تسبين ابنك قالت والله ما أسبه الا فيك قلت
فى أى شأنى فبقرت لى الحديث فقلت وقد كان هذا قالت نعم والله قالت فرجعت الى بيتى فكأن
الذى خرجت له لم أخرج له ولا أجد منه قليلا ولا كثيرا ووعكت فقلت يارسول الله أرسلنى الى بيت
أبى فأرسل معى الغلام فدخلت الدار فاذا أنا بأمى أم رومان قالت ما جاء بك يابنية فأخبرتها فقالت
خفضى عليك الشأن فانه والله ما كانت امرأة جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا حسدنها
وقلن فيها قلت وقد علم بها أبى قالت نعم قلت ورسول الله قالت نعم فاستعبرت وبكيت فسمع أبو بكر
صوتى وهو فوق البيت يقرأ فنزل فقال لأمى ما شأنها قالت بلغها الذى ذكر من أمرها ففاضت
عيناه فقال أقسمت عليك الا رجعت الى بيتك فرجعت فأصبح أبواى عندى فلم يزالا عندى حتى
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بعد العصر وقد اكتنفنى أبواى عن يمينى وعن شمالى
فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد ياعائشة ان
كنت قارفت سوأ أو ألممت فتوبى الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده وقد جاءت امرأة من
الأنصار وهى جالسة فقلت ألا تستحى من هذه المرأة أن تقول شيأ فقلت لأبى أجبه فقال أقول
ماذا قلت لأمى أجيبيه فقالت أقول ماذا فلما لم يجيباه تشهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله
ثم قلت أما بعد فوالله لئن قلت لكم انى لم أفعل والله يعلم انى لصادقة ما ذا بنافعى عندكم لقد تكلم به
وأشربته قلوبكم وان قلت انى قد فعلت والله يعلم أنى لم أفعل لتقولن قد باءت به على نفسها وايم الله
ما أجد لى ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف وما احفظ اسمه فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون
وأنزل الله على رسوله ساعتئذ فرفع عنه وانى لأتبين السرور فى وجهه وهو يمسح جبينه يقول
أبشرى ياعائشة فقد أنزل الله براءتك فكنت أشد ما كنت غضبا فقال لى أبواى قومى الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحمده ولا أحمدكما لقد سمعتموه فما
أنكرتموه ولا غيرتموه ولكنى أحمد الله الذى أنزل براءتى ولقد جاء رسول الله بيتى فسأل الجارية عنى
فقالت والله ما أعلم عليها عيبا الا أنها كانت تنام حتى كانت تدخل الشاة فتأكل حصيرها أو عجينها
فانتهرها بعض أصحابه وقال لها أصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عروة فعتب على من قاله
فقال لا والله ما أعلم عليها الا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الاحمر وبلغ ذلك الرجل الذى قيل له

فلها النظر الى جميع بدنها الا ما بين السرة والركبة ولا يجوز عند خوف الفتنة ولا تجوز المضاجعة أيضا لما مر في الحديث والأصح أن الذمية لا يجوز لها النظر الى بدن المسلمة لأنها أجنبية في الدين والله تعالى يقول أو نسائهن أما عورة المرأة مع الرجل فان كانت أجنبية حرة فجميع بدنها عورة لا يجوز له أن ينظر الى شيء منها الا الوجه والكفين لأنها تحتاج الى ابراز الوجه للبيع والشراء والى اخراج الكف للأخذ والاعطاء ويعني بالكف ظهرها وبطنها الى الكوعين (٧٦) وقيل ظهر الكف عورة وفي هذا المقام تفصيل قال العلماء لا يجوز أن يعمد النظر الى وجه الأجنبية بغير غرض فان وقع بصره عليها بغتة غض بصره لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ولقوله صلى الله عليه وسلم يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الآخرة فان كان هناك غرض ولا شهوة ولا فتنة فذاك والغرض أمور منها أن يريد نكاح امرأة فينظر الى وجهها وكفها روى أبو هريرة أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في أعين الأنصار شيأ ومنها اذا أراد شراء جارية فله أن ينظر الى ما ليس بعورة منها ومنها أنه عند المبايعة ينظر الى وجهها متأملا حتى يعرفها عند الحاجة ومنها أنه ينظر اليها عند تحمل الشهادة ولا ينظر الى غير الوجه لأن المعرفة تحصل به ومنها يجوز للطبيب الامين أن ينظر الى بدن الاجنبية للمعالجة كما يجوز للختان أن ينظر الى فرج المختون لانه محل ضرورة وكما يجوز أن ينظر الى فرج الزانيين لتحمل الشهادة والى فرجها لتحمل شهادة الولادة اذا لم تكن نسوة والى ثدي المرضعة لتحمل الشهادة على الرضاع فان كان هناك شهوة وفتنة فالنظر محظور قال صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان وقيل مكتوب في التوراة النظر يزرع الشهوة في القلب ورب شهوة أورثت حزنا طويلا ويستثنى منه ما لو وقعت في حرق أو غرق فله أن ينظر الى بدنها ان لخلصها وان كانت الأجنبية أمة فالأصح أن عورتها ما بين السرة والركبة لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال في الرجل يشتري الأمة لا بأس أن ينظر اليها الا الى العورة وعورتها ما بين معقد ازارها الى ركبتها وقيل الا ما تبدي المهنة فيخرج منه أن رأسها وعنقها وساعديها وساقيها ونحرها وصدرها ليس بعورة وفي ظهرها وبطنها وما فوق ساعديها الخلاف وحكم المكاتبة والمدبرة والمستولدة ومن بعضها رقيق

فقال سبحان الله ما كشفت كنف أنثى قط فقتل شهيدا في سبيل الله قالت عائشة فأما زينب بنت جحش فعصمها الله بدينها فلم تقل الا خيرا وأما أختها حمنة فهلكت فيمن هلك وكان الذين تكلموا فيه المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول وكان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره ومسطحا وحسان بن ثابت فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحا بنافعة فأنزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة يعني أبا بكر أن يؤتوا أولي القربى والمساكين يعني مسطحا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم قال أبو بكر بلى والله انا نحب أن يغفر الله لنا وعاد أبو بكر لمسطح بما كان يصنع به

**حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب عن علقمة بن وقاص وغيره أيضا قال خرجت عائشة تريد المذهب ومعها أم مسطح وكان مسطح بن أثاثة ممن قال ما قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل ذلك فقال كيف ترون فيمن يؤذيني في أهلي ويجمع في بيته من يؤذيني فقال سعد بن معاذ أي رسول الله ان كان منا معشر الأوس جلدنا رأسه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا فأطعناك فقال سعد بن عبادة يا ابن معاذ والله ما بك نصرة رسول الله ولكنها قد كانت ضغائن في الجاهلية واحن لم تحلل لنا من صدوركم بعد فقال ابن معاذ الله أعلم ما أردت فقام أسيد بن حضير فقال يا ابن عبادة ان سعدا ليس شديدا ولكنك تجادل عن المنافقين وتدفع عنهم وكثر اللغط في الحيين في المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على المنبر فما زال النبي صلى الله عليه وسلم يومئ بيده الى الناس ههنا وههنا حتى هدأ الصوت وقالت عائشة كان الذي تولى كبره والذي يجمعهم في بيته عبد الله ابن أبي ابن سلول قالت فخرجت الى المذهب ومعي أم مسطح فعثرت فقالت تعس مسطح فقلت غفر الله لك أتقولين هذا لابنك ولصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ذلك مرتين وما شعرت بالذي كان فحدثت فذهب عني الذي خرجت له حتى ما أجد منه شيأ ورجعت على أبوي أبي بكر وأم رومان فقلت أما اتقيتما الله في وما وصلتما رحمي قال النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال وتحدث الناس بالذي تحدثوا به ولم تعلماني به فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أي بنية والله لقلما أحب رجل قط امرأته الا قالوا لها نحو الذي قالوا لك أي بنية ارجعي الى بيتك حتى نأتيك فيه فرجعت وارتكبني صالب من حمى فجاء أبواي فدخلا وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على سريري وجاهي فقالا أي بنية ان كنت صنعت ما قال الناس فاستغفري الله وان لم تكوني صنعتيه فأخبري رسول الله بعذرك قلت ما أجد لي ولكم الا كأبي يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت فالتمست اسم يعقوب فما قدرت أو فلم أقدر عليه فشخص بصر رسول الله الى السقف وكان اذا نزل عليه وجد قال الله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا فوالذي هو أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما زال يضحك حتى اني لأنظر الى نواجذه سرورا ثم مسح عن وجهه فقال يا عائشة أبشري قد أنزل الله عذرك قلت بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد أصحابك قال الله

ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم حتى بلغ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة وكان أبو بكر حلف أن لا ينفع مسطحا بنافعة وكان بينهما رحم فلما أنزلت ولا يأتل أولوا الفضل منكم حتى بلغ والله غفور رحيم قال أبو بكر بلى أي رب فعاد الى الذي كان لمسطح ان الذين يرمون المحصنات حتى بلغ أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم قالت عائشة والله ما كنت أرجو أن ينزل في كتاب ولا أطمع به ولكن أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا تذهب ما في نفسه قالت وسأل الجارية الحبشية فقالت والله لعائشة أطيب من طيب الذهب وما بها عيب الا أنها ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل عجينها ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنك الله قال فعجب الناس من فقهها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين ﴾ وهذا عتاب من الله تعالى ذكره أهل الايمان به فيما وقع في أنفسهم من ارجاف من أرجف في أمر عائشة بما أرجف به يقول لهم تعالى ذكره هلا أيها الناس اذ سمعتم ما قال أهل الافك في عائشة ظن المؤمنون منكم والمؤمنات بأنفسهم خيرا يقول ظننتم بمن قرف بذلك منكم خيرا ولم تظنوا به أنه أتى الفاحشة وقال بأنفسهم لأن أهل الاسلام كلهم بمنزلة نفس واحدة لأنهم أهل ملة واحدة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن أبيه عن بعض رجال بني النجار أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة قال بلى وذلك الكذب أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب قالت لا والله ما كنت لأفعله قال فعائشة والله خير منك قال فلما نزل القرآن ذكر الله من قال في الفاحشة ما قال من أهل الافك ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا ثم قال لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون الآية أي كما قال أبو أيوب وصاحبته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ما هذا الخير ظن المؤمن أن المؤمن لم يكن ليفجر بأمه وأن الأم لم تكن لتفجر بابنها ان أراد أن يفجر فجر بغير أمه يقول انما كانت عائشة أما والمؤمنون بنون لها محرما عليها وقرأ لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا قال لهم خيرا ألا ترى أنه يقول لا تقتلوا أنفسكم يقول بعضكم بعضا وسلموا على أنفسكم قال يسلم بعضكم على بعض حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا يعني بذلك المؤمنين والمؤمنات وقوله وقالوا هذا إفك مبين يقول وقال المؤمنون والمؤمنات هذا الذي سمعناه من القول الذي رمي به عائشة من الفاحشة كذب واثم مبين لمن عقل وفكر فيه أنه كذب واثم وبهتان كما حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال أخبرنا عوف عن الحسن وقالوا هذا افك مبين قالوا ان هذا لا ينبغي أن يتكلم به الا من أقام

---

حكم الأمة ولا يجوز لمسها ولا لها مسه لأن اللمس أقوى من النظر بدليل أن الانزال باللمس يفطر الصائم و بالنظر لا يفطر وقال أبو حنيفة يجوز أن يمس من الامة ما يحل النظر اليه وأما ان كانت المرأة ذات محرم بنسب أو رضاع أو صهر به فعورتها ما بين السرة والركبة كعورة الرجل وعند أبي حنيفة عورتها ما لا يبدو عند المهنة فان كانت مستمتعا له كالزوجة والامة التي يحل له الاستمتاع بها جاز له أن ينظر الى جميع بدنها غير أنه يكره أن ينظر الى الفرج وكذا الى فرج نفسه لما روى أنه يورث الطمس وقيل لا يجوز النظر الى فرجها فان كانت الامة مجوسية أو مرتدة أو وثنية أو مشتركة بينه و بين غيره أو مزوجة أو مكاتبة فهي كالأجنبية روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا زوج أحدكم جاريته عبده أو أجيره فلا ينظر الى ما دون السرة وفوق الركبة وأما عورة الرجل مع المرأة فان كان أجنبيا منها فعورته معها ما بين السرة والركبة وقيل جميع بدنه الا الوجه والكفين كهي معه والأصح هو الاول لأن بدن المرأة في نفسه عورة بدليل أنه لا يصح صلاتها مكشوفة البدن و بدن الرجل بخلافه ولا يجوز لها قصد النظر عند خوف الفتنة ولا تكرير النظر الى وجهه لما روى عن أم سلمة أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة اذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل فقال صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقالت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا فقال أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه وان كان محرما لها فعورته معها ما بين السرة والركبة وان كان زوجها أو سيدها الذي يحل له وطؤها فلها أن تنظر الى جميع بدنه غير أنه يكره النظر الى الفرج كهو معها ولا يجوز للرجل أن يجلس عاريا في بيت خال وله ما يستر عورته لأنه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال الله أحق أن يستحي منه وعنه اياكم والتعري فان معكم من لا يفارقكم الا عند الغائط وحين يفضي الرجل الى أهله ولما كان النظر بريد الزنا ورائد الفجور أمر بغض الابصار أولا ثم بحفظ الفروج عن الزنا والفجور ثانيا وعن أبي العالية أن كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا هذا فانه أراد الاستتار وأن لا ينظر الى الفروج أحد وعلى هذا ففائدة التخصيص بعد التعميم أن يعلم أن أمر الفرج أضيق وحين خص الخطاب في أول الآية بالمؤمنين ذكر أن ذلك الذي أمر به من غض البصر وحفظ الفرج أزكى لهم لأنهم

يتطهرون بذلك من دنس الآثام و يستحقون الثناء والمدح وهذا لا يليق بالكافر وفى قوله (ان الله خبير بما يصنعون) ولا ثانى له فى القرآن اسارة الى وجوب الحذر فى كل حركة وسكون وتفسير قوله (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن) يعلم من التفصيل المتقدم أما قوله ولا يبدين زينتهن فن الأحكام التى تختص بالنساء فى الأغلب وقد يحرم على الرجل ابداء زينته للنساء الأجنبيات اذا كان هنالك فتنة قال اكثر المفسرين الزينة ههنا أريد بها أمور ثلاثة أحدها الاصباغ كالكحل والخضاب بالوسمة فى حاجبيها والحمرة فى خديها والحناء فى كفها وقدميها وثانيها الحلى كالخاتم والسوار والخلخال والدملج والقلائد والاكليل والوشاح والقرط وثالثها الثياب وقال آخرون الزينة اسم يقع على محاسن الخلق التى خلقها الله تعالى وعلى ما يتزين به الانسان من فضل لباس أو حلى وغير ذلك يدل على ذلك أن كثيرا من النساء يتفردن بخلقهن عن سائر ما يعدّ زينة وفى قوله (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) اشارة الى ذلك وكأنه تعالى منعهن من اظهار محاسن خلقهن فأوجب سترها بالخمار قال القفال بناء على هذا القول معنى قوله (الا ما ظهر منها) الا ما يظهره الانسان على العادة الجارية وذلك فى النساء الحرائر الوجه والكفان وفى الاماء كل ما يبدو عند المهنة وفى صوتها خلاف الأصح أنه ليس بعورة لأن نساء النبى صلى الله عليه وسلم كن يروين الأخبار للرجال وأما الذين حملوا الزينة على ما عدا الخلقة فذهبوا الى أنه تعالى انما حرم النظر اليها حال اتصالها ببدن المرأة لأجل المبالغة فى حرمة النظر الى أعضاء المرأة الا ما ظهر من هذه الزينة كالثياب مطلقا اذا لم تصف البدن لرقتها و كالحمرة والوسمة فى الوجه وكالخضاب والخواتيم فى اليدين وما سوى ذلك يحرم النظر اليه ولهذا قال وليضربن بخمرهن على جيوبهن والخمر جمع الخمار وهى كالمقنعة قال وقد المفسرون ان نساء الجاهلية كن يسدلن خمرهن من خلفهن وكانت جيوبهن من قدام واسعة فكان ينكشف نحورهن وقلائدهن فأمر أن يضربن مقانعهن على الجيوب لتستتر بذلك أعناقهن ونحورهن وما حواليها من شعر وزينة وفى لفظ الضرب مبالغة فى الالقاء شبيه الالصاق وعن عائشة ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها فصدعت منه صدعة

---

عليه أربعة من الشهود وأقيم عليه حد الزنا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذلم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ يقول تعالى ذكره هلا جاء هؤلاء العصبة الذين جاؤا بالافك ورموا عائشة بالبهتان بأربعة شهداء يشهدون على مقالتهم فيها وما رموها به فاذلم يأتوا بالشهداء الاربعة على حقيقة ما رموها به فأولئك عند الله هم الكاذبون يقول فالعصبة الذين رموها بذلك عند الله هم الكاذبون فيما جاؤا به من الافك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره ولولا فضل الله عليكم أيها الخائضون فى أمر عائشة المشيعون فيها الكذب والاثم بتركه تعجيل عقوبتكم ورحمته اياكم لعفوه عنكم فى الدنيا والآخرة بقبول توبتكم مما كان منكم فى ذلك لمسكم فيما خضتم فيه من أمرها عاجلا فى الدنيا عذاب عظيم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته هذا للذين تكلموا فنشروا ذلك الكلام لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم﴾ يقول تعالى ذكره لمسكم فيما أفضتم فيه من شأن عائشة عذاب عظيم حين تلقونه بألسنتكم واذ من صلة قوله لمسكم و يعنى بقوله تلقونه تتلقون الافك الذى جاءت به العصبة من أهل الافك فتقبلونه و يرويه بعضكم عن بعض يقال تلقيت هذا الكلام عن فلان بمعنى أخذته منه وقيل ذلك لأن الرجل منهم فيما ذكر يلقى آخر فيقول أوما بلغك كذا وكذا عن عائشة ليشيع عليها بذلك الفاحشة وذكر أنها فى قراءة أبى اذ تتلقونه بتاءين وعليها قراءة الأمصار غير أنهم قرؤها تلقونه بتاء واحدة لأنها كذلك فى مصاحفهم وقد روى عن عائشة فى ذلك ما حدثنى به محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا خالد بن نزار عن نافع عن ابن أبى مليكة عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقرأ هذه الآية اذ تلقونه بألسنتكم تقول انما هو ولق الكذب وتقول انما كانوا يلقون الكذب قال ابن أبى مليكة وهى أعلم بما فيها أنزلت قال نافع وسمعت بعض العرب(١) يقول الليق الكذب حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا نافع بن عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الجمحى عن ابن أبى مليكة عن عائشة أنها كانت تقرأ اذ تلقونه بألسنتكم وهى أعلم بذلك وفيها أنزلت قال ابن أبى مليكة هو من ولق الكذب * قال أبو جعفر وكأن عائشة وجهت معنى ذلك بقراءتها تلقونه بكسر اللام وتخفيف القاف الى اذ تستمرون فى كذبكم عليها وافككم بألسنتكم كما يقال ولق فلان فى السير فهو يلق اذا استمر فيه وكما قال الراجز

ان الجليد زلق وزملق * جاءت به عنس من الشام تلق * مجوع البطن كلابى الخلق

---

(١) لم نقف عليه فيما بأيدينا من كتب اللغة فلعله مصحف وحرر كتبه مصححه

فاختمرن وأصبحن كأن على رؤسهن الغربان ثم بين أن الزينة الخفية يحل ابداؤها لاثنتي عشرة فرقة الأولى بعولتهن أى أزواجهن والتاء لتأكيد الجمع كصقورة الثانية آباؤهن وان علوا من جهة الأب والأم الثالثة آباء بعولتهن وان علوا الرابعة أبناؤهن وان سفلوا الخامسة أبناء بعولتهن وان سفلوا أيضا السادسة اخوانهن سواء كانوا من الأب أو من الأم أو منهما السابعة بنو اخوانهن الثامنة بنو اخواتهن وحكم أولاد الأولاد حكم الاولاد فيهما وهؤلاء كلهم محارم وترك من المحارم العم والخال



فعن الحسن البصرى أنهما كسائر المحارم في جواز النظر وقد ذكر البعض لتنبيه على الجملة ولهذا لم يذكر المحارم من الرضاع في هذه الآية وكذا في سورة الاحزاب قال لا جناح عليهن في آبائهن الى آخر الآية ولم يذكر البعولة ولا أبناءهم وقال الشعبي انما لم يذكرهما الله تعالى لئلا يصفها العم عند ابنه والخال عند ابنه وذلك أن العم والخال يفارقان سائر المحارم في أن أبناءهما ليسوا من المحارم فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم ومعرفة الوصف قريب من النظر وهذا أيضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط في التستر وانما أبيح ابداء الزينة الخفية لهؤلاء المذكورين لاحتياجهن الى مداخلتهم ومخالطتهم ولاسيما في الاسفار للنزول والركوب وأيضا لقلة وقوع الفتنة من جهاتهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب الأقارب التاسعة قوله أو نسائهن فذهب أكثر السلف الى أن المراد أهل أديانهن ومن هنا قال ابن عباس ليس للمسلمة أن تتجرد بين نساء أهل الذمة ولا تبدى للكافرة الا ما تبدى للأجانب الا أن تكون أمة لها وكتب عمر الى أبي عبيدة أن يمنع نساء أهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات وقال آخرون والعمل عليه ان المراد جميع النساء وقول السلف محمول على الأولى والأحب العاشرة قوله (أو ما ملكت أيمانهن) وظاهر الآية يشمل العبيد والاماء ويؤيده ما روى أنس أنه صلى الله عليه وسلم أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وعن عائشة أنها قالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حر وعنها أنها كانت تمشط والعبد ينظر اليها وقال ابن مسعود ومجاهد والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب ان العبد لا ينظر الى شعر مولاته

---

ويروى عن العرب في الولق الكذب الالق والالق بفتح الالف وكسرها ويقال في فعلت منه ألقت فأنا آلق وقال بعضهم

من لى بالمزرر اليلامق ✻ صاحب أدهان وألق آلق

والقراءة التي لا أستجيز غيرها اذ تلقونه على ما ذكرت من قراءة الأمصار لاجماع الحجة من القراء عليها ✻ وبنحو الذي قلنا من التأويل في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد اذ تلقونه بألسنتكم قال ترونه بعضكم عن بعض حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذ تلقونه قال ترونه بعضكم عن بعض قوله وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم يقول تعالى ذكره وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم من الامر الذي ترونه فتقولون سمعنا أن عائشة فعلت كذا وكذا ولا تعلمون حقيقة ذلك ولا صحته وتحسبونه هينا وتظنون أن قولكم ذلك وروايتكموه بألسنتكم وتلقيكموه بعضكم عن بعض هين سهل لا اثم عليكم فيه ولا حرج وهو عند الله عظيم يقول وتلقيكم ذلك كذلك وقولكموه بأفواهكم عند الله عظيم من الأمر لأنكم كنتم تؤذون به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليلته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ يقول تعالى ذكره فلولا أيها الخائضون في الافك الذي جاءت به عصبة منكم اذ سمعتموه ممن جاء به قلتم ما يحل لنا أن نتكلم بهذا وما ينبغي لنا أن نتفوه به سبحانك هذا بهتان عظيم تنزيها لك يا رب وبراءة اليك مما جاء به هؤلاء هذا بهتان عظيم يقول هذا القول بهتان عظيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره يذكركم الله وينهاكم بآى كتابه لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذي فعلتموه في أمر عائشة من تلقيكم الافك الذي روى عليها بألسنتكم وقولكم بأفواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبدا ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم تتعظون بعظات الله وتأتمرون لأمره وتنتهون عما نهاكم عنه ✻ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم قال والذي هو خير لنا من هذا أن الله أعلمنا هذا لكيلا نقع فيه لولا أن الله أعلمناه لهلكنا كما هلك القوم ان يقول الرجل أنا سمعته ولم أخترقه ولم أتقوله فكان خيرا حين أعلمناه الله ألا ندخل في مثله أبدا وهو عند الله عظيم وقوله ويبين الله لكم الآيات ويفصل الله لكم حججه عليكم بأمره ونهيه ليتبين المطيع له منكم من العاصي والله عليم بكم وبأفعالكم لا يخفى عليه شئ وهو مجاز المحسن منكم باحسانه والمسىء باساءته حكيم في تدبير خلقه وتكليفه ما كلفهم من الاعمال

وفرضه مافرض عليهم من الافعال ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين يحبون أن يذيع الزنا فى الذين صدقوا بالله ورسوله ويظهر ذلك فيهم لهم عذاب أليم يقول لهم عذاب وجيع فى الدنيا بالحد الذى جعله الله حد الرامى المحصنات والمحصنين اذا رموهم بذلك وفى الآخرة عذاب جهنم ان مات مصرا على ذلك غير تائب كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يحبون أن تشيع الفاحشة قال تظهر فى شأن عائشة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم قال الخبيث عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق الذى أشاع على عائشة ما أشاع عليها من الفرية لهم عذاب أليم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أن تشيع الفاحشة قال تظهر يتحدث عن شأن عائشة وقوله والله يعلم وأنتم لاتعلمون يقول تعالى ذكره والله يعلم كذب الذين جاؤا بالافك من صدقهم وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك لانكم لاتعلمون الغيب وانما يعلم ذلك علام الغيوب يقول فلا تروو مالا علم لكم به من الافك على أهل الايمان بالله ولا سيما على حلائل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتهلكوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ولولا أن الله تفضل عليكم أيها الناس ورحمكم وأن الله ذو رأفة ذو رحمة بخلقه لهلكتم فيما أفضتم فيه وعاجلتكم من الله العقوبة وترك ذكر الجواب لمعرفة السامع بالمراد من الكلام بعده وهو قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان الآية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه ولا تقتفوا آثاره باشاعتكم الفاحشة فى الذين آمنوا واذاعتكموها فيهم وروايتكم ذلك عمن جاء به فان الشيطان يأمر بالفحشاء وهى الزنا والمنكر من القول وقد بينا معنى الخطوات والفحشاء فيما مضى بشواهد ذلك بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم﴾ يقول تعالى ذكره ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم ماتطهر منكم من أحد أبدا من دنس ذنوبه وشركه ولكن الله يطهر من يشاء من خلقه ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا يقول ما اهتدى منكم من الخلائق لشئ من الخير ينفع به نفسه ولم يتق شيأ من الشر يدفعه عن نفسه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته

مازكى

وهو قول أبى حنيفة اذ ليس ملكها للعبد كملكه للامة فلا خلاف أنها لا تستبيح بملك العبد شيأ من التمتع منه كما يملك الرجل من الامة وتحريم تزوج العبد لمولاته عارض غير مؤبد كمن عنده أربع نسوة لا يجوز له التزوج بغيرهن فلما لم تكن هذه الحرمة مؤبدة كان العبد بمنزلة سائر الاجانب خصيا كان العبد أو فحلا وأورد على هذا القول لزوم التكرار ضرورة أن الاماء من جملة نسائهن وأجيب بأنه أراد بالنساء الحرائر كما أراد بالرجال الاحرار فى قوله شهيدين من رجالكم الحادية عشرة قوله (أو التابعين غير أولى الاربة) وهى الحاجة وهم البله وأهل العنة الذين لا يعرفون شيأ من أمور النساء انما يتبعون الناس ليصيبوا من فضل طعامهم أو شيوخ صلحاء لاحاجة بهم الى النساء لعفة أو عنانة عن زينب بنت أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مخنث فأقبل على أخى أم سلمة وقال يا عبد الله ان فتح الله لكم الطائف أدلك على بنت غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان يعنى عكن بطنها فقال صلى الله عليه وسلم لا يدخلن عليكم هذا فأباح النبى صلى الله عليه وسلم دخول المخنث عليهن حين ظن أنه من غير أولى الاربة فلما علم أنه يعرف أحوال النساء وأوصافهن علم أنه من أولى الاربة فحجبه الثانية عشرة قوله (أو الطفل) وهو جنس يقع على الواحد والجمع وهو المراد ههنا قال ابن قتيبة معنى (لم يظهروا) لم يطلعوا (على عورات النساء) والعورة سوأة الانسان وكل ما يستحيا منه وقال الفراء والزجاج هو من قولهم ظهر على كذا اذا قوى عليه أى لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء فعلى الأول يجب الاحتجاب ممن ظهر فيه داعية الحكاية وعلى الثانى انما يجب الاحتجاب من المراهق الذى ظهرت فيه مبادى الشهوة قال الحسن هؤلاء الفرق وان اشتركوا فى جواز رؤية الزينة الظاهرة فهم على أقسام ثلاثة فأولهم الزوج وله حرمة ليست لغيره يحل له كل شئ منها والثانى الاب والابن والاخ والجد وأبو الزوج وكل محرم من الرضاع أو النسب كل يحل لهم أن ينظروا الى الشعر والصدر والساقين والذراع وأشباه ذلك والثالث التابعون غير أولى الاربة وكذا المملوك لا بأس أن تقوم المرأة الشابة

بين يدى هؤلاء فى درع وخمار صفيق بغير ملحفة ولا يحل لهؤلاء أن يروا منها شعرا ولا بشرا ولا يصح للشابة أن تقوم بين يدى الغريب حتى تلبس الجلباب فهذا اضبط هذه المراتب ثم علمهن أدبا آخر جميلا بقوله (ولا يضربن بأرجلهن) قال ابن عباس كانت المرأة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم أنها  ذات خلخالين وفى النهى عن اظهار صوت

ما زكى منكم من أحد أبدا قال ما زكى ما أسلم وقال كل شئ فى القرآن من زكى أو تزكى فهو الاسلام وقوله والله سميع عليم يقول والله سميع لما تقولون بأفواهكم وتلقونه بألسنتكم وغير ذلك من كلامكم عليم بذلك كله وبغيره من أموركم محيط به محصيه عليكم ليجازيكم بكل ذلك

(ق) القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ولا يحلف بالله ذوو الفضل منكم يعنى ذوى التفضل والسعة يقول وذوو الجدة واختلف القراء فى قراءة قوله ولا يأتل فقرأته عامة قراء الامصار ولا يأتل بمعنى يفتعل من الالية وهى القسم بالله سوى أبى جعفر وزيد بن أسلم فانه ذكر عنهما أنهما قرآ ذلك ولا يتأل بمعنى يتفعل من الالية * والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأ ولا يأتل بمعنى يفتعل من الالية وذلك أن ذلك فى خط المصحف كذلك والقراءة الاخرى مخالفة خط المصحف فاتباع المصحف مع قراءة جماعة القراء وصحة المقروء به أولى من خلاف ذلك كله وانما عنى بذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى حلفه بالله لا ينفق على مسطح فقال جل ثناؤه ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون بالله أن لا يعطوا ذوى قرابتهم فيصلوا به أرحامهم كمسطح وهو ابن خالة أبى بكر والمساكين يقول وذوى خلة الحاجة وكان مسطح منهم لأنه كان فقيرا محتاجا والمهاجرين فى سبيل الله وهم الذين هاجروا ديارهم وأموالهم فى جهاد أعداء الله وكان مسطح منهم لأنه كان ممن هاجر من مكة الى المدينة وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وليعفوا يقول وليعفوا عما كان منهم اليهم من جرم وذلك كجرم مسطح الى أبى بكر فى اشاعته على ابنته عائشة ما أشاع من الافك وليصفحوا يقول وليتركوا عقوبتهم على ذلك بحرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك ولكن ليعودوا لهم الى مثل الذى كانوا (٣) لهم عليه من الافضال عليهم ألا تحبون أن يغفر الله لكم يقول ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم بافضالكم عليهم فيترك عقوبتكم عليها والله غفور لذنوب من أطاعه واتبع أمره رحيم بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره وطاعتهم اياه على ما كان لهم من زلة وهفوة قد استغفروه منها وتابوا اليه من فعلها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى عن علقمة بن وقاص الليثى وعن سعيد بن المسيب وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة * قال وثنى ابن اسحق قال ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة * قال وثنى ابن اسحق قال ثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت لما نزل هذا يعنى قوله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم فى عائشة وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته والله لا أنفق على مسطح شيأ أبدا ولا أنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال لعائشة ما قال وأدخل عليها ما أدخل قالت فأنزل الله فى ذلك ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الآية قالت فقال أبو بكر والله انى لأحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال والله

الحلى بعد نهيهن عن اظهار الحلى مبالغة فوق مبالغة ليعلم أن كل ما يجر الى الفتنة يجب الاحتراز عنه فان الرجل الذى تغلب عليه الشهوة اذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعياله الى مشاهدتهن ومنه يعلم وجوب اخفاء صوتهن اذا لم يؤمن الفتنة ولهذا كرهوا أذان النساء ثم ختم الآية بالامر بالدوام على التوبة والاستغفار لان الانسان خلق ضعيفا لا يكاد يقدر على رعاية الاوامر والنواهى كما يجب قال العلماء ان من أذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكر أن يجدد عنه التوبة لانه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه الى أن يلقى ربه عز وجل وعن ابن عباس أراد توبوا عما كنتم تفعلونه فى الجاهلية لعلكم تسعدون فى الدنيا والآخرة قال جار الله من قرأ أيه المؤمنون بضم الهاء فوجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين أتبعت حركتها حركة ما قبلها الحكم السادس النكاح وذلك أنه حين أمر بغض الأبصار وحفظ الفروج أرشد بعد ذلك الى طريق الحل فيما تدعو اليه الشهوة وأصل الايامى أيايم فقلب الواحد أيم بتشديد الياء ويشمل الرجل والمرأة قال النضر بن شميل الايم فى كلام العرب كل ذكر لا أنثى معه وكل أنثى لا ذكر معها وهو قول ابن عباس فى رواية الضحاك



يقول زوجوا أياماكم بعضهم من بعض وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين قال فان تنكحى أنكح وان تتأيمى * وان كنت أفتى منكم أتأيم وظاهر الامر للوجوب الا أن الجمهور حملوه على الندب لانه لو كان واجبا لشاع فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ولو انتشر لنقل لعموم الحاجة اليه وقد ورد فى الاخبار التصريح بكونه سنة

لأأزعها منه أبدا حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس
قوله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة يقول لا تقسموا أن لا تنفعوا أحدا حدثني محمد
ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا يأتل
أولو الفضل منكم والسعة الى آخر الآية قال كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد رموا عائشة بالقبيح وأفشوا ذلك وتكلموا به فأقسم ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيهم أبو بكر أن لا يتصدق على رجل تكلم بشيء من هذا ولا يصله فقال لا يقسم أولو الفضل
منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم وأن يعطوهم من أموالهم كالذي كانوا يفعلون قبل ذلك فأمر الله
أن يغفر لهم وأن يعفى عنهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال
سمعت الضحاك يقول في قوله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة لما أنزل الله تعالى ذكره عذر
عائشة من السماء قال أبو بكر وآخرون من المسلمين والله لا نصل رجلا منهم بشيء من شأن عائشة
ولا ننفعه فأنزل الله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة يقول ولا يحلف حدثني يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي
القربى قال كان مسطح ذا قرابة والمساكين قال كان مسكينا والمهاجرين في سبيل الله كان بدريا
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولا يأتل أولو الفضل منكم
والسعة قال أبو بكر حلف أن لا ينفع يتيما في حجره كان أشاع ذلك فلما نزلت هذه الآية قال بلى
أنا أحب أن يغفر الله لي فلأكونن ليتيمي خير ما كنت له قط ۞ القول في تأويل قوله تعالى
﴿ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾
يقول تعالى ذكره ان الذين يرمون بالفاحشة المحصنات يعني العفيفات الغافلات عن
الفواحش المؤمنات بالله ورسوله وما جاء به من عند الله لعنوا في الدنيا والآخرة يقول أبعدوا
من رحمة الله في الدنيا والآخرة ولهم في الآخرة عذاب عظيم وذلك عذاب جهنم واختلف أهل
التأويل في المحصنات اللاتي هذا حكمهن فقال بعضهم انما ذلك لعائشة خاصة وحكم من الله
فيها وفيمن رماها دون سائر نساء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن
أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال قلت لسعيد بن جبير
الزنا أشد أم قذف المحصنة فقال الزنا فقلت أليس يقول الله ان الذين يرمون المحصنات الآية قال
سعيد انما كان هذا لعائشة خاصة حدثنا أحمد بن عبدة الضبي قال ثنا أبو عوانة عن عمر
ابن أبي سلمة عن أبيه قال قالت عائشة رميت بما رميت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك قالت فبينما
رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي جالس اذ أوحي اليه وكان اذا أوحي اليه أخذه كهيئة السبات
وانه أوحي اليه وهو جالس عندي ثم استوى جالسا يمسح عن وجهه وقال يا عائشة أبشري قالت
فقلت بحمد الله لا بحمدك فقرأ ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات حتى بلغ أولئك
مبرؤن مما يقولون ۞ وقال آخرون بل ذلك لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون

سائر

---

وله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي ولقوله صلى الله عليه وسلم من أحب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وقد أجمعوا على أن الايم
ب لو أبت التزويج لم يكن للولي اجبارها عليه واتفقوا على أن السيد لا يجبر على تزويج عبده أو أمته نعم قد يجب في بعض الصور كما اذا
ست التزويج من الولي فعليه الاجابة اذا كان الخاطب كفؤا استدل الشافعي بعموم الآية على جواز تزويج البكر البالغة
ن رضاها واعترض أبو بكر
زي بأن الايامى شامل للرجال
ساء وحين لزم في الرجال
يجهم باذنهم فكذا في النساء
يده ما روي أنه صلى الله عليه
لم قال البكر تستأمر في نفسها
نها اصماتها وأجيب بأن تخصيص
ص لا يقدح في كونه حجة في
في والفرق أن الايم من الرجال
لي أمر نفسه فلا يجب على الولي
يده بخلاف المرأة فان احتياجها
من يصلح أمرها أظهر على أنا
لم أن لفظ الايامى عند الاطلاق
ول الرجال وفي تخصيص الآية
ر الواحد أيضا نزاع واستدل أبو
يفة بعموم الآية أيضا على أن العم
خ يليان تزويج الثيب الصغيرة
قش فيه قال الشافعي من تاقت
ه الى النكاح استحب له أن
كح اذا وجد أهبة النكاح والا
كسر شهوته بالصوم لما روي
د الله بن مسعود أن رسول الله
لى الله عليه وسلم قال يا معشر
باب من استطاع منكم الباءة
زوج فانه أغض للبصر وأحصن
ج ومن لم يستطع فليصم فان
وم له وجاء والذي لا تتوق نفسه
لنكاح لكبر أو مرض أو عجز أو
غير قادر على النفقة يكره له
ينكح لأنه يلتزم ما لا يمكنه
ام بحقه وان لم يكن به عجز وكان
ا على القيام بحقه لم يكره له
نكح لكن الأفضل أن يتخلى
ة الله تعالى وقال أبو حنيفة النكاح أفضل حجة الشافعي أنه تعالى مدح يحيى بقوله وسيدا وحصورا والحصور
لا يأتي النساء مع القدرة عليهن وقال النبي صلى الله عليه وسلم أفضل أعمالكم الصلاة وقال أفضل أعمال أمتي قراءة القرآن وقال
ب المباحات الى الله تعالى النكاح والمباح ما استوى طرفاه والمندوب ما ترجح فعله ولو كان النكاح عبادة لم يصح من الكافر والنكاح

فيه شهوة النفس والعبادة فيها مشقة النفس والاقبال على الله تعالى فأين أحدهما من الآخر ولو كان النكاح مساويا للنوافل في الثواب
لم تكن النوافل مشروعة لان الطريق المؤدي الى المطلوب مع بقاء اللذة وعدم التعب أولى بالسلوك وان كان الاشتغال بالنكاح أولى من
النافلة لانه سبب لبقاء الاشخاص ونظام العالم فالاشتغال بالزراعة أيضا أولى من  النافلة للعلة المذكورة وقد وقع الاجماع على
أن واجب العبادة مقدم على
واجب النكاح فكذا مندوبها
على مندوبه لاتحاد السبب وعن
النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتى على
أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت
لهم العزبة والعزلة والترهب على
رؤس الجبال وعنه صلى الله عليه
وسلم يأتي على الناس زمان لا تنال
المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان
ذلك الزمان حلت العزوبة حجة
أبي حنيفة أن النكاح يتضمن
صون النفس من ضرر الزنا ودفع
الضرر أهم من جلب النفع وأيضا
النكاح يتضمن العدل وقد ورد في
الحديث لعدل ساعة خير من عبادة
ستين سنة وقال صلى الله عليه
وسلم النكاح سنتي وقال في الصلاة
انها خير موضوع فمن شاء فليستكثر
ومن شاء فليستقلل ثم ان الايامى
جمع مستغرق لكنهم أجمعوا على
أنه لابد من شروط ذكرنا بعضها
في سورة النساء في قوله وأحل لكم
ما وراء ذلكم ومعنى منكم أي من
حرائركم قاله كثير من المفسرين
لان حكم العبيد والاماء بعقب ذلك
ومنهم من قال أراد من يكون تحت
ولاية المأمور من الولد والقريب
ومنهم من قال الاضافة لا تفيد
الحرية والاسلام ثم أمر السادة أن
يزوجوا أرقاءهم الصالحين واتفقوا
على أنه للاباحة والترغيب لان في
تزويج العبد التزام مؤنة زوجته
وتعطل خدمته واستفادة المهر
وسقوط النفقة في تزويج الامة فليس قبوله بلازم على السيد أيضا وتخصيص الصالحين بالذكر عناية من الله بحالهم ليتحصن دينهم ويحفظ
عليهم صلاحهم أيضا الصالحون من الارقاء هم الذين يشفق عليهم مواليهم ويهتمون بشأنهم حتى ينزلوهم منزلة الاولاد ويجوز أن يراد
بالصلاح القيام بحقوق النكاح ومن جملة ذلك أن لا يكون في غاية الصغر بحيث لا يحتاج الى النكاح واذن السيد لهم أن يزوجوا أنفسهم

سائر النساء غيرهن ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا
عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية
أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة * وقال آخرون نزلت هذه الآية في شأن عائشة وعني بها
كل من كان بالصفة التي وصف الله في هذه الآية قالوا فذلك حكم كل من رمى محصنة لم تقارف
سوأ ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن سهل قال ثنا زيد عن جعفر بن برقان قال سألت
ميمونا قلت الذي ذكر الله الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الى قوله الا الذين تابوا من
بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم فجعل في هذه توبة وقال في الاخرى ان الذين يرمون
المحصنات الغافلات الى قوله لهم عذاب عظيم قال ميمون أما الأولى فعسى أن تكون قد قارفت
وأما هذه فهي التي لم تقارف شيأ من ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم
قال أخبرنا العوام بن حوشب عن شيخ من بني أسد عن ابن عباس قال فسر سورة النور فلما أتى
على هذه الآية ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية قال هذا في شأن عائشة وأزواج
النبي صلى الله عليه وسلم وهي مبهمة وليست لهم توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا
بأربعة شهداء الى قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية قال فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لمن
قذف أولئك توبة قال فهم بعض القوم أن يقوم اليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر سورة النور
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ان الذين يرمون المحصنات الغافلات
المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم قال هذا في عائشة ومن صنع هذا اليوم في
المسلمات فله ما قال الله ولكن عائشة كانت إمام ذلك * وقال آخرون نزلت هذه الآية في أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم فكان ذلك كذلك حتى نزلت الآية التي في أول السورة فأوجب الجلد
وقبل التوبة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا
أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الى عذاب عظيم
يعني أزواج النبي صلى الله عليه وسلم رماهن أهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وباؤا
بسخط من الله وكان ذلك في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ذلك والذين يرمون
المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الى قوله فان الله غفور رحيم فأنزل الله الجلد والتوبة فالتوبة
تقبل والشهادة ترد * وأولى هذه الاقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال نزلت هذه الآية
في شأن عائشة والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفها الله بها فيها وانما قلنا ذلك أولى
تأويلاته بالصواب لأن الله عم بقوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات كل محصنة غافلة
مؤمنة رماها رام بالفاحشة من غير أن يخص بذلك بعضا دون بعض فكل رام محصنة بالصفة التي
ذكر الله جل ثناؤه في هذه الآية فلعون في الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم الا أن يتوب من ذنبه
ذلك قبل وفاته فان الله دل باستثنائه بقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا على أن ذلك حكم رامي
كل محصنة بأي صفة كانت المحصنة المؤمنة المرمية وعلى أن قوله لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب
عظيم معناه لهم ذلك ان هلكوا ولم يتوبوا * القول في تأويل قوله تعالى ﴿يوم تشهد عليهم

ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم فاليوم الذى فى قوله يوم تشهد عليهم من صلة قوله ولهم عذاب عظيم وعنى بقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم يوم القيامة وذلك حين يجحد أحدهم ما اكتسب فى الدنيا من الذنوب عند تقرير الله اياه بها فيختم الله على أفواههم وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فان قال قائل وكيف تشهد عليهم ألسنتهم حين يختم على أفواههم قيل عنى بذلك أن ألسنة بعضهم تشهد على بعض لا أن ألسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه وقد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقال له هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقول أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقول أتحلفون فيحلفون ثم يصمتهم الله وتشهد ألسنتهم ثم يدخلهم النار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ يقول تعالى ذكره يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يوفيهم الله حسابهم وجزاءهم الحق على أعمالهم والدين فى هذا الموضع الحساب والجزاء كما حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق يقول حسابهم ❊ واختلفت القراء فى قراءة قوله الحق فقرأته عامة قراء الأمصار دينهم الحق نصبا على النعت للدين كأنه قال يوفيهم الله ثواب أعمالهم حقا ثم أدخل فى الحق الألف واللام فنصبه بما نصب به الدين وذكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك يوفيهم الله دينهم الحق برفع الحق على أنه من نعت الله حدثنا بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا يزيد عن جرير ابن حازم عن حميد عن مجاهد أنه قرأها الحق بالرفع قال جرير وقرأتها فى مصحف أبى بن كعب يوفيهم الله الحق دينهم والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار وهو نصب الحق على إتباعه اعراب الدين لاجماع الحجة عليه وقوله ويعلمون أن الله هو الحق المبين يقول ويعلمون يومئذ أن الله هو الحق الذى يبين لهم حقائق ما كان يعدهم فى الدنيا من العذاب ويزول حينئذ الشك فيه عن أهل النفاق الذين كانوا فيما كان يعدهم فى الدنيا يمترون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات يقول الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول وقوله والطيبات للطيبين يقول الطيبات من القول للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول نزلت فى الذين قالوا فى زوجة النبى صلى الله عليه وسلم ما قالوا من البهتان ويقال الخبيثات للخبيثين الأعمال الخبيثة تكون للخبيثين والطيبات من الاعمال

يتوب عن تزويج السيد اما قوله (ان يكونوا فقراء) فالاصح ان هذا ليس وعدا من الله تعالى باغناء من يتزوج حتى لا يجوز أن يقع فيه خلف فرب غنى يفقره النكاح ولكن المعنى لا تنظروا الى فقر من يخطب اليكم ففى فضل الله ما يغنيهم والمال غاد ورائح على أن مثل هذا الوعد قد جاء مشروطا بالمشيئة فى قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فالمطلق محمول على المقيد وقيل أراد بالغنى نفس العفاف بتملك البضع الذى يغنيه عن الوقوع فى الزنا وعن طائفة من الصحابة أن هذا وعد وعن أبى بكر قال أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى وعن ابن عباس التمسوا الرزق بالنكاح وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحاجة فقال عليك بالباءة وقد يستدل بالآية على أن العبد والأمة يملكان والا لم يتصور فقرهما وغناهما والمفسرون قالوا الضمير عائد الى الاحرار خاصة وهم الايامى وان فسر الغنى بالعفاف فلا بعد فى رجوعه الى الكل (والله واسع) افضاله ولكنه (عليم) يبسط الرزق كما يريد وعلى ما ينبغى وفيه اشارة الى قيد المشيئة فى الوعد المذكور ثم ذكر حال العاجزين عن القيام بمؤن النكاح بقوله (وليستعفف) أى ليطلب العفة من نفسه والمضاف محذوف أى لا يجدون استطاعة نكاح ولا يقدرون عليه أو النكاح يراد به ما ينكح بوساطته وهو المال ولا محذوف وفى قوله (حتى يغنيهم) نوع تأميل للمستعففين وفيه أن فضله من أهل الصلاح والعفاف قريب ❊ الحكم السابع المكاتبة وحين رغب السادة فى تزويج الصالحين من العبيد والاماء أرشدهم الى الطريق الذى به ينخرط العبيد فى سلك الاحرار مع عدم الاضرار بالسادة فقال (والذين يبتغون) ومحله اما رفع والخبر فكاتبوهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط واما نصب بفعل مضمر تفسيره فكاتبوهم والفاء للايذان بتلازم ما قبلها وما بعدها كقوله وربك فكبر والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة والتركيب يدل على الضم والجمع لما فيه من ضم النجوم بعضها الى بعض وقال الازهرى هو من الكتابة ومعناه كتبت لك على نفسى أن تعتق منى اذا وفيت المال وكتبت لى

على نفسك أن تفي بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق وقيل سمي بذلك لما يقع فيه من التأجيل واجبا عند الشافعي وندبا عند أبي حنيفة كما يجيء والاجل يستدعي الكتابة لقوله اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه قال محيي السنة الكتابة أن تقول لمملوكك كاتبتك على كذا ويسمي مالا يؤديه في نجمين أو أكثر ويعين عدد النجوم



وما يؤدي في كل نجم ويقول اذا أديت ذلك المال فأنت حر وينوي ذلك بقلبه ويقول العبد قبلت وفي هذا الضبط أبحاث الاول قال الشافعي ان لم يقل بلسانه اذا أديت ذلك المال فأنت حر ولم ينو بقلبه ذلك لم يعتق لان الكتابة ليست عقد معاوضة محضة فان ما في يد العبد فهو ملك السيد والانسان لا يمكنه بيع ملكه بعين ملكه فقوله كاتبتك كناية في العتق فلا بد فيه من لفظ العتق ونيته وقال أبو حنيفة ومالك وأبو يوسف ومحمد وزفر لا حاجة الى ذلك لاطلاق قوله فكاتبوهم واذا صحت الكتابة وجب أن يعتق بالاداء للاجماع الثاني لا تجوز الكتابة عند الشافعي الا مؤجلة لان العبد لا يتصور له ملك يؤديه في الحال وجوز أبو حنيفة الحلول لاطلاق الآية ولانه يجوز العتق على مال في الحال بالاتفاق فالكتابة أيضا مثله الثالث قال الشافعي لا تجوز الكتابة على أقل من نجمين روى ذلك عن علي عليه السلام وعمر وعثمان وابن عمر وذلك أنه عقد ارفاق ومن تمام الارفاق التنجيم وجوز أبو حنيفة على نجم واحد لاطلاق الآية وللقياس على سائر العقود الرابع جوز أبو حنيفة كتابة الصبي قال ويقبل عنه المولى وذهب الشافعي الى أنه يجب أن يكون عاقلا بالغا لأنه تعالى قال والذين يبتغون والصبي لا يتصور منه الطلب الخامس جوز أبو حنيفة أن يكاتب الصبي باذن الولي وشرط الشافعي كونه مكلفا مطلقا لان قوله فكاتبوهم خطاب فلا يتناول الا العاقل هذا وللمفسرين خلاف في أن قوله فكاتبوهم أمر ايجاب أو استحباب فقال قائلون ومنهم عمرو بن دينار وعطاء وداود بن علي ومحمد بن جرير الى وجوب الكتابة اذا طلبها المملوك بقيمته أو بأكثر وعلم السيد فيه خيرا ولو كان بدون قيمته لم يلزمه وأكدوه بما روي في سبب النزول أنه كان لحويطب

الأعمال تكون للطيبين حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عثمان ابن الأسود عن مجاهد الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والطيبات من الكلام للطيبين من الناس حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الطيبات القول الطيب يخرج من الكافر والمؤمن فهو للمؤمن والخبيثات القول الخبيث يخرج من المؤمن والكافر فهو للكافر أولئك مبرؤن مما يقولون وذلك أنه برأ كلا منهما مما ليس بحق من الكلام حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات يقول الخبيثات والطيبات القول السيء والحسن للمؤمنين الحسن وللكافرين السيء أولئك مبرؤن مما يقولون وذلك بأنه ما قال الكافرون من كلمة طيبة فهي للمؤمنين وما قال المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين كل بريء مما ليس بحق من الكلام حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الخبيثات للخبيثين قال الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الخبيثات للخبيثين الآية يقول الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول فهذا في الكلام وهم الذين قالوا لعائشة ما قالوا هم الخبيثون والطيبون هم المبرؤن مما قال الخبيثون حدثنا أبو زرعة قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سلمة يعني ابن نبيط الاشجعي عن الضحاك الخبيثات للخبيثين قال الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والطيبات من الكلام للطيبين من الناس * قال ثنا قبيصة قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح وعثمان ابن الأسود عن مجاهد الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول * قال ثنا سفيان عن خصيف عن سعيد بن جبير قال الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الخبيثات من القول للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول * قال ثني محمد بن بكر بن مقدم قال أخبرنا يحيى بن سعيد عن عبد الملك يعني ابن أبي سليمن عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن مجاهد والخبيثون للخبيثات قال الخبيثات من القول للخبيثين من الناس * قال ثنا عباس بن الوليد النرسي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات

للطيبين والطيبون للطيبات يقول الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والعمل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن طلحة بن عمرو عن عطاء قال الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول والخبيثات من القول للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول * وقال آخرون بل معنى ذلك الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية فبرأها الله من ذلك وكان عبد الله بن أبي هو خبيث وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكون لها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبا وكان أولى أن تكون له الطيبة وكانت عائشة الطيبة وكان أولى أن يكون لها الطيب أولئك مبرؤن مما يقولون قال ههنا برئت عائشة لهم مغفرة ورزق كريم * وأولى هذه الاقوال في تأويل الآية قول من قال عنى بالخبيثات الخبيثات من القول وذلك قبيحه وسيئه للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون من الناس للخبيثات من القول هم بها أولى لأنهم أهلها والطيبات من القول وذلك حسنه وجميله للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول لأنهم أهلها وأحق بها وانما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية لأن الآيات قبل ذلك انما جاءت بتوبيخ الله للقائلين في عائشة الافك والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات واخبارهم ما خصهم به على افكهم فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين بالافك من الرامي والمرمي به أشبه من الخبر عن غيرهم وقوله أولئك مبرؤن يقول الطيبون من الناس مبرؤن من خبيثات القول ان قالوها فان الله يصفح لهم عنها ويغفرها لهم وان قيلت فيهم ضرت قائلها ولم تضرهم كما لو قال الطيب من القول الخبيث من الناس لم ينفعه الله به لأن الله لا يتقبله ولو قيلت له لضرته لأنه يلحقه عارها في الدنيا وذلها في الآخرة كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أولئك مبرؤن مما يقولون فمن كان طيبا فهو مبرأ من كل قول خبيث يقول يغفره الله ومن كان خبيثا فهو مبرأ من كل قول صالح فانه يرده الله عليه لا يقبله منه وقد قيل عنى بقوله أولئك مبرؤن مما يقولون عائشة وصفوان بن المعطل الذي رميت به فعلى هذا القول قيل أولئك فجمع والمراد ذانك كما قيل فان كان له اخوة والمراد أخوان وقوله لهم مغفرة يقول لهؤلاء الطيبين من الناس مغفرة من الله لذنوبهم والخبيث من القول ان كان منهم ورزق كريم يقول ولهم أيضا مع المغفرة عطية من الله كريمة وذلك الجنة وما أعد لهم فيها من الكرامة كما حدثنا أبو زرعة قال ثنا العباس بن الوليد النرسي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة لهم مغفرة ورزق كريم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم في الجنة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله

ابن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبى فنزلت وروى أن عمر أمر انسانا بأن يكاتب سيرين أبا محمد بن سيرين فأبى فضربه بالدرة ولم ينكر أحد من الصحابة عليه وذهب أكثر العلماء منهم ابن عباس والحسن والشعبي ومالك وأبو حنيفة والشافعي والثوري الى أنه ندب لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال (٨٦) امرئ مسلم الا بطيب من قلبه ولان طلب الكتابة كطلب بيعه ممن يعتقه في الكفارة فلا تجب الاجابة وهذه طريقة المعاوضات أجمع قال العلماء اذا أدى مال الكتابة عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له ومن هنا يكسب مولاه الثواب أما قوله (ان علمتم فيهم خيرا) قال عطاء الخير هو المال كقوله ان ترك خيرا قال بلغني ذلك عن ابن عباس وضعف بأنه لا يقال في فلان مال وانما يقال له أو عنده مال وبأن العبد لا مال له بل المال لسيده وعن ابن سيرين أراد اذا صلى وعن النخعي وفاء وصدقا وقال الحسن صلاحا في الدين والأقرب أنه شئ يتعلق بالكتابة هكذا فسره الشافعي بالامانة والقوة على الكسب ويروى مثله مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن مقصود الكتابة لا يحصل الا بالكسب ثم بالامانة كيلا يضيع ما يكسبه واختلفوا أيضا في المخاطب بقوله (وآتوهم) فعن الحسن والنخعي وابن عباس في رواية عطاء وهو مذهب أبي حنيفة أنهم المسلمون والمراد أعطوهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال ولا بعد في كون المخاطب في أحد المعطوفين غير الآخر ولا في كون أحد الامرين للاستحباب والآخر للايجاب والسهم الذي يأخذه المكاتب له صدقة ولسيده عوض كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعن كثير من الصحابة وهو مذهب الشافعي أن المخاطب هو الموالي والامر أمر ايجاب فيجب عليهم أن يبذلوا للمكاتبين شيأ من أموالهم أو يحطوا عنهم جزأ من مال الكتابة ثم اختلفوا في قدره فعن علي عليه السلام أنه كان يحط الربع ومثله ما روى عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن أنه كاتب غلاما له فترك له ربع مكاتبته وعن ابن عمر أنه كاتب

يا أيها

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقرأ لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها قال وانما تستأنسوا وهم من الكتاب حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وقال انما هي خطأ من الكاتب حتى تستأذنوا وتسلموا حدثنا ابن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله غير أنه قال انما هي حتى تستأذنوا ولكنها سقط من الكاتب حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا معاذ بن سليمن عن جعفر بن اياس عن سعيد عن ابن عباس حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال أخطأ الكاتب وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا وتسلموا وكان يقرؤها على قراءة أبي بن كعب حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن الأعمش أنه كان يقرؤها حتى تستأذنوا وتسلموا قال سفيان وبلغني أن ابن عباس كان يقرؤها حتى تستأذنوا وتسلموا وقال انها خطأ من الكاتب حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال الاستئناس الاستئذان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال في مصحف ابن مسعود حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا * قال ثنا هشيم قال أخبرنا جعفر بن اياس عن سعيد عن ابن عباس أنه كان يقرؤها يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا قال وانما تستأنسوا وهم من الكتاب * قال ثنا هشيم قال مغيرة قال مجاهد جاء ابن عمر من حاجة وقد آذاه الرمضاء فأتى فسطاط امرأة من قريش فقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل بسلام فأعاد فأعادت وهو يراوح بين قدميه قال قولي ادخل قالت ادخل فدخل * قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور عن ابن سيرين وأخبرنا يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد الثقفي أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أألج أو أنلج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأمة له يقال لها روضة قومي الى هذا فكلميه فانه لا يحسن يستأذن فقولي له يقول السلام عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل حدثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله حتى تستأنسوا قال الاستئذان ثم نسخ واستثنى ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو حمزة عن المغيرة عن ابراهيم قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم قال حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة حتى تستأنسوا قال حتى تستأذنوا وتسلموا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا أشعث بن سوار عن كردوس عن ابن مسعود قال عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم قال أشعث عن عدي بن ثابت ان امرأة من الانصار قالت يا رسول الله اني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد

عبد الله بخمسة وثلاثين ألفا ووضع عنه خمسة آلاف وهو السبع والأكثرون على أنه غير مقدر ويحصل الامتثال بأقل متموّل عن ابن عباس يضع له من كتابته شيأ وعن عمر أنه كاتب عبدا له يكنى أبا أمية وهو أول عبد كوتب في الاسلام فأتاه بأول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو أخرته الى آخر نجم فقال أخاف أن لا أدرك ذلك وهذا الحط عند الاولين على وجه الندب فلا يجبر المولى عليه وأكدوه بما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال أيما عبد كاتب على مائة أوقية فأداها الا عشر أواق فهو عبد فلو كان الحط واجبا لأسقط عنه بقدره ومثله المكاتب عبد ما بقي عليه درهم وأيضا لو كان الحط واجبا فان كان معلوما لزم عتقه اذا بقي ذلك القدر وليس ذلك بالاتفاق ولو كان مجهولا لكان ما بقي وهو مال الكتابة مجهولا فلا تصح الكتابة وأيضا أمر بالايتاء من مال الله الذي آتاهم ومال الكتابة ليس بدين صحيح لانه يصدر العجز عنه فلا يستحق ذلك المال هذا الوصف فصح أن هذا أمر من الله تعالى بذلك للناس أولهم وللسادة أن يعينوا المكاتب على كتابته بما يمكنهم قال صلى الله عليه وسلم من أعان مكاتبا في فك رقبته أظله الله في ظل عرشه * الحكم الثامن المنع من اكراه الاماء على الزنا كان لعبد الله بن أبي رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء أي الزنا فشكت ثنتان منهن معاذة ومسيكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحد الاكراه قد مر في سورة النحل في قوله الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان والنص وان كان مختصا بالاماء الا أنهم أجمعوا على أن حال الحرائر أيضا كذلك والسؤال المشهور في الآية هو أن المعلق بكلمة ان على الشئ يفهم منه عدمه عند عدم ذلك الشئ فتدل الآية على جواز الاكراه على الزنا عند عدم ارادة التحصن والجواب بعد تسليم أن مفهوم الخطاب حجة هو أن الاكراه مع عدم ارادة التحصن والتعفف مما لا يجتمعان فهذا المفهوم قد خرج عن كونه دليلا لامتناعه في ذاته وقد يقال ان غالب الحال أن الاكراه لا يحصل الا عند ارادة التحصن والكلام الوارد على سبيل الغالب لا يكون له

مفهوم الخطاب كما مر فى قوله ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم وقيل ان بمعنى اذلان سبب النزول وارد على ذلك قال جار الله أوثرت كلمة ان على اذ ايذانا بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ما وجد من معاذة ومسيكة من قبيل الشاذ والنادر وللآية مفهوم آخر وهو أن للسادة اكراههن على (٨٨) النكاح وليس لها أن تمتنع على السيد اذا زوجها و (عرض الحياة الدنيا) كسبهن وأولادهن (ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) لهم على الاطلاق أو بشرط التوبة على أصل الاشاعرة والمعتزلة أو غفور لهن لان الاكراه قد لا يكون على حده المعتبر فى الشرع من التخويف الشديد فتكون آثمة حينئذ وحين فرغ من الاحكام وصف القرآن بصفات ثلاث الاولى الآيات المبينات أى الموضحات أو الواضحات فى معانى الحدود والاحكام وغيرها ولاسيما الآيات التى ثبتت فى هذه السورة الثانية كونه مثلا من الذين خلوا أى قصة عجيبة من قصصهم فان العجب فى قصة عائشة ليس بأقل من العجب فى قصة يوسف ومريم وما اتهما به وعن الضحاك أنه أراد بالمثل شبه ما ذكر فى التوراة والانجيل من اقامة الحدود وعن مقاتل أراد شبه ما حل بهم من العقاب اذا عصوا الثالثة كونه موعظة ينتفع بها المتقون خاصة ۞ التأويل لا تدخلوا بيوت عالم القرار التى هى غير بيوتكم من دار القرار حتى تتعرفوا أحوالها وتسلموا على أهلها سلام توديع ومتاركة فان لم تجدوا فيها أحدا فان صرتم بحيث فنيتم عن حظوظ الدنيا وشهواتها فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم بالتصرف فيها بالحق للحق وان قيل لكم ارجعوا بجذبة ارجعى الى ربك فارجعوا ثم أشار الى أن التصرف فى الدنيا لاجل البلاغ و بحسب الضرورة جائز اذا لم تكن النفس تطمئن اليها فقال ليس عليكم جناح الآية ثم أمر بغض بصر النفس عن مشتهيات الدنيا و بصر القلب عن رؤية الاعمال ونعيم الآخرة و بصر السر عن الدرجات والقربات و بصر الروح عن الالتفات الى ما سوى الله و بصر الهمة عن العلل بأن لا يرى نفسه أهلا لشهود الحق تنزيها له واجلالا ولهذا أمر بحفظ فرج الباطن عن تصرفات

---

عليها والد ولا ولد وانه لا يزال يدخل على رجل من أهلى وأنا على تلك الحال قال فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها الآية * وقال آخرون معنى ذلك حتى تؤنسوا أهل البيت بالتنحنح والتنخم وما أشبهه حتى يعلمون أنكم تريدون الدخول عليهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال حتى تتنحنحوا وتتنخموا **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله حتى تستأنسوا قال حتى تجرسوا وتسلموا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله حتى تستأنسوا قال تنحنحوا وتنخموا * قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عطاء بن أبى رباح يخبر عن ابن عباس قال ثلاث آيات قد جحدهن الناس قال الله ان أكرمكم عند الله أتقاكم قال ويقولون ان أكرمهم عند الله أعظمهم شأنا قال والاذن كله قد جحده الناس فقلت له أستأذن على أخواتى أيتام فى حجرى معى فى بيت واحد قال نعم (١) فرددت على من حضرنى فأبى قال أتحب أن تراها عريانة قلت لا قال فاستأذن فراجعته أيضا قال أتحب أن تطيع الله قلت نعم قال فاستأذن فقال لى سعيد بن جبير انك لتردد عليه قلت أردت أن يرخص لى * قال ابن جريج وأخبرنى ابن طاوس عن أبيه قال ما من امرأة أكره الى أن أرى كأنه يقول عريتها أو عريانة من ذات محرم قال وكان يشدد فى ذلك * قال ابن جريج وقال عطاء بن أبى رباح واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا فواجب على الناس أجمعين اذا احتلموا أن يستأذنوا على من كان من الناس قلت لعطاء أواجب على الرجل أن يستأذن على أمه ومن وراءها من ذات قرابته قال نعم قلت أى وجب قال قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا قال ابن جريج وأخبرنى ابن زياد أن صفوان مولى لبنى زهرة أخبره عن عطاء بن يسار أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أستأذن على أمى قال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى أفأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن عليها قال ابن جريج عن الزهرى قال سمعت هزيل بن شرحبيل الأودى الأعمى أنه سمع ابن مسعود يقول عليكم الاذن على أمهاتكم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء أيستأذن الرجل على امرأته قال لا **حدثنا** الحسين قال ثنا محمد بن حازم عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الجزار عن ابن أخى زينب امرأة ابن مسعود عن زينب قالت كان عبد الله اذا جاء من حاجة فانتهى الى الباب تنحنح وبزق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا قال الاستئناس التنحنح والتجرس حتى يعرفوا أن قد جاءهم أحد قال والتجرس كلامه وتنحنحه * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الاستئناس الاستفعال من الانس وهو أن يستأذن أهل البيت فى الدخول عليهم مخبرا بذلك

(١) فى ابن كثير فرددت عليه ليرخص لى فأبى فلعله تصحف عنه وحرر كتبه مصححه

بذلك من فيه وهل فيه أحد وليؤذنهم أنه داخل عليهم فيأنس الى اذنهم له فى ذلك ويأنسوا الى استئذانه اياهم وقد حكى عن العرب سماعا اذهب فاستأنس هل ترى أحدا فى الدار بمعنى انظر هل ترى فيها أحدا فتأويل الكلام اذا اذ كان ذلك معناه يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسلموا وتستأذنوا وذلك أن يقول أحدهم السلام عليكم أدخل وهو من المقدم الذى معناه التأخير انما هو حتى تسلموا وتستأذنوا كما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس وقوله ذلكم خير لكم يقول استئناسكم وتسليمكم على أهل البيت الذى تريدون دخوله (٣) فان دخولكموه خير لكم لأنكم لا تدرون أنكم اذا دخلتموه بغير اذن على ماذا تهجمون على ما يسوءكم أو يسركم وأنتم اذا دخلتم باذن لم تدخلوا على ما تكرهون وأديتم بذلك أيضا حق الله عليكم فى الاستئذان والسلام وقوله لعلكم تذكرون يقول لتتذكروا بفعلكم ذلك أمر الله عليكم واللازم لكم من طاعته فتطيعوه

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم﴾ يقول تعالى ذكره فان لم تجدوا فى البيوت التى تستأذنون فيها أحدا يأذن لكم بالدخول اليها فلا تدخلوها لأنها ليست لكم فلا يحل لكم دخولها الا باذن أربابها فان أذن لكم أربابها أن تدخلوها فادخلوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا يقول وان قال لكم أهل البيوت التى تستأذنون فيها ارجعوا فلا تدخلوها فارجعوا عنها ولا تدخلوها هو أزكى لكم يقول رجوعكم عنها اذا قيل لكم ارجعوا ولم يؤذن لكم بالدخول فيها أطهر لكم عند الله وقوله هو كناية من اسم الفعل أعنى من قوله فارجعوا وقوله والله بما تعملون عليم يقول جل ثناؤه والله بما تعملون من رجوعكم بعد استئذانكم فى بيوت غيركم اذا قيل لكم ارجعوا وترك رجوعكم عنها وطاعتكم الله فيما أمركم ونهاكم فى ذلك وغيره من أمره ونهيه ذو علم محيط بذلك كله محص جميعه عليكم حتى يجازيكم على جميع ذلك وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فان لم تجدوا فيها أحدا قال ان لم يكن لكم فيها متاع فلا تدخلوها الا باذن وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنا الحسن قال ثنا هاشم بن القاسم المزنى عن قتادة قال قال رجل من المهاجرين لقد طلبت عمرى كله هذه الآية فما أدركتها أن أستأذن على بعض اخوانى فيقول لى ارجع فأرجع وأنا مغتبط لقوله وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم وهذا القول الذى قاله مجاهد فى تأويل قوله فان لم تجدوا فيها أحدا بمعنى ان لم يكن لكم فيها متاع قول بعيد من مفهوم كلام العرب لأن العرب لا تكاد تقول ليس بمكان كذا أحد الا وهى تعنى ليس بها أحد من بنى آدم وأما الأمتعة وسائر الاشياء غير بنى آدم ومن كان سبيله سبيلهم فلا تقول ذلك فيها

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ يقول تعالى ذكره ليس عليكم أيها

---

السكونين فيه ثم أمر النساء بمثل ما أمر به الرجال تنبيها على أن النساء بالصورة قد يكن رجالا فى المعنى ثم نهى عن اظهار ما زين الله به سرائرهم وأحوالهم الا ما ظهر على صفحات أحوالهم من غير تكلف منهم ثم أباح لهم اظهار بعض الاسرار الى شيوخهن أو اخوانهن فى الدين ا الحال أو المريدين الذين هم تحت تربيتهم وتصرفهم بمنزلة النساء والمماليك ومن لا خبر عندهم من عالم المعنى كالبله والاطفال ففيه نفثة مصدور من غير ضرب وتوبوا الى الله جميعا فان حسنات الابرار سيئات المقربين فتوبة المبتدئ من الحرام وتوبة المتوسط من الحلال وتوبة المنتهى مما سوى الله وأنكحوا الايامى فيه أمر بطلب شيخ كامل يودع فى رحم القلب من صلب الولاية نطفة استعداد قبول الفيض الاعلى وهو الولادة الثانية المستدعية للولوج فى ملكوت السماء والارض وقد أشار الى افاضة هذا الاستعداد بقوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وليستعفف ليحفظ الذين لا يجدون شيخا فى الحال أرحام قلوبهم عن تصرفات الدنيا والهوى والشيطان حتى يدلهم الله على شيخ كامل كما دل موسى على الخضر عليه السلام أو يخصهم بجذبة الله بجذبة تعنى والذين يبتغون فيه أن المريد اذا طلب الخلاص عن قيد الرياضة لزم اجابته ان علم فيه الصلاح ووجب أن يؤتى بعض ما خص الله الشيخ به من المواهب ولا تكرهوا فيه أن النفس اذا لم تكن مائلة الى التصرف فى الدنيا وان كان بالحق لم تكره عليه فان أصحاب الخلوة غير أرباب الجلوة ۞ ﴿الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء

بغير حساب والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله
سريع الحساب أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها
ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ألم تر أن الله (٩٠) يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله
عليم بما يفعلون ولله ملك السموات
والارض والى الله المصير ألم تر أن
الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم
يجعله ركاما فترى الودق يخرج من
خلاله وينزل من السماء من جبال
فيها من برد فيصيب به من يشاء
ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه
يذهب بالابصار يقلب الله الليل
والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى
الابصار والله خلق كل دابة من
ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم
من يمشى على رجلين ومنهم من
يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء
ان الله على كل شئ قدير لقد أنزلنا
آيات مبينات والله يهدى من يشاء
الى صراط مستقيم ويقولون آمنا
بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى
فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك
بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون
وان يكن لهم الحق يأتوا اليه
مذعنين أفى قلوبهم مرض أم
ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله
عليهم ورسوله بل أولئك هم
الظالمون (القراآت) نور السموات
على الفعل يزيد من طريق ابن أبى
عبلة وابن مقسم كمشكاة بمالة
أبو عمرو وعن الكسائى درّىء
بكسرتين وبالهمز أبو عمرو وعلى
والمفضل مثله بضم الدال حمزة وأبو
بكر وحماد والخزاز الباقون
بضم الدال وتشديد الياء توقد
بضم التاء وفتح القاف حمزة وعلى
وخلف وأبو بكر وحماد مثله
ولكن بياء الغيبة على ان الضمير للمصباح ابن عامر ونافع وحفص وأبو زيد عن المفضل الباقون وجبلة توقد
بالفتحات وتشديد القاف يسبح بفتح الباء ابن عامر وأبو بكر وحماد سحاب ظلمات على الاضافة البزى سحاب بالتنوين ظلمات بالكسر
على أنه نصب على الحال القواس وابن فليح الباقون بالرفع والتنوين فيهما ينزل من الانزال ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب يذهب

الناس اثم وحرج أن تدخلوا بيوتا لا ساكن بها بغير استئذان ثم اختلفوا فى ذلك أى البيوت عنى فقال بعضهم عنى بها الخانات والبيوت المبنية بالطرق التى ليس بها سكان معروفون وانما بنيت لمارة الطريق والسابلة ليأووا اليها ويؤووا اليها أمتعتهم ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن سالم المكى عن محمد بن الحنفية فى قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة قال هى الخانات التى تكون فى الطرق حدثنى عباس بن محمد قال ثنا مسلم قال ثنا عمر بن فروخ قال سمعت قتادة يقول بيوتا غير مسكونة قال هى الخانات تكون لأهل الأسفار حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبى زائدة عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال كانوا يضعون فى بيوت فى طرق المدينة متاعا وأقتابا فرخص لهم أن يدخلوها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله بيوتا غير مسكونة قال هى البيوت التى ينزلها السفر لا يسكنها أحد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله بيوتا غير مسكونة قال كانوا يصنعون أو يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة فى بيوت ليس فيها أحد فأحل لهم أن يدخلوها بغير اذن حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال كانوا يضعون بطريق المدينة بغير شك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله غير أنه قال كانوا يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة هى البيوت التى ليس لها أهل وهى البيوت التى تكون بالطرق والخربة فيها متاع منفعة للمسافر فى الشتاء والصيف يأوى اليها ❊ وقال آخرون هى بيوت مكة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن سعيد بن سائق عن الحجاج بن أرطاة عن سالم بن محمد بن الحنفية فى بيوتا غير مسكونة قال هى بيوت مكة ❊ وقال آخرون هى البيوت الخربة والمتاع الذى قال الله فيها لكم قضاء الحاجة من الخلاء والبول فيها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال الخلاء والبول حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا حسن بن عيسى بن زيد عن أبيه فى هذه الآية ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال التخلى فى الخراب ❊ وقال آخرون بل عنى بذلك بيوت التجار التى فيها أمتعة الناس ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال بيوت التجار ليس عليكم جناح أن تدخلوها بغير اذن الحوانيت التى بالقيساريات والاسواق وقرأ فيها متاع لكم متاع للناس ولبنى آدم ❊ وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله عم بقوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم كل بيت لا ساكن به لنا فيه

متاع

من الاذهاب يزيد على أن الباء زائدة خالق كل شئ على الاضافة حمزة وعلى وخلف الآخرون خلق على لفظ المضى كل منصوبا ۞ الوقوف والارض ط مصباح ط زجاجة ط غربية ط لان مابعدها صفة شجرة نار ط نور ط يشاء ط للناس ط عليم ٥ لا بناء على أن الظرف يتعلق بما قبله وهو كمشكاة أى مثل مشكاة فى بعض بيوت الله عز وجل والاولى تعلقه بيسبح وفيها تكرار كقولك زيد فى الدار جالس فيها أو بمحذوف وهو سبحوا اسمه لا لان مابعده صفة بيوت أولان الظرف يتعلق بيسبح والآصال ط لمن قرأ يسبح بفتح الباء كأنه قيل من يسبح فقيل رجال أى يسبحه رجال ومن قرأ بالكسر لم يقف لانه فاعل الفعل الظاهر رجال لا لأن مابعده صفة الزكاة لا لأن مابعده أيضا صفة والابصار ٥ لا لتعلق اللام أبو حاتم يقف ويجعل اللام لام القسم على تقدير ليجزين قال فلما سقطت النون انكسرت اللام من فضله ط حساب ٥ ماء ط حسابه ط الحساب ٥ لا للعطف سحاب ط لمن قرأ ظلمات بالرفع ولم يجعلها بدلا فوق بعض ط يراها ط من نور ٥ صافات ط وتسبيحه ط يفعلون ٥ والارض ج فصلا بين الامرين المعظمين مع اتفاق الجملتين المصير ٥ من خلاله ج لما قلنا عمن يشاء ط بالابصار ٥ ط والنهار ط الابصار ج من ماء ج للفاء مع التفصيل بطنه ج رجلين ج لمثل ماقلنا أربع ط مايشاء ط قدير ٥ مبينات ط مستقيم ٥ ذلك ط بالمؤمنين ٥ معرضون ٥ مذعنين ٥ ط ورسوله ط الظالمون ٥ ۞ التفسير انه سبحانه لما بين من الاحكام مابين أردفها على عادة القرآن بالالهيات وقدم لذلك مثلين أحدهما فى أن دلائل الايمان فى غاية الظهور والثانى أن أديان الكفر فى نهاية الظلمة أما الاول فهو قوله (الله نور السموات والارض) واعلم أن النور فى اللغة موضوع لهذه الكيفية الفائضة من الشمس والقمر والنار على مايحاذيها من الاجرام ولاشك أنه لا يمكن أن يكون إلها لانه ان كان عرضا فظاهر وان كان جسما فكذلك للدليل الدال على أن اله العالم ليس بجسم ولا جسمانى ولازائل ولامنتقل الى غير ذلك من أمارات

متاع ندخله بغير اذن لأن الاذن انما يكون ليؤنس المأذون عليه قبل الدخول أو ليأذن للداخل ان كان له مالكا أو كان فيه ساكنا فأما ان كان لامالك له فيحتاج الى اذنه لدخوله ولاساكن فيه فيحتاج الداخل الى ايناسه والتسليم عليه لئلا يهجم على مالا يحب رؤيته منه فلا معنى للاستئذان فيه فاذا كان ذلك فلا وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض فكل بيت لامالك له ولاساكن من بيت مبنى ببعض الطرق للمارة والسابلة ليأووا اليها أو بيت خراب قد باد أهله ولاساكن فيه حيث كان ذلك فان لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان لمتاع له يؤويه اليه أو للاستمتاع به لقضاء حقه من بول أو غائط أو غير ذلك وأما بيوت التجار فانه ليس لأحد دخولها الا باذن أربابها وسكانها فان ظن ظان أن التاجر اذا فتح دكانه وقعد للناس فقد أذن لمن أراد الدخول عليه فى دخوله فان الأمر فى ذلك بخلاف ماظن وذلك أنه ليس لأحد دخول ملك غيره بغير ضرورة ألجأته اليه أو بغير سبب أباح له دخوله الا باذن ربه لاسيما اذا كان فيه متاع فان كان التاجر قد عرف منه أن فتحه حانوته اذن منه لمن أراد دخوله فى الدخول فذلك بعد راجع الى ماقلنا من أنه لم يدخله من دخله الا باذنه واذا كان ذلك كذلك لم يكن من معنى قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم فى شئ وذلك أن التى وضع الله عنا الجناح فى دخولها بغير اذن من البيوت هى مالم يكن مسكونا اذ حانوت التاجر لاسبيل الى دخوله الا باذنه وهو مع ذلك مسكون فتبين أنه مما عنى الله من هذه الآية بمعزل * وقال جماعة من أهل التأويل هذه الآية مستثناة من قوله لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم ثم نسخ واستثنى فقال ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة حتى تستأنسوا الآية فنسخ من ذلك واستثنى فقال ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم وليس فى قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم دلالة على أنه استثناء من قوله لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا لأن قوله لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها حكم من الله فى البيوت التى لها سكان وأرباب وقوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم حكم منه فى البيوت التى لاسكان لها ولا أرباب معروفون فكل واحد من الحكمين حكم فى معنى غير معنى الآخر وانما يستثنى الشئ من الشئ اذا كان من جنسه أو نوعه فى الفعل أو النفس فأما اذا لم يكن كذلك فلا معنى لاستثنائه منه وقوله والله يعلم ماتبدون يقول تعالى ذكره والله يعلم ماتظهرون أيها الناس بألسنتكم من الاستئذان اذا استأذنتم على أهل البيوت المسكونة وماتكتمون يقول وماتضمرونه فى صدوركم عند فعلكم ذلك ماالذى تقصدون به أطاعة الله والانتهاء الى أمره أم غير ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للمؤمنين بالله وبك

يا محمد يغضوا من أبصارهم يقول يكفوا من نظرهم الى ما يشتهون النظر اليه مما قد نهاهم الله عن النظر اليه ويحفظوا فروجهم أن يراها من لا يحل له رؤيتها بلبس ما يسترها عن أبصارهم ذلك أزكى لهم يقول فان غضها من النظر عما لا يحل النظر اليه وحفظ الفرج عن أن يظهر لأبصار الناظرين أطهر لهم عند الله وأفضل ان الله خبير بما يصنعون يقول ان الله ذو خبرة بما تصنعون أيها الناس فيما أمركم به من غض أبصاركم عما أمركم بالغض عنه وحفظ فروجكم عن اظهارها لمن نهاكم عن اظهارها له * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سهل الرملي قال ثنا حجاج قال ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم قال كل فرج ذكر حفظه في القرآن فهو من الزنا الا هذه وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن فانه يعني الستر حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن قال يغضوا أبصارهم عما يكره الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم قال يغض من بصره أن ينظر الى ما لا يحل له اذا رأى ما لا يحل له غض من بصره لا ينظر اليه ولا يستطيع أحد أن يغض بصره كله انما قال الله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم * القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد للمؤمنات من أمتك يغضضن من أبصارهن عما يكره الله النظر اليه مما نهاكم عن النظر اليه ويحفظن فروجهن يقول ويحفظن فروجهن عن أن يراها من لا يحل له رؤيتها بلبس ما يسترها عن أبصارهم وقوله ولا يبدين زينتهن يقول تعالى ذكره ولا يظهرن للناس الذين ليسوا لهن بمحرم زينتهن وهما زينتان احداهما ما خفي وذلك كالخلخال والسوارين والقرطين والقلائد والأخرى ما ظهر منها وذلك مختلف في المعني منه بهذه الآية فكان بعضهم يقول زينة الثياب الظاهرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون ابن المغيرة عن الحجاج عن أبي اسحق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود قال الزينة زينتان فالظاهرة منها الثياب وما خفي الخلخالان والقرطان والسواران حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني الثوري عن أبي اسحق الهمداني عن أبي الأحوص عن عبد الله أنه قال ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال هي الثياب حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الثياب حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله مثله * قال ثنا سفيان عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن زيد عن عبد الله مثله

---

الحديث والافتقار وعند ذلك ذكر العلماء في تأويل الآية وجوها الاول وهو قول ابن عباس والاكثرين أن المضاف محذوف أي هو ذو نور السموات والارض لانه قال مثل نوره ويهدي الله لنوره والمضاف مغاير للمضاف اليه فنظير الآية قولك زيد كرم وجود لما بالغة الثاني أن معناه منوّر السموات كقراءة من قرأ نوّر بالتشديد وعلى القولين ما المراد بالنور فالاكثرون على أنه الهداية والحق كما قال في آخر الآية يهدي الله لنوره من يشاء شبهه بالنور في ظهوره وبيانه وأضافه الى السموات والارض للدلالة على سعة اشراقه وفشوّ اضاءته حتى تضيء له السموات والارض أو على حذف المضاف أي نور أهل السموات والارض وقيل نور السماء بالملائكة وبالاجرام النيرة والارض بها وبالانبياء والعلماء وهو مروي عن أبيّ بن كعب والحسن وأبي العالية وقيل هو تدبيره اياهما بحكمة كاملة كما يوصف الرئيس المدبر بأنه نور البلد اذا كان يدبر أمورهم تدبيرا حسنا فهو لهم كالنور الذي يهتدى به في المضايق والمزالق وهذا القول اختيار الاصم والزجاج وقيل هو نظمه اياهما على النهج الاحسن والوجه الاصلح وقد يعبر بالنور عن النظام يقال ما أرى لهذه الامور نورا الثالث ما ذهب اليه الحكماء الاوّلون الاشراقيون واليه ميل الشيخ الامام حجة الاسلام محمد الغزالي على ما قرره في رسالته المسماة بمشكاة الانوار ان الله تعالى نور في الحقيقة بل لا نور الا هو بيانه أن للانسان بصرا يدرك به النور المحسوس الواقع من الاجرام النيرة على ظواهر الاجسام الكثيفة وبصيرة هي القوة العاقلة ولا شك أن البصيرة أقوى من البصر لان القوة الباصرة لا تدرك نفسها ولا تدرك ادراكها ولا تدرك آلتها وهي العين وأما القوة العاقلة فانها تدرك نفسها وتدرك ادراكها وتدرك آلتها في الادراك وهي القلب أو الدماغ والادراك الحسي غير منتج لانه لا يصير سببا لاحساس آخر والادراك العقلي يصير سببا لادراكات أخر حتى تجتمع علوم جمة والحس يضطرب بكثرة ورود المحسوسات عليه حتى انه لا يسمع الصوت * قال

* قال ثنا سفيان عن علقمة عن ابراهيم فى قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الثياب حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا بعض أصحابنا اما يونس واما غيره عن الحسن فى قوله الا ما ظهر منها قال الثياب حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق عن أبى الأحوص عن عبد الله الا ما ظهر منها قال الثياب قال أبو اسحق ألا ترى أنه قال خذوا زينتكم عند كل مسجد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال ثنا محمد ابن الفضل عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن زيد عن ابن مسعود الا ما ظهر منها قال هو الرداء * وقال آخرون الظاهر من الزينة التى أبيح لها أن تبديه الكحل والخاتم والسواران والوجه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا مروان قال ثنا مسلم الملائى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الكحل والخاتم حدثنا عمرو ابن عبد الحميد الآملى قال ثنا مروان عن مسلم الملائى عن سعيد بن جبير مثله ولم يذكر ابن عباس حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن أبى عبد الله نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال الظاهر منه الكحل والخدان حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن عبد الله ابن مسلم بن هرمز عن سعيد بن جبير فى قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الوجه والكف حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن عبد الله بن مسلم بن هرمز المكى عن سعيد بن جبير مثله حدثنى على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو عمرو عن عطاء فى قول الله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الكفان والوجه حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة قال الكحل والسواران والخاتم حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال والزينة الظاهرة الوجه وكحل العين وخضاب الكف والخاتم فهذا تظهر فى بيتها لمن دخل من الناس عليها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال المسكتان والخاتم والكحل قال قتادة وبلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تخرج يدها الا الى ههنا وقبض نصف الذراع حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن رجل عن المسور بن مخرمة فى قوله الا ما ظهر منها قال القلبين والخاتم والكحل يعنى السوار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الخاتم والمسكة قال ابن جريج وقالت عائشة القلب والفتخة قالت عائشة دخلت على ابنة أخى لأمى عبد الله بن الطفيل مزينة فدخل النبى صلى الله عليه وسلم فأعرض فقالت عائشة يا رسول الله انها ابنة أخى وجارية فقال اذا عركت المرأة لم يحل لها أن تظهر الا وجهها والا ما دون هذا وقبض على ذراع نفسه فترك بين قبضته وبين الكف مثل قبضة أخرى وأشار به أبو على قال ابن جريج وقال مجاهد قوله الا ما ظهر منها قال الكحل والخضاب والخاتم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عاصم عن عامر الا ما ظهر منها قال الكحل والخضاب والثياب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال

الضعيف مثلا بعد سماع الصوت الشديد والعقل يزداد بهاؤه ونورانيته بكثرة توارد العلوم وتعاونها والقوة الحسية تضعف بضعف البدن والقوة العقلية تقوى بعد الاربعين حتى استدل بذلك على بقائها بعد خراب البدن والقوة الحسية لا تدرك من القرب القريب ولا من البعد البعيد والعقلية لا يختلف حالها فى القرب والبعد فيدرك ما فوق العرش الى ما تحت الثرى فى لحظة واحدة بل يدرك ذات الله وصفاته مع أنه منزه عن القرب والبعد والجهة والحس لا يدرك من الاشياء الا ظواهرها والعقل يغوص فى حقائق الاشياء وفى أجزائها وجزئياتها وفى ذاتياتها وعرضياتها فيوحد الكثير تارة بانتزاع صورة كلية من الجزئيات ويكثر الواحد أخرى بالتجنيس والتنويع والتصنيف وغير ذلك من التقسيمات التى لا تكاد تتناهى وادراك العقل قد يكون مقدما على وجود الشئ ويسمى العلم العقلى وادراك الحس تابع لوجود الشئ واذا كان الروح الباصر نورا فالبصيرة التى هى أشرف منها أولى بأن تكون نورا وكما أن نور المبصر يحتاج فى ادراكه الى معين من الخارج هو الشمس أو السراج مثلا فنور البصيرة أيضا يحتاج فى ادراكه الى مرشد هو النبى أو القرآن فلذلك سمى القرآن نورا والنور الذى أنزلنا والنبى نورا وسراجا منيرا فروح النبى فى عالم الارواح كالشمس فى عالم الاجسام ثم ان الانوار النبوية القدسية مقتبسة من أنوار أخرى فوقها لقوله علمه شديد القوى قل نزله روح القدس من ربك فكل الانوار تنتهى الى ما لا نور أنور منه ولا أجل وأشرف وهو الله سبحانه والكلام المجمل فى هذا المقام هو الذى قد سلف تحقيقه مرارا وهو أن الكمالات أنوار والملكات الذميمة ظلمات وأيضا الوجود نور والعدم ظلمة فان نظرنا الى الكمال فكل كمال ينتهى الى الله سبحانه ولا كمال فوق كماله فهو نور الانوار وان نظرنا الى الوجود نفسه فلا ريب أن الممكن وجوده مستفاد من غيره الى أن ينتهى الى واجب الوجود لذاته وهو نور الانوار فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره واحتجب عنهم باشراق نوره ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره وفى بعض

ابن زيد في قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها من الزينة الكحل والخضاب والخاتم هكذا كانوا يقولون وهذا يراه الناس حدثني ابن عبد الرحيم البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال سئل الاوزاعي عن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الكفين والوجه حدثنا عمرو بن بندق قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك في قوله ولا يبدين زينتهن قال الكف والوجه * وقال آخرون عنى به الوجه والثياب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال قال يونس ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الحسن الوجه والثياب حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي وعبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن الحسن في قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الوجه والثياب وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك الوجه والكفان يدخل في ذلك اذا كان كذلك الكحل والخاتم والسوار والخضاب وانما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالتأويل لاجماع الجميع على أن على كل مصل أن يستر عورته في صلاته وأن للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها في صلاتها وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك من بدنها الا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أباح لها أن تبديه من ذراعها الى قدر النصف فاذ كان ذلك من جميعهم اجماعا كان معلوما بذلك أن لها أن تبدي من بدنها ما لم يكن عورة كما ذلك للرجال لأن ما لم يكن عورة فغير حرام اظهاره واذا كان لها اظهار ذلك كان معلوما أنه مما استثناه الله تعالى ذكره بقوله الا ما ظهر منها لأن كل ذلك ظاهر منها وقوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن يقول تعالى ذكره وليلقين خمرهن وهي جمع خمار على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن ابراهيم بن نافع قال ثنا الحسن بن مسلم بن يناق عن صفية بنت شيبة عن عائشة قالت لما نزلت هذه الآية وليضربن بخمرهن على جيوبهن قال شققن البرد مما يلي الحواشي فاختمرن به حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب أن قرة بن عبد الرحمن أخبره عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت يرحم الله النساء المهاجرات الاول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن أكثف مروطهن فاختمرن به وقوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن يقول تعالى ذكره ولا يبدين زينتهن التي هي غير ظاهرة بل الخفية منها وذلك الخلخال والقرط والدملج وما أمرت بتغطيته بخمارها من فوق الجيب وما وراء ما أبيح لها كشفه وابرازه في الصلاة وللاجنبيين من الناس والذراعين الى فوق ذلك الا لبعولتهن * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن طلحة بن مصرف عن ابراهيم ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن قال هذه ما فوق الذراع حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور قال سمعت رجلا يحدث عن طلحة عن ابراهيم قال في هذه الآية ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن قال ما فوق الجيب قال شعبة كتب به منصور الي وقرأته عليه حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن قال تبدي لهؤلاء الرأس حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن

الروايات سبعمائة وفي بعضها سبعون ألفا قال العلماء الحجب ثلاثة أقسام حجب ظلمانية محضة وحجب ممزوجة من نور وظلمة وحجب نورانية صرفة أما المحجوبون بالاول فهم الذين بلغوا في الاشتغال بالعلائق البدنية الى حيث لا يلتفت خاطرهم الى الاستدلال بالمصنوعات على الصانع وأما المحجوبون بالثاني فهم الذين اعتقدوا في الممكنات أنها غنية عن المؤثر فنفس تصور الاستغناء عن الغير نور لانه من صفات الله تعالى ولكن اعتقاد حصوله لمن لا يليق به ظلمة فهذا حجاب ممزوج من نور وظلمة وأما المحجوبون بالثالث فهم الذين استغرقوا في معرفة صفات الله وأفعاله فاحتجبوا بالصفات عن الذات فعرف من هذا التقرير أن الحجب لا تكاد تتناهى حيث لا نهاية للممكنات ولا انحصار للسلوب والاضافات ولكن الحديث ورد على ما هو المتعارف في باب التكثير * ولنرجع الى التفسير قال الفراء المشكاة الكوة في الجدار غير النافذة وهذا القول أصح عند أئمة اللغة وهي من لغة العرب ومنه المشكاة للزق الصغير وقيل هي بلغة الحبشة وعن ابن عباس وأبي موسى الاشعري أن المشكاة هي القائم الذي في وسط القنديل الذي يدخل فيه الفتيلة وهو قول مجاهد والقرطبي ومثله قول الزجاج هي قصبة القنديل من الزجاجة التي يوضع فيها الفتيلة وقال الضحاك هي الحلقة التي يتعلق بها القنديل والمصباح السراج الضخم الثاقب وأصله من الضوء ومنه الصبح والدري فمن قرأ بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر أي أبيض متلألئ ومن قرأ بالهمز مضموم الدال كمريق أو مكسورها كسكيت فمعناه أنه يدرأ الظلام بضوئه وقال أبو عبيد ان ضممت الدال وجب أن لا تهمز لانه ليس في كلام العرب فعيل ومن همزه من القراء فانما أراد فعول على سبوح فاستثقل فرد بعضه الى الكسر والدراري من الكواكب هي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وما يضاهيها من الثوابت التي الى هي في العظم الاول ومعنى (من شجرة مباركة) أن ابتداء ثقوبه من شجرة مباركة كثيرة المنافع وهي الزيتون عن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانها مصحة من الباسور وقيل سميت مباركة لانها تنبت في الارض التي بارك الله فيها للعالمين

أو بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام فقوله (زيتونة) بدل من شجرة ومعنى (لا شرقية ولا غربية) أن منبتها في أكثر الشام وزيتونها أجود الزيتون والشام قريب من وسط العمارة ليس على الطرف الشرقي من الربع المسكون ولا على الطرف الغربي منه وعن الحسن أراد شجرة الزيتون في الجنة اذ لو كانت من شجر الدنيا لكانت اما شرقية أو غربية (٩٥) وضعف بأن المثل انما يضرب بما يشاهدوا نهم ماشاهدوا شجرة الجنة وقيل أراد انها شجرة ملفوفة بالاشجار أو بأوراقها فلا تصيبها الشمس في مشرق ولا مغرب وزيف بأن الغرض هو صفاء الزيت ولا يحصل الا بكمال النضج وذلك يتوقف عادة على وصول أثر الشمس الى الشجرة وعن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وهو اختيار الفراء والزجاج المراد أنها ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا لانها في موضع مكشوف فيكون فيه دليل على كمال النضج الموجب لصفاء الزيت ومنهم من قال لا في مضحى ولا في مقنأة وهي المكان الذي لا تطلع عليه الشمس ولكن الظل والشمس يتعاقبان عليها وذلك أجود لكمال الثمرة قال صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقنأة ولا نبات في مقنأة ولا خير في مضحى ثم وصف الزيت بالصفاء والبريق وأنه لتلألئه يكاد يضيء من غير نار فاذا مسته النار ازداد ضوأ على ضوء فهذا ما يتعلق بحل الألفاظ على ظاهر التفسير أما ما يتعلق بالمعنى فنقول ان جمهور المتكلمين ذهبوا الى أنه تعالى شبه الهداية وهي الآيات البينات في الظهور والجلاء بالمشكاة التي تكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء وانما اختار هذا التشبيه دون أن يقول انها كالشمس في الظهور والوضوح لان الغالب على أوهام الخلق وخيالاتهم انما هو الشبهات التي هي كالظلمات وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل وهذا المقصود لا يحصل من ضرب المثل بالشمس لانها اذا طلعت لم تبق ظلمة أصلا والأمور التي اعتبرها الله سبحانه في هذا المثال منها كون المصباح في المشكاة وذلك ليكون أجمع للنور وأعون لتكاثف الأشعة وأصون له عن تعرض الرياح زعم بعضهم أن في الكلام قلبا والمراد

---

الى قوله عورات النساء قال الزينة التي يبدينها لهؤلاء قرطاها وقلادتها وسوارها فأما خلخالاها ومعضداها ونحرها وشعرها فانه لا تبديه الا لزوجها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن مسعود في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن قال الطوق والقرطين يقول الله تعالى ذكره قل للمؤمنات الحرائر لا يظهرن هذه الزينة الخفية التي ليست بالظاهرة الا لبعولتهن وهم أزواجهن واحدهم بعل أو لآبائهن أو لآباء بعولتهن يقول أو لآباء أزواجهن أو لأبنائهن أو لابناء بعولتهن أو لاخوانهن أو لبني اخوانهن ويعني بقوله أو لاخوانهن أو لاخواتهن أو لبني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن قيل عني بذلك نساء المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله أو نسائهن قال بلغني أنهن نساء المسلمين لا يحل لمسلمة أن ترى مشركة عريتها الا أن تكون أمة لها فذلك قوله أو ما ملكت أيمانهن * قال ثني الحسين قال ثني عيسى بن يونس عن هشام ابن الغازي عن عبادة بن نسي أنه كره أن تقبل النصرانية المسلمة أو ترى عورتها ويتأول أو نسائهن * قال ثنا عيسى بن يونس عن هشام عن عبادة قال كتب عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح رحمة الله عليهما أما بعد فقد بلغني أن نساء يدخلن الحمامات ومعهن نساء أهل الكتاب فامنع ذلك وحل دونه قال ثم ان أبا عبيدة قام في ذلك المقام مبتهلا اللهم أيما امرأة تدخل الحمام من غير علة ولا سقم تريد البياض لوجهها فسود وجهها يوم تبيض الوجوه وقوله أو ما ملكت أيمانهن اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم أو مماليكهن فانه لا بأس عليها أن تظهر لهم من زينتها ما تظهره لهؤلاء ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار عن مخلد التميمي أنه قال في قوله أو ما ملكت أيمانهن قال في القراءة الاولى أيمانكم * وقال آخرون بل معنى ذلك أو ما ملكت أيمانهن من اماء المشركين كما قد ذكرنا عن ابن جريج قبل من أنه لما قال أو نسائهن عنى بهن النساء المسلمات دون المشركات ثم قال أو ما ملكت أيمانهن من الاماء المشركات ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ يقول تعالى ذكره والذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم ممن لا أرب له في النساء من الرجال ولا حاجة به اليهن ولا يريدهن * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال قال كان الرجل يتبع الرجل في الزمان الاول لا يغار عليه ولا ترهب المرأة أن تضع خمارها عنده وهو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال فهذا الرجل يتبع القوم وهو مغفل في عقله لا يكترث للنساء ولا يشتهيهن فالزينة التي تبديها لهؤلاء قرطاها وقلادتها وسوارها وأما خلخالاها ومعضداها ونحرها وشعرها فانها لا تبديه الا لزوجها حدثنا

الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أو التابعين قال هو التابع يتبعك يصيب من طعامك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسمعيل بن علية عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال قال الذى يريد الطعام ولا يريد النساء * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال الذين لا يهمهم الا بطونهم ولا يخافون على النساء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا اسمعيل بن موسى السدى قال ثنا شريك عن منصور عن مجاهد فى قوله غير أولى الاربة قال الأبله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قوله غير أولى الاربة قال هو الأبله الذى لا يعرف شيأ من النساء حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله غير أولى الاربة من الرجال الذى لا أرب له بالنساء مثل فلان حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عمن حدثه عن ابن عباس غير أولى الاربة قال هو الذى لا تستحى منه النساء حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى غير أولى الاربة قال من تبع الرجل وحشمه الذى لم يبلغ أربه أن يطلع على عورة النساء حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن المغيرة عن الشعبى غير أولى الاربة قال الذى لا أرب له فى النساء * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال المعتوه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى فى قوله أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال قال هو الأحمق الذى لا همة له بالنساء ولا أرب * وبه عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه فى قوله غير أولى الاربة من الرجال يقول الاحمق الذى ليست له همة فى النساء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الذى لا حاجة له فى النساء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال قال هو الذى يتبع القوم حتى كأنه كان منهم ونشأ فيهم وليس يتبعهم لاربة نسائهم وليس له فى نسائهم اربة وانما يتبعهم لارفاقهم اياه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت كان رجل يدخل على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مخنث فكانوا يعدونه من غير أولى الاربة فدخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال انها اذا أقبلت أقبلت بأربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن هذا عليكم فحجبوه حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى قال ثنا حفص بن عمر العدنى قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة فى قوله أو التابعين غير أولى الاربة قال هو المخنث الذى لا يقوم زبه واختلف القراء فى قوله غير أولى الاربة فقرأ ذلك بعض أهل الشام وبعض

أهل

كمصباح فى مشكاة والصحيح أنه لا حاجة اليه لان هذا تشبيه مركب ولهذا قال جار الله أراد صفة نوره العجيبة الشأن فى الاضاءة كصفة مشكاة ومنها كون المصباح فى زجاجة صافية فان تعاكس الانوار من جوانب الزجاجة يزيد المصباح نورا ومنها كون المصباح متقدا بدهن الزيت فليس فى الأدهان ما يدانيه فى اللمعان والتطويس ومنها كون الزيت من شجرة بارزة للشمس فان ذلك يدل على كمال نضج الثمرة ونهاية صفاء دهنها وأما الامام الغزالى رضى الله عنه فانه يقول المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت عبارة عن المراتب الخمس الانسانية فأولها القوة الحساسة التى هى أصل الروح الحيوانى وتوجد للصبى بل لكل حيوان وأوفق مثال لها من عالم الاجسام المشكاة لان تلك القوى تخرج من عدة ثقب كالعينين والاذنين والمنخرين والفم وثانيها القوة الخيالية التى تحفظ ما يورده الحواس مخزونا عندها لتعرضه على القوة العقلية التى فوقها عند الحاجة اليه وأنت لا تجد شيأ فى عالم الاجسام يشبه الخيال سوى الزجاجة فانها فى الاصل جوهر كثيف ولكن صفى ورقق حتى صار بحيث لا يحجب نور المصباح بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة كذلك الخيال من طينة العالم السفلى الكثيف بدليل أن الشئ المتخيل ذو قدر وشكل وحد ولكنه اذا صفى وهذب صار موازيا للمعانى العقلية ومؤديا لأنوارها ولذلك يستدل المعبر بالصور الخيالية على المعانى كما يستدل بالشمس على الملك وبالقمر على الوزير وعن يختم فروج الناس وأفواههم على أنه مؤذن يؤذن فى رمضان قبل الصبح وثالثها القوة العقلية القوية على ادراك الماهيات الكلية والمعارف اليقينية ولا يخفى وجه تمثيله بالمصباح كما مر فى تسمية النبى سراجا وحين كان الحس كالمقدمة للخيال وهى كالمقدمة للعقل قيل ان المشكاة كالظرف للزجاجة التى هى كالظرف للمصباح ورابعها القوة الفكرية القوية على التقسيمات والاستنتاجات فمثلها مثال الشجرة المثمرة واذا كانت ثمرتها مادة ازديادا أنوار المعارف فبالحرى أن لا تشبه الا بشجرة الزيتون لان لب ثمرتها هو الزيت الذى هو

أهـل المدينة والكوفة غير أولى الاربة بنصب غير ولنصب غـيرههنا وجهان أحدهما على القطع من التابعـين لان التابعين معرفة وغـير نكرة والآخر على الاسـتثناء وتوجيه غـير الى معنى الا فكأنه قيـل الا وقرأ غير من ذكرت بخفض غـير على أنها نعت للتابعين وجاز نعت التابعين بغير والتابعون معرفة وغير نكرة لان التابعين معرفة غير مؤقتة فتأويل الكلام على هذه القراءة أو الذين هذه صفتهم والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مستفيضة القراءة بهما فى الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن الخفض فى غير أقوى فى العربية فالقراءة به أعجب الىّ والاربة الفعلة من الارب مثل الجلسـة من الجلوس والمشية من المشى وهى الحاجـة يقال لا أرب لى فيك لا حاجة لى فيك وكذا أربت لكذا وكذا اذا احتجت اليه فأنا آرب له أربا فأما الأربة بضم الالف فالعقدة وقوله أو الطفـل الذين لم يظهروا على عورات النساء يقول تعالى ذكره أو الطفـل الذين لم يكشفوا عن عورات النساء بجماعهن فيظهروا عليهن لصغرهن * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله على عورات النساء قال لم يدروا ما ثم من الصغر قبل الحلم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن يقول تعالى ذكره ولا يجعلن فى أرجلهن من الحلى ما اذا مشين أو حركنهن علم الناس الذين مشين بينهم ما يخفين من ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم حضرمى أن امرأة اتخذت (١) مرسين من فضة واتخذت جزعا فمرت على قوم فضربت برجلها فوقع الخلخال على الجزع فصوّت فأنزل الله ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال كان فى أرجلهن خرز فكن اذا مررن بالمجالس حركن أرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولا يضربن بأرجلهـن فهو أن تقرع الخلخال بالآخر عنـد الرجال ويكون فى رجلها خلاخل فتحركهن عنـد الرجال فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك لانه من عمل الشيطان **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال هو الخلخال لا تضرب امرأة برجلها ليسمع صوت خلخالها **حدثنى** يونس قال أخـبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا يضربن بأرجلهن ليعـلم ما يخفين من زينتهن قال الاجراس من حليهن يجعلنها فى أرجلهن فى مكان الخلاخل فنهاهن الله أن يضربن بأرجلهن لتسمع تلك الاجراس وقوله وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون يقول تعالى ذكره وارجعوا أيها المؤمنون الى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم من غض البصر وحفظ الفرج وترك دخول بيوت غير بيوتكم من غير استئذان ولا تسليم وغير ذلك من أمره ونهيه لعلكم تفلحون يقول

(١) كذا بدون نقط ولعله برتين والبرة الخلخال ولم نعثر عليه فى غير هذا الموضع فحرره

مادة المصباح وله من سائر الادهان خاصية زيادة الاشراق وقلة الدخان واذا كانت الماشية تسمى مباركة لكثرة درها ونسلها فالذى لا تتناهى ثمرته الى حد محدود أولى أن يسمى مباركا واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة مجردة عن لواحق الاجسام ناسب أن يقال لها لا شرقيـة ولا غربية وخامسها القوة القدسية النبوية التى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه (٩٧) نار نور على نور وأما الشيخ الرئيس أبو على بن سينا فانه نزل الامثلة الخمسة على مراتب ادراكات النفس الانسانيـة المشـهورة فالمشكاة هى العقل الهيولانى وهو الاستعداد المحض والزجاجة هى العقل بالملكة وهى قـوة النفس حين حصـل لها البديهيات وأمكن لها بواسطتها الترقى الى النظـريات والانتقال الى الكسبيات ثم ان كان الانتقال ضعيفا فهى الشجـرة وتسمى فكرا وان كان قويا فهى الزيت ويسمى حدسا وان كان فى النهاية القصوى سميت قوة قدسيـة وهى التى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور ثم اذا حصل لها المعارف والعلوم المكتسـبة بالفعل بحيث تقدر على ملاحظتها متى شاءت من غـير تجشم كسب جـديد فهـو المصباح ويسمى عقـلا بالفـعل وغايته أن تكون المعقولات حاضرة عندها متمثلة لها كأنها تشاهدها وهى نور على نور ويسمى عقـلا مستفادا أما الاول فلأن الملكة نور ومشاهـدة تلك الملكة نور آخر وأما الثانى فـلأن ذلك غاية الاستفادة ونهاية التحصيل وزعم الشيخ أبو على أن المخـرج من العقل الهيولانى الى الملكة ثم منها الى العـقل التام هو العـقل الفعال مدبر ما تحت كرة القمر عند الحكماء وعبر عنـه فى الآية بالنار وعن مقاتل أنه قال مثل نوره أى مثـل نور الايمان فى قلب محمد كمشكاة فيها مصباح فالمشكاة نظـير صلب عبد الله والزجاجة نظير جسد محمد والشجرة النبوة والرسالة وقيل المشكاة نظير ابراهيم عليه السـلام والزجاجة نظير اسمعيل والمصباح نظير جسد محمد وعن أبىّ بن كعب أنه قرأ مثل نور من آمن به ورأيت فى كتب الشيعة عن على رضى الله عنه مرفوعا القمر وجهان يضىء بهما أهل السموات والارضين وعلى الوجهين مكتوب أتدرون ما كتابته

لتفلحوا وتدركوا طلباتكم لديه اذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ يقول تعالى ذكره وزوجوا أيها المؤمنون من لازوج له من أحرار رجالكم ونسائكم ومن أهل الصلاح من عبيدكم ومماليككم والايامى جمع أيم وانما جمع الأيم أيامى لانها فعيلة فى المعنى فجمعت كذلك كما جمعت اليتيمة يتامى ومنه قول جميل

أحب الأيامى اذ بثينة أيم * وأحببت لما أن غنيت الغوانيا

ولو جمعت أيايم كان صوابا والأيم يوصف به الذكر والأنثى يقال رجل أيم وامرأة أيم وأيمة اذا لم يكن لها زوج ومنه قول الشاعر

فان تنكحى أنكح وان تتأيمى * وان كنت أفتى منكم أتأيم

ان يكونوا فقراء يقول ان يكن هؤلاء الذين تنكحونهم من أيامى رجالكم ونسائكم وعبيدكم وامائكم أهل فاقة وفقر فان الله يغنيهم من فضله فلا يمنعنكم فقرهم من انكاحهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم قال أمر الله سبحانه بالنكاح ورغبهم فيه وأمرهم أن يزوجوا أحرارهم وعبيدهم ووعدهم فى ذلك الغنى فقال ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله حدثنا أبو كريب قال ثنا حسن أبو الحسن وكان اسمعيل بن صبيح مولى هذا قال سمعت القاسم بن الوليد عن عبد الله بن مسعود قال التمسوا الغنى فى النكاح يقول الله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأنكحوا الايامى منكم قال أيامى النساء اللاتى ليس لهن أزواج وقوله والله واسع عليم يقول جل ثناؤه والله واسع الفضل جواد بعطاياه فزوجوا اماءكم فان الله واسع يوسع عليهم من فضله ان كانوا فقراء عليم يقول هو ذو علم بالفقير منهم والغنى لا يخفى عليه حال خلقه فى شئ وتدبيرهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم﴾ يقول تعالى ذكره وليستعفف الذين لا يجدون ما ينكحون به النساء عن اتيان ما حرم الله عليهم من الفواحش حتى يغنيهم الله من سعة فضله ويوسع عليهم من رزقه وقوله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم يقول جل ثناؤه والذين يلتمسون المكاتبة منكم من مماليككم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا واختلف أهل العلم فى وجه مكاتبة الرجل عبده الذى قد علم فيه خيرا وهل قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا على وجه الفرض أم هو على وجه الندب فقال بعضهم فرض على الرجل أن يكاتب عبده الذى قد علم فيه خيرا اذا سأله العبد ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء أواجب على اذا علمت مالا أن أكاتبه قال ما أراه الا واجبا وقالها عمرو بن دينار قال قلت لعطاء أتأثره عن أحد قال لا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن بكر قال ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن سيرين أراد أن يكاتبه فتلكأ عليه فقال له عمر لتكاتبنه حدثنى محمد بن

فقالوا الله ورسوله أعلم فقال على وجه السموات الله نور السموات والارض وعلى وجه الارض محمد وعلى نور الارضين وقيل المشكاة صدر محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح ما فى قلبه من الدين والشجرة ابراهيم عليه السلام ويوقد من شجرة كقوله ملة ابيكم ابراهيم ومعنى لا شرقية ولا غربية أن ابراهيم لم يكن يصلى قبل المشرق كالنصارى ولا قبل المغرب كاليهود بل كان يصلى قبل الكعبة وهى ما بين المشرق والمغرب ومعنى يكاد زيتها يضىء أن نور محمد يكاد يتبين للناس قبل أن يتكلم قاله كعب وقال الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحى ومن هنا قال عبد الله بن رواحة

لو لم يكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تنبيك بالخبر

وقال يحيى بن سلام قلب المؤمن نورى يعرف الحق قبل أن يتبين لموافقته له وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقيل يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم به واهذا ازداد نورا على نور قال أبى بن كعب المؤمن بين أربع خلال ان أعطى شكر وان ابتلى صبر وان قال صدق وان حكم عدل فهو فى سائر الناس كالرجل الحى الذى يمشى بين أموات يتقلب فى خمس من النور كلامه نور وعلمه نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة قال الربيع سألت أبا العالية عن مدخله ومخرجه فقال سره وعلانيته قالت الاشاعرة فى قوله يهدى الله لنوره من يشاء اشارة الى أن هذه الدلائل مع وضوحها لا تكفى ولا تنفع ما لم يخلق الله الايمان فيه وقالت المعتزلة أراد يهدى الله لطريق الجنة أو أراد بقوله من يشاء الذين بلغهم حد التكليف والهدى محمول على زيادات الالطاف التى هى ضد الخذلان ولهذا قال فى الكشاف معناه يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين الانصاف وجانب المراء والاعتساف ولم يكن كالاعمى الذى يستوى عنده جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وأكدوا ذلك بقوله ويضرب الله الامثال للناس يعنى النبى والمكلفين من أمته قالوا انما ذكره فى معرض الانعام ولو كان الكل بخلق الله تعالى لما تمكنوا من الانتفاع بالمثل فلا يكون نعمة ثم زاد فى التأكيد بقوله والله بكل شئ

علیم ففیه تحذیر لمن لا یتفکر ولا یعتبر ولا یستدل ولا ینظر قوله (فی بیوت) اعترض أبو مسلم علی قول من قال انه یتعلق بکمشکاة أو بتوقد لان کون المشکاة فی بعض بیوت الله لا تزید المصباح انارة واضاءة وأیضا الموصوف واحد فلا یکون الا فی مکان واحد وقوله فی بیوت أمکنة متعددة ولا یصح أن یکون شیٔ واحد فی أمکنة متعددة فی حالة واحدة وکذا الوجعل فی بیوت صفة مصباح أو زجاجة أو کوکب وأجیب بأن هذه صفة موضحة لا ممیزة وذلک أن المشکاة تکون غالبا فی بیوت العبادة أو المشکاة التی فیها مصباح اذا کانت فی مثل هذه البیوت الرفیعة کانت أعظم وأکثر ضخامة فیکون فی باب التمثیل أدخل وعن الثانی أنه أرید بالمشکاة النوع لا الواحد کما لو قیل الذی یصلح لخدمتی رجل یرجع الی علم وکفایة وقناعة یلتزم بیته فانه یراد به النوع لا الواحد وذهب أبو مسلم الی أنه راجع الی قوله ومثلا من الذین خلوا أی الانبیاء والمؤمنین الذین مضوا وکانوا ملازمین لبیوت العبادة واعترض علیه بتفکک النظم اذ ذاک وبأن الذین خلوا هم المکذبون والأکثرون علی أن البیوت هی المساجد والاذن الامر والرفع التعظیم أو البناء وعن عکرمة هی البیوت کلها ومعنی الرفع البناء وذکر اسم الله عام فی کل ذکر وعن ابن عباس أن یتلی فیها کتابه وقیل لا یتکلم فیها بما لا ینبغی والتسبیح تنزیه الله عما لا یلیق به وقیل الصلوات الخمس وقیل صلاتا الصبح والعصر وکانتا واجبتین فقط فی أول الاسلام فزید فیهما وعن ابن عباس ان صلاة الضحی لفی کتاب الله وتلا هذه الآیة والاولی العموم قیل خص الرجال بالذکر لانهم من أهل الجماعات دون النساء ویحتمل أن یقال لانهم أصل والنساء تبع واختلفوا فی (لا تلهیهم تجارة) فقیل نفی الالهاء لانه لا تجارة ولا بیع کقوله ✽ ولا تری الضب فیها ینجحر ✽ وقیل أثبت التجارة والبیع وبین أنهم مع ذلک لا یشغلهم شیٔ عن ذکر الله وهذا قول الاکثرین وعن الحسن أما والله ان کانوا لیتجرون ولکن اذا جاءت فرائض الله لم یلههم عنها شیٔ وما الفرق بین التجارة والبیع قیل الأول عام لان صناعة التاجر قد یقع فیها البیع وقد یقع فیها الشراء وخص البیع لأن الربح فیه یقین

سعد قال ثنی أبی قال ثنی عمی قال ثنی أبی عن أبیه عن ابن عباس قال لا ینبغی لرجل اذا کان عنده المملوک الصالح الذی له المال یرید أن یکاتب أن لا یکاتبه ✽ وقال آخرون ذلک غیر واجب علی السید وانما قوله فکاتبوهم ندب من الله سادة العبید الی کتابة من علم فیه منهم خیر لا ایجاب ذکر من قال ذلک **حدثنی** یونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال مالک بن أنس الامر عندنا أن لیس علی سید العبد أن یکاتبه اذا سأله ذلک ولم أسمع بأحد من الائمة أکره أحدا علی أن یکاتب عبده وقد سمعت بعض أهل العلم اذا سئل عن ذلک فقیل له ان الله تبارک وتعالی یقول فی کتابه فکاتبوهم ان علمتم فیهم خیرا یتلو هاتین الآیتین فاذا حللتم فاصطادوا فاذا قضیت الصلاة فانتشروا فی الارض وابتغوا من فضل الله قال مالک فانما ذلک أمر أذن الله فیه للناس ولیس بواجب علی الناس ولا یلزم أحدا وقال الثوری اذا أراد العبد من سیده أن یکاتبه فان شاء السید أن یکاتبه کاتبه ولا یجبر السید علی ذلک **حدثنی** بذلک علی عن زید عنه **وحدثنی** یونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زید فی قوله فکاتبوهم ان علمتم فیهم خیرا قال لیس بواجب علیه أن یکاتبه انما هذا أمر أذن الله فیه ودلیل وأولی القولین فی ذلک عندی بالصواب قول من قال واجب علی سید العبد أن یکاتبه اذا علم فیه خیرا وسأله العبد الکتابة وذلک أن ظاهر قوله فکاتبوهم ظاهر أمر وأمر الله فرض الانتهاء الیه ما لم یکن دلیل من کتاب أو سنة علی أنه ندب لما قد بینا من العلة فی کتابنا المسمی البیان عن أصول الاحکام وأما الخیر الذی أمر الله تعالی ذکره عباده بکتابة عبیدهم اذا علموه فیهم فهو القدرة علی الاحتراف والکسب لاداء ما کوتبوا علیه ذکر من قال ذلک **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفیان عن عبد الکریم الجزری عن نافع عن ابن عمر أنه کره أن یکاتب مملوکه اذا لم تکن له حرفة قال تطعمنی أوساخ الناس **حدثنی** علی قال ثنا عبد الله قال ثنی معاویة عن علی عن ابن عباس قوله فکاتبوهم ان علمتم فیهم خیرا یقول ان علمتم لهم حیلة ولا تلقوا مؤنتهم علی المسلمین **حدثنی** یونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا أشهب قال سئل مالک بن أنس عن قوله فکاتبوهم ان علمتم فیهم خیرا فقال انه لیقال الخیر القوة علی الاداء **حدثنی** یونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنی ابن زید عن أبیه قول الله فکاتبوهم ان علمتم فیهم خیرا قال الخیر القوة علی ذلک ✽ وقال آخرون بل معنی ذلک ان علمتم فیهم صدقا ووفاء وأداء ذکر من قال ذلک **حدثنی** یعقوب قال ثنا ابن علیة قال أخبرنا یونس عن الحسن فی قوله فکاتبوهم ان علمتم فیهم خیرا قال صدقا ووفاء وأداء وأمانة ✽ قال ثنا ابن علیة قال ثنا عبد الله عن ابن أبی نجیح عن مجاهد وطاوس أنهما قالا فی قوله فکاتبوهم ان علمتم فیهم خیرا قالا مالا وأمانة **حدثنا** أبو کریب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا اسمعیل بن أبی خالد عن أبی صالح فکاتبوهم ان علمتم فیهم خیرا قال أداء وأمانة **حدثنا** محمد بن المثنی قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن المغیرة قال کان ابراهیم یقول فی هذه الآیة فکاتبوهم ان علمتم فیهم خیرا قال صدقا ووفاء أو أحدهما **حدثنا** أبو بکر قال ثنا ابن ادریس قال سمعت عبد الملک بن أبی سلیمن عن عطاء فی قوله فکاتبوهم

ان علمتم فيهم خيرا قال أداء ومالا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال قال عمرو بن دينار أحسبه كل ذلك المال والصلاح حدثني علي بن سهل قال ثنا زيد قال ثنا سفيان ان علمتم فيهم خيرا يعني صدقا ووفاء وأمانة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان علمتم فيهم خيرا قال ان علمت فيه خير النفسك يؤدي اليك ويصدقك ما حدثك فكاتبه * وقال آخرون بل معنى ذلك ان علمتم لهم مالا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا يقول ان علمتم لهم مالا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ان علمتم فيهم خيرا قال مالا حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال مالا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان علمتم فيهم خيرا قال لهم مالا فكاتبوهم حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال ان علمتم لهم مالا كائنة أخلاقهم وأديانهم ما كانت حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن زاذان عن عطاء بن أبي رباح فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال مالا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن مجاهد قال ان علمتم عندهم مالا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني محمد بن عمرو اليافعي عن ابن جريج أن عطاء بن أبي رباح كان يقول ما نراه الا المال يعني قوله ان علمتم فيهم خيرا قال ثم تلا كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا * وأولى هذه الأقوال في معنى ذلك عندي قول من قال معناه فكاتبوهم ان علمتم فيهم قوة على الاحتراف والاكتساب ووفاء بما أوجب على نفسه وألزمها وصدق لهجة وذلك أن هذه المعاني هي الاسباب التي بمولى العبد الحاجة اليها اذا كاتب عبده مما يكون في العبد فأما المال وان كان من الخير فانه لا يكون في العبد وانما يكون عنده أو له لا فيه والله انما أوجب علينا مكاتبة العبد اذا علمنا فيه خيرا لا اذا علمنا عنده أو له فلذلك لم نقل ان الخير في هذا الموضع معني به المال وقوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم يقول تعالى ذكره وأعطوهم من مال الله الذي أعطاكم ثم اختلف أهل التأويل في المأمور باعطائه من مال الله الذي أعطاه من هو وفي المال أي الاموال هو فقال بعضهم الذي أمر الله باعطاء المكاتب من مال الله هو مولى العبد المكاتب ومال الله الذي أمر باعطائه منه هو مال الكتابة والقدر الذي أمر أن يعطيه منه الربع * وقال آخرون بل ما شاء من ذلك المولى ذكر من قال ذلك حدثني عمرو بن علي قال ثنا عمران بن عيينة قال ثنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي في قول الله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال ربع المكاتبة حدثنا الحسن بن عرفة

وفي الشراء ظنون فالبيع أدخل في الالهاء وقيل أراد بالتجارة الشراء اطلاقا لاسم الجنس على النوع وقال الفراء التجارة لأهل الجلب يقال تجر فلان في كذا اذا جلبه من غير بلده وذكر الله دعاؤه والثناء عليه بما هو أهله وقيل هو الصلاة ومن هنا قال ابن عباس أراد باقام الصلاة اتمامها لمواقيتها وبايتاء الزكاة طاعة الله (١٠٠) والاخلاص له والتاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فأسقطت ثم حكى أن هؤلاء الرجال مع ما ذكر من الطاعة والاخلاص موصوفون بالوجل والخوف من أهوال يوم القيامة وتقلب القلوب اضطرابها من الهول والفزع وتقلب الابصار شخوصها أو المراد تقلب أحوالهما فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها وتدرك الابصار بعد أن كانت عمياء عن النظر والاعتبار وكأنهم انقلبوا من الشك والغفلة الى اليقين والمعاينة وقال الضحاك ان القلوب تزول عن أماكنها فتبلغ الحناجر والابصار تصير زرقا وقال الجبائي يحتمل أن يراد تقلبها على جمر جهنم أو تغير ماهياتها بسبب ما ينالها من العذاب فتكون مرة بهيئة ما أنضج بالنار ومرة بهيئة ما أحرق وقيل ان القلوب تتقلب في ذلك اليوم من طمع النجاة الى الخوف من الهلاك والابصار تتقلب من أي ناحية يؤخذ بهم أمن ناحية اليمين أم من ناحية الشمال ومن أي جهة يعطون كتابهم أمن قبل الايمان أم من قبل الشمائل قوله (ليجزيهم) متعلق بما قبله لفظا أو معنى أي يسبحون ويخافون أو يفعلون هذه القربات ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم وهو الواحد بعشر الى سبعمائة أو أكثر وقيل أراد بالاحسن الحسنات أجمع وهي الطاعات فرضها ونفلها قال مقاتل انما ذكر الاحسن تنبيها على أنه لا يجازيهم على مساوي أعمالهم بل يغفرها لهم وقال القاضي أراد بذلك أن تكون الطاعات منهم مكفرة لمعاصيهم فيصح أن الله تعالى يجزيهم بأحسن الاعمال وهذا مبني على مذهبه في الاحباط والموازنة ومعنى (ويزيدهم من فضله) كقوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقوله (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قد مر تفسيره في البقرة وحين بين

حال المؤمن أنه يكون فى الدنيا فى النور وبسببه يكون متمسكا بالعمل الصالح وفى الآخرة يفوز بالنعيم المقيم والثواب العظيم أتبعه ببيان أن الكافر يكون فى الدنيا فى أنواع الظلمات وفى الآخرة فى أصناف الحسرات وضرب لكل من حاليه مثلا أما المثل الدال على خيبته فى الآخرة فذلك قوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) قال الأزهرى هو ما يتراءى (١٠١) للعين وقت الضحى الاكبر فى الفلوات شبيها بالماء الجارى كأنه يسرب على وجه الارض أى يذهب وأما الآل فهو ما يتراءى فى أول النهار وظاهر كلام الخليل أنه لم يفرق بينهما والقيعة بمعنى القاع وهو المستوى من الارض وقال الفراء هى جمع قاع كجيرة فى جار والظمآن الشديد العطش ووجه التشبيه أن الكافر يأتى ببعض أعمال البر ويعتقد ثوابا عليه فاذا وافى عرصة القيامة ولم يجد الثواب بل وجد العقاب عظمت حسرته وتناهى غمه وحيرته فيشبه حاله حال الظمآن الذى تشتد حاجته الى ما يحييه ويبقيه واذا شاهد السراب تعلق قلبه به رجاء للحياة فاذا جاءه ولم يجد شيأ عظم غمه وطال حزنه قال مجاهد السراب عمل الكافر واتيانه اياه موته وفراقه الدنيا وههنا سؤال وهو أنه كيف قال جاءه فأثبت أنه شئ لان العدم لا يتصوّر المجئ اليه ثم قال لم يجده شيأ فنفى كونه شيأ والجواب أراد شيأ نافعا كما يقال فلان ما عمل شيأ وان كان قد اجتهد أو المراد جاء موضع السراب فلم يجد هنالك شيأ أو أراد أنه تخيل أوّلا ضبابا وهباء شبه الماء وذلك باعانة من شعاع الشمس فاذا قرب منه رق وانتثر وصار هواء وهذا قول الحكماء قوله (ووجد الله) أى وجد عقاب الله أو زبانية الله يأخذونه فيصلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق خلاف ما يتصوّر من الراحة والنعيم قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد ولبس المسوح والتمس الدين فى الجاهلية ثم كفر فى الاسلام وأما المثل الآخر فهو قوله (أو كظلمات) وقد يقال معنى أو أنه شبه أعمالهم الحسنة بالسراب والقبيحة بالظلمات أو الاول لاعمالهم الظاهرة والثانى لعقائدهم الفاسدة واللجىّ العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر والظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب

قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على فى قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال ربع الكتابة يحطها عنه **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ليث عن عبد الاعلى عن أبى عبد الرحمن عن على رضى الله عنه فى قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال الربع من أوّل نجومه ✻ قال أخبرنا ابن علية قال عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على فى قوله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال الربع من مكاتبته **حدثنا** محمد بن اسمعيل الاحمسى قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنى عبد الملك بن أبى سليمن عن عبد الملك بن أعين قال كاتب أبو عبد الرحمن غلاما فى أربعة آلاف درهم ثم وضع له الربع ثم قال لولا أنى رأيت عليا رضوان الله عليه كاتب غلاما له ثم وضع له الربع ما وضعت لك شيأ **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الأعلى عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه كاتب غلاما له على ألف ومائتين فترك الربع وأشهدنى فقال لى كان صديقك يفعل هذا يعنى عليا رضوان الله عليه يتأوّل وآتوهم من مال الله الذى آتاكم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الملك قال ثنى فضالة بن أبى أمية عن أبيه قال كاتبنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستقرض لى من حفصة مائتى درهم قلت ألا تجعلها فى مكاتبتى قال انى لا أدرى أدرك ذلك أم لا ✻ قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان بلغنى أنه كاتبه على مائة أوقية ✻ قال ثنا سفيان عن عبد الملك قال ذكرت ذلك لعكرمة فقال هو قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم يقول ضعوا عنهم من مكاتبتهم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وآتوهم من مال الله الذى آتاكم يقول ضعوا عنهم مما قاطعتموهم عليه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبد الملك بن أبى سليمن عن عطاء فى قوله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال مما أخرج الله لكم منهم **حدثنى** أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال آتهم مما فى يديك **حدثنى** الحسين بن عمرو العنقزى قال ثنى أبى عن أسباط عن السدى عن أبيه قال كاتبتنى زينب بنت قيس بن مخرمة من بنى المطلب بن عبد مناف على عشرة آلاف فتركت لى ألفا وكانت زينب قد صلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا **حدثنا** مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا أبو مسعود الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد مولى أبى أسيد قال كاتبنى أبو أسيد على ثنتى عشرة مائة فجئته بها فأخذ منها ألفا وردّ علىّ مائتين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عنبسة عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيأ من أوّل نجومه مخافة أن يعجز فترجع اليه صدقته ولكنه اذا كان فى آخر مكاتبته وضع عنه ما أحب **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى مخرمة عن أبيه عن نافع قال كاتب عبد الله بن عمر غلاما له يقال له شرف على خمسة وثلاثين ألف درهم

وكذا الكافر له ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل قاله الحسن وعن ابن عباس قلبه وبصره وسمعه وقيل قلب مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم والظاهر أن الجمع للتكثير وأن أنواع الضلالات والأباطيل اجتمعت فيه والضمير في أخرج للواقع في الظلمات يدل عليه قرينة الحال ومعنى لم يكد يراها لم يقرب أن يراها ونفي القرب من الرؤية أبلغ من نفي الرؤية نفسها وقدم هذا البحث في



البقرة في قوله وما كادوا يفعلون قالت الاشاعرة في قوله (ومن لم يجعل الله له نورا) دلالة على أن الهداية بتخليق الله تعالى وبجعله وحمله المعتزلة على منح الألطاف وقدم أمثال ذلك مرارا ولما وصف أنوار المؤمنين وظلمات الكافرين صرح بدلائل التوحيد فقال مستفهما على سبيل التقرير (ألم تر أن الله يسبح له) وقدم مثله في سورة سبحان والخطاب لكل من له أهلية النظر أو للرسول وقد علمه من جهة الاستدلال ومعنى (صافات) أنهن يصففن أجنحتهن في الهواء والضمير في علم لكل أو لله عز وجل وعلى الاول فالضمير في صلاته وتسبيحه اما للكل أو لله والمعنى كل مسبح قد علم صلاته التي تليق بحاله أو صلاة الله التي كلفه اياها وعلى الثاني فالضمير فيهما للكل والصلاة بمعنى الدعاء ولا يبعد أن يلهمهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها والاستقصاء في حكاياتهن مذكور في خواص الحيوانات ولاسيما في كتاب عجائب المخلوقات ثم بين أن المبدأ منه والمعاد اليه فقال (ولله ملك السموات) الآية ثم ذكر دليلا آخر من الآثار العلوية قائلا (ألم تر أن الله يزجي سحابا) أي يسوقه بالرياح (ثم يؤلف بينه) أي بين أجزائه أي يجمع قطع السحاب فيجعلها سحابا واحدا متراكما سادا للافق (فترى الودق) المطر أو القطر (يخرج من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل قوله (من السماء على من جبال فيها من برد) الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض على أن قوله من جبال مفعول ينزل والثالثة للبيان أو الاوليان للبيان والثالثة للتبعيض ومعناه أنه ينزل بعض البرد من السماء من جبال فيها وقدم في أول البقرة في قوله أو كصيب من السماء معنى البرد وأنه بخار يجمد

فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف ولم يذكر نافع أنه أعطاه شيأ غير الذي وضع له * قال أخبرنا ابن وهب قال قال مالك سمعت بعض أهل العلم يقول ان ذلك أن يكاتب الرجل غلامه ثم يضع عنه من آخر كتابته شيأ مسمى قال مالك وذلك أحسن ما سمعت وعلى ذلك أهل العلم وعمل الناس عندنا حدثني علي قال ثنا زيد قال ثنا سفيان أحب الي أن يعطيه الربع أو أقل منه شيأ وليس بواجب وان يفعل ذلك حسن حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عبد الله ابن حبيب أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال هو ربع المكاتبة * وقال آخرون بل ذلك حض من الله أهل الاموال على أن يعطوهم سهمهم الذي جعله لهم من الصدقات المفروضة لهم في أموالهم بقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب قال فالرقاب التي جعل فيها أحد سهمان الصدقة الثمانية هم المكاتبون قال واياه عني جل ثناؤه بقوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم أي سهمهم من الصدقة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثني يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن ابن زيد عن أبيه قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال يحث الله عليه يعطونه حدثني يعقوب قال ثني ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال حث الناس عليه مولاه وغيره حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن حماد عن ابراهيم في قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال يعطي مكاتبه وغيره حث الناس عليه حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم أنه قال في قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال أمر مولاه والناس جميعا أن يعينوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد قال ثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال أمر المسلمين أن يعطوهم مما آتاهم الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني ابن زيد عن أبيه وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال ذلك في الزكاة على الولاة يعطونهم من الزكاة يقول الله وفي الرقاب * قال ثني ابن زيد عن أبيه وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال التي عوا الصدقات وقرأ قول الله انما الصدقات للفقراء والمساكين وقرأ حتى بلغ وفي الرقاب فأمر الله أن يوفوهم منه فليس ذلك من الكتابة قال وكان أبي يقول ماله وللكتابة هو من مال الله الذي فرض له فيه نصيبا * وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي القول الثاني وهو قول من قال عني به ايتاءهم سهمهم من الصدقة المفروضة وانما قلنا ذلك أولى القولين لان قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم أمر من الله تعالى ذكره بايتاء المكاتبين من ماله الذي آتى أهل الاموال وأمر الله فرض على عباده الانتهاء اليه مالم يخبرهم أن مراده الندب لما قد بينا في غير موضع من كتابنا فاذ كان ذلك كذلك ولم يكن أخبرنا في كتابه ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنه ندب ففرض واجب واذ كان ذلك كذلك وكانت الحجة قد قامت أن لا حق لأحد في مال أحد غيره من المسلمين الا ما أوجبه الله لأهل سهمان الصدقة في أموال الاغنياء منهم وكانت الكتابة التي يقتضيها سيد المكاتب من مكاتبه مالا من مال سيد المكاتب فبفساد أن الحق الذي أوجب الله على المؤمنين أن يؤتوه من أموالهم هو ما فرض

بعدما استحال قطرات ماء قال عامة المفسرين ان فى السماء جبالا من برد خلقها الله فيها كما خلق فى الارض جبالا من حجر وقال أهل المعنى السماء ههنا هو الغيم المرتفع على رؤس الناس والمراد بالجبال الكثرة كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب ثم بين بقوله (فيصيب به) الى آخر الآية أنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها كيف يشاء أويهلك بالبرد من يشاء (١٠٣) أن يعذبه به ويعصم منه من يشاء أن يعصمه

ويريهم ضياء البرق فى السحاب بحيث يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما فى الطول والقصر وفى كل ذلك معتبر لذوى الابصار والذين يترقون من المصنوع الى الصانع ويستدلون بالمحسوس على الغائب منتقلين من ظلمة التقليد الى نور البرهان ثم ذكر دليلا ثالثا من عجائب خلق الحيوان فقال (والله خلق كل دابة من ماء) قال علماء المعانى التنكير فى ماء للتنويع أى خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو خلق الكل من ماء مخصوص وهو النطفة وعلى التقديرين الوحدة نوعية الا أن شموله على التقدير الثانى أكثر وانما عرف فى قوله وجعلنا من الماء كل شئ حى لانه قصد هنالك معنى آخر وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذى هو جنس الماء وعن القفال أن قوله من ماء صفة دابة لا صلة خلق والمعنى أن كل دابة متولدة من ماء فهى مخلوقة لله تعالى واحترز بها عن الاعتراض الذى ذكرناه فى سورة الانبياء وهو أن بعض الاحياء لم يخلقهم الله من الماء وقيل نزل الغالب منزلة الكل أو أراد بالدابة من يدب على وجه الارض ومسكنهم هنالك وكل منها اما متولد من النطفة واما بحيث لا يعيش الا بالماء ثم بين أن أصلهم وان كان واحدا الا أن

خلقتهم مختلفة (فمنهم من يمشى على بطنه) وقدم هذا القسم لغرابته ومنهم كذا ومنهم كذا وفى ضمير العقلاء واطلاق لفظة من تغليب للعقلاء وسمى الزحف على البطن مشيا على سبيل المشاكلة أو الاستعارة نظيره قوله فلان لا يمشى له أمر وقد يوجد من الدواب ذوات أرجل أزيد من أربع كالعناكب والعقارب والرتيلاوات بل مثل الحيوان الذى له أربع وأربعون رجلا المسمى دخال الاذن وانما لم يذكرها سبحانه

على الاغنياء فى أموالهم له من الصدقة المفروضة اذ كان لا حق فى أموالهم لاحد سواها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره زوجوا الصالحين من عبادكم وامائكم ولا تكرهوا اماءكم على البغاء وهو الزنا ان أردن تحصنا يقول ان أردن تعففا عن الزنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا يقول لتلتمسوا باكراهكم اياهن على الزنا عرض الحياة وذلك ما تعرض لهم اليه الحاجة من رياشها وزينتها وأموالها ومن يكرههن يقول ومن يكره فتياته على البغاء فان الله من بعد اكراهه اياهن على ذلك لهن غفور رحيم ووزر ما كان من ذلك عليهم دونهن وذكر أن هذه الآية أنزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول حين أكره أمته مسيكة على الزنا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن الصباح قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول جاءت مسيكة لبعض الانصار فقالت ان سيدى يكرهنى على الزنا فنزلت فى ذلك ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال كانت جارية لعبد الله بن أبى ابن سلول يقال لها مسيكة فآجرها أو أكرهها «الطبرى شك» فأتت النبى صلى الله عليه وسلم فشكت ذلك اليه فأنزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يعنى بهن حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن الشعبى فى قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء قال رجل كانت له جارية تفجر فلما أسلمت نزلت هذه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى أبو الزبير عن جابر قال جاءت جارية لبعض الانصار فقالت ان سيدى أكرهنى على البغاء فأنزل الله فى ذلك ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء قال ابن جريج وأخبرنى عمرو بن دينار عن عكرمة قال أمة لعبد الله بن أبى أمرها فزنت فجاءت ببرد فقال لها ارجعى فازنى قالت والله لا أفعل ان يك هذا خيرا فقد استكثرت منه وان يك شرا فقد آن لى أن أدعه قال ابن جريج وقال مجاهد نحو ذلك وزاد قال البغاء الزنا والله غفور رحيم قال للمكرهات على الزنا وفيها نزلت هذه الآية حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى أن رجلا من قريش أسر يوم بدر وكان عبد الله بن أبى أسره وكان لعبد الله جارية يقال لها معاذة فكان القرشى الاسير يريدها على نفسها وكانت مسلمة فكانت تمتنع منه لاسلامها وكان ابن أبى يكرهها على ذلك ويضربها رجاء أن تحمل للقرشى فيطلب فداء ولده فقال الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا قال الزهرى ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يقول غفور لهن ما أكرهن عليه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ فان الله من بعد اكراههن لهن غفور رحيم حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء

ان أردن تحصنا يقول ولا تكرهوا اماءكم على الزنا فان فعلتم فان الله سبحانه لهن غفور رحيم واثمهن على من أكرههن حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الى آخر الآية قال كانوا في الجاهلية يكرهون اماءهم على الزنا يأخذون أجورهن فقال الله لا تكرهوهن على الزنا من أجل المنالة في الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم لهن يعني اذا أكرهن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء على الزنا قال عبد الله بن أبي ابن سلول أمر أمة له بالزنا فجاءته بدينار أو ببرد شك أبو عاصم فأعطته فقال ارجعي فازني بآخر فقالت والله ما أنا براجعة فالله غفور رحيم للمكرهات على الزنا ففي هذا أنزلت هذه الآية حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه قال في حديثه أمر أمة له بالزنا فزنت فجاءته ببرد فأعطته فلم يشك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء يقول على الزنا فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يقول غفور لهن للمكرهات على الزنا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور قال غفور رحيم لهن حين أكرهن وقسرن على ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال كانوا يأمرون ولائدهم يباغين يفعلن ذلك فيصبن فيأتينهم بكسبهن فكانت لعبد الله بن أبي ابن سلول جارية فكانت تباغي فكرهت وحلفت أن لا تفعله فأكرهها أهلها فانطلقت فباغت ببرد أخضر فأتتهم به فأنزل الله تبارك وتعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أنزلنا اليكم أيها الناس دلالات وعلامات مبينات يقول مفصلات الحق من الباطل وموضحات ذلك * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين مبينات بفتح الياء بمعنى مفصلات وأن الله فصلهن وبينهن لعباده فهن مفصلات مبينات وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة مبينات بكسر الياء بمعنى أن الآيات هن تبين الحق والصواب للناس وتهديهم الى الحق والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى وذلك أن الله اذ فصلها وبينها صارت مبينة بنفسها الحق لمن التمسه من قبلها واذا بينت ذلك لمن التمسه من قبلها فبين الله ذلك فيها فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب في قراءته الصواب وقوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم من الأمم وموعظة لمن اتقى الله فخاف عقابه وخشي عذابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة

---

لانها نادرة بالنسبة الى سائرهن ومن العقلاء من زعم أن أمثال هذه الدواب انما يعتمد وقت المشي على أربع فقط وقيل ان في قوله تعالى (يخلق الله ما يشاء) تنبيها على سائر الاقسام ولا ريب أن اختلاف الحيوانات لا يكاد ينحصر الا أنا نذكر طرفا من ذلك تذكيرا لعجائب قدرة الله في خلقه فنقول الاختلاف بين الحيوانات (٤٠١) (١) اما في جوهر العضو كالفرس له ذنب دون الانسان وان كانت أجزاء الذنب من العظم والعصب واللحم والجلد والشعر حاصلة له في غير هذا العضو كالسلحفاة فله صدف يحيط به ليس للانسان وكذا السمك فله فلوس والقنفذ له شوك وإما في كيفية العضو كاختلاف الالوان والاشكال والصلابة واللين وإما في الوضع كما أن يدي الفيل أقرب الى الصدر من يدي الفرس واما في الانفعال كما أن عين الخطاف لا تتحير في الضوء وعين الخفاش تتحير وإما في سائر الاحوال وذلك أن من الحيوانات بريا وبحريا أو بريا فقط أو بحريا فقط ومن البحري ما يعتمد في السباحة على جناحه كالسمك ومنها ما يعتمد فيها على أرجله كالضفادع وكل من البري والبحري له أماكن مختلفة من البر والبحر فمنها ماله مأوى معلوم كالروابي أو الحفر أو الشقوق أو الحجرة في البر أو كالقعر أو الشط أو الحجر أو الطين في البحر ومنها ما مأواه كيف اتفق الا أن يلد فيقيم للحضانة ومن الحيوانات طيارة فمنها ما يسبح في الهواء فقط ومنها ما يسبح على وجه الماء أيضا وكل طائر فانه يمشي على رجلين وقد يصعب عليه المشي كالخطاف الكبير الاسود وكالخفاش ومنها ما جناحه جلد أو غشاء وقد يكون عديم الرجل كضرب من الحيات بالحبشة يطير ومنها ما يختار الاجتماع كالكراكي ومنها ما يؤثر التفرد كالعقاب وكثير من الجوارح التي تنازع على الطعم ومنها ما يعايش زوجا كالقطا والانسان من الحيوان الذي لا يمكنه أن يعيش وحده ويضاهيه النحل والنمل الا أن النمل لا رئيس لها ومنها آكل لحم ومنه لاقط حب ومنها آكل عشب وزهر ومنه النحل ومن الحيوان ما هو انسي بالطبع كالانسان وما هو انسي بالمولد كالهرة والغرانيق أو بالقهر كالفهد ومنه ما لا يأنس كالنمر أو يبطئ استئناسه كالأسد ومن

---

حاصل ما يفهم مما كتب هنا ان الاختلاف في جوهر العضو له صورتان اما أن تكون أجزاؤه موجودة في الانسان أولا فالاول كذنب الفرس والثاني كصدف السلحفاة

الحيوان ما لا صوت له ومنه ماله صوت وكل مصوت فانه يصير عند الاغتلام وحركة شهوة الجماع أشد تصويتا حتى الانسان ومنه ماله شبق يسفد كل وقت كالديك ومنه عفيف له وقت معين ومنه ولود ومنه بيوض وكل ولود أذون وكل صموخ بيوض سوى الخفاش ومنه هادئ الطبع قليل الغضب كالبقر ومنه شديد الجهل حال الغضب كالخنزير البرى  ومنه حليم حمول كالابل ومنه محتال مكار كالثعلب

زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) يعني تعالى ذكره بقوله الله نور السموات والأرض هادي من في السموات والأرض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون * واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم فيه نحو الذي قلنا ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله الله نور السموات والأرض يقول الله سبحانه هادي أهل السموات والأرض حدثني سليمن بن عمر ابن خلدة الرقي قال ثنا وهب بن راشد عن فرقد عن أنس بن مالك قال ان الهي يقول نوري هداي * وقال آخرون بل معنى ذلك الله مدبر السموات والأرض ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وابن عباس في قوله الله نور السموات والأرض يدبر الأمر فيهما نجومهما وشمسهما وقمرهما * وقال آخرون بل عني بذلك النور الضياء وقالوا معنى ذلك ضياء السموات والأرض ذكر من قال ذلك حدثني عبد الأعلى ابن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قول الله الله نور السموات والأرض قال فبدأ بنور نفسه فذكره ثم ذكر نور المؤمن وانما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك لأنه عقيب قوله ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين فكان ذلك بأن يكون خبرا عن موقع يقع تنزيله من خلقه ومن مدح ما ابتدأ بذكر مدحه أولى وأشبه ما لم يأت ما يدل على انقضاء الخبر عنه من غيره فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ولقد أنزلنا اليكم أيها الناس آيات مبينات الحق من الباطل ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين فهديناكم بها وبينا لكم معالم دينكم بها لأني هادي أهل السموات وأهل الأرض وترك وصل الكلام باللام وابتدأ الخبر عن هداية خلقه ابتداء وفيه المعنى الذي ذكرت استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره ثم ابتدأ في الخبر عن مثل هدايته خلقه بالآيات المبينات التي أنزلها اليهم فقال مثل نوره كمشكاة فيها مصباح يقول مثل ما أنار من الحق بهذا التنزيل في بيانه كمشكاة وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بالهاء في قوله مثل نوره علام هي عائدة ومن ذكر ما هي فقال بعضهم هي من ذكر المؤمن وقالوا معنى الكلام مثل نور المؤمن الذي في قلبه من الايمان والقرآن مثل مشكاة ذكر من قال ذلك حدثنا عبد الأعلى بن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قول الله مثل نوره قال ذكر نور المؤمن فقال مثل نوره يقول مثل نور المؤمن قال وكان أبي يقرؤها كذلك مثل المؤمن قال هو المؤمن قد جعل الايمان والقرآن في صدره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن أبي العالية عن أبي بن كعب الله نور السموات والارض مثل نوره قال بدأ بنور نفسه فذكره ثم قال مثل نوره يقول مثل نور من آمن به قال وكذلك كان يقرأ أبي قال هو عبد جعل الله القرآن والايمان في صدره حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء

ومنه غضوب سفيه الا أنه قلق متردد كالكلب ومنه شديد الكيس مستأنس كالقرد والفيل ومنه حسود تياه كالطاوس ومنه شديد الحفظ كالجمل والحمار لا ينسى الطريق الذي رآه وفي قوله (ان الله على كل شيء قدير) اشارة الى أن اختصاص كل حيوان بهذه الخواص وأمثالها لا يكون الا عن فاعل مختار قدير قهار وحين فرغ من اثبات هذه الدلائل أراد أن يبين أحوال المكلفين وأن فيهم منافقين فقدم لذلك مقدمة وهي قوله (لقد أنزلنا آيات مبينات) وانما فقد العاطف ههنا خلاف قوله ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا لأن المقصود هنالك هو ما سبق من التكاليف والمواعظ والغرض ههنا توطئة مقدمة لما يجيء عقيبه من حال أهل النفاق والوفاق وقوله (وما أولئك) اشارة الى الفريق المتولي وانما قال (بالمؤمنين) معرفا لأنه أراد أنهم ليسوا بالذين عرفت صحة ايمانهم لثباتهم واستقامتهم ويحتمل أن يكون أولئك اشارة الى جميع القائلين آمنا وأطعنا وحينئذ يكون قوله ثم يتولى فريق منهم حكما على البعض دفعا للالزام والنقض فان الحكم الكلي قلما يخلو عن منع ولمثل هذا قال في الآية الثانية اذا فريق منهم معرضون والحاصل أنه حكم أولا على بعضهم بالتولي ثم صرح آخرا بأن الايمان منتف عن جميعهم

ويجوز أن يراد بالفريق المتولي رؤساء النفاق وقيل أراد بتولي هذا الفريق رجعهم الى الباقين قال جار الله معنى الى الله ورسوله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كقولك أعجبني زيد وكرمه أسباب نزول الآية فعن مقاتل أنها في بشر من المنافقين كما سبق في سورة النساء في قوله يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وعن الضحاك نزلت في المغيرة

ابن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب أرض فتقاسما فدفع الى علي منها ما لا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعني أرضك فباعها منه وتقابضا فقيل للمغيرة أخذت سبخة لا ينالها الماء فقال لعلي اقبض أرضك فأبى ودعا المغيرة الى محاكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم اليه فانه (١٠٦) يبغضني وأنا أخاف أن يحيف علي قوله (يأتوا اليه) الجار صلة أتى فانه قد يعدى بالى

ابن السائب عن سعيد بن جبير مثل نوره قال مثل نور المؤمن حدثني علي بن الحسن الأزدي قال ثنا يحيى بن اليمان عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك في قوله مثل نوره قال نور المؤمن * وقال آخرون بل عني بالنور محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الهاء التي في قوله مثل نوره عائدة على اسم الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن حفص عن شمر قال جاء ابن عباس الى كعب الأحبار فقال له حدثني عن قول الله عز وجل الله نور السموات والأرض الآية فقال كعب الله نور السموات والأرض مثل نوره مثل محمد صلى الله عليه وسلم كمشكاة حدثني علي بن الحسن الأزدي قال ثنا يحيى بن اليمان عن أشعث عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير في قوله مثل نوره قال محمد صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل عني بذلك هدى الله وبيانه وهو القرآن قالوا والهاء من ذكر الله قالوا ومعنى الكلام الله هادي أهل السموات والارض بآياته المبينات وهي النور الذي استنار به السموات والارض مثل هداه وآياته التي هدى بها خلقه ووعظهم بها في قلوب المؤمنين كمشكاة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس مثل نوره مثل هداه في قلب المؤمن حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله مثل نوره قال مثل هذا القرآن في القلب كمشكاة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مثل نوره نور القرآن الذي أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده هذا مثل القرآن كمشكاة فيها مصباح * قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الله بن عياش قال قال زيد بن أسلم في قول الله تبارك وتعالى الله نور السموات والارض مثل نوره ونوره الذي ذكر القرآن ومثله الذي ضرب له * وقال آخرون بل معنى ذلك مثل نور الله وقالوا يعني بالنور الطاعة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وذلك أن اليهود قالوا لمحمد كيف يخلص نور الله من دون السماء فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة قال وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى طاعته نورا ثم سماها أنوارا شتى وقوله كمشكاة اختلف أهل التأويل في معنى المشكاة والمصباح وما المراد بذلك وبالزجاجة فقال بعضهم المشكاة كل كوة لا منفذ لها وقالوا هذا مثل ضربه الله لقلب محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص عن شمر قال جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال له حدثني عن قول الله مثل نوره كمشكاة قال المشكاة وهي الكوة ضربها الله مثلا لمحمد صلى الله عليه وسلم المشكاة فيها مصباح المصباح قلبه في زجاجة الزجاجة صدره الزجاجة كأنها كوكب دري شبه صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالكوكب الدري ثم رجع المصباح الى قلبه فقال توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية لم تمسها شمس المشرق ولا شمس المغرب يكاد زيتها يضيء يكاد محمد يبين للناس وان لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور حدثني علي قال ثنا

قال جار الله والأحسن أن يتصل بمذعنين لمفيد الاختصاص أي لا يتحاكمون اذا عرفوا أن الحق لهم الا الى الرسول مسرعين في طاعته ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين الحيف في قضائه وهذه الامور وان كانت متلازمة الا أنها متغايرة في الاعتبار فصحت القسمة ثم بين بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أنهم لا يخافون حيفه لانهم عارفون أمانته ولكن الظلم مركوز في جبلتهم وأنهم لا يستطيعون الظلم في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك يأبون المحاكمة اليه اذا كان الحق عليهم ۞ التأويل للآية تأويلان أحدهما من عالم الآفاق والآخر من عالم الانفس أما الاول فالمشكاة عالم الاجسام والزجاجة العرش والمصباح الكرسي والشجرة شجرة الملكوت وهي باطن عالم الاجسام وهي غير راقية الى شرق الأزل والقدم ولا الى غرب الفناء والعدم بل هي مخلوقة للأبد لا يعتريها الفناء يكاد زيتها وهو عالم الارواح يضيء أي يظهر من العدم الى عالم الصورة المتولدة بالازدواج عالم الغيب والشهادة ولو لم تمسسه نار نور القدرة الالهية وذلك لقرب طبيعتها من الوجود نور على نور فالأول نور الصفة الرحمانية والثاني نور العرش فهو كقوله الرحمن على العرش استوى وفي قوله يهدي الله لنوره من يشاء اشارة الى أن فيض نور الرحمانية ينقسم على كل من يريد الله تعالى ايجاده من العرش الى ما تحت الثرى وأما التأويل الثاني فالمشكاة الجسد والزجاجة القلب والمصباح السر والشجرة شجرة الروحانية التي خلقت للبقاء كما مر والزيت الروح الانساني القابل لنور العرفان قبولا في غاية القرب

عبد

والنار نار التجلي والهداية في الازل فاذا انضم الى نور العقل صار نورا على نور واذا تنور مصباح سر من يشاء بنور القدم تنور زجاجة القلب ومشكاة الجسد وتخرج أشعتها من روزنة الحواس فتستضيء أرض البشرية كما قال وأشرقت الارض بنور ربها وهو مقام كنت له سمعا وبصرا الحديث في بيوت هي القلوب أذن الله أمر وأراد أن ترفع درجاتها من بين (١٠٧) سائر الارواح والنفوس الى أن تسع الله كما قال وانما يسعني قلب عبدي المؤمن روي أنه أوحى الى داود عليه السلام فرغ لي بيتا أسكن فيه فقال رب أنت منزه عن البيوت فقال فرغ لي قلبك ولن يتأتى هذا الرفع الا بواسطة ذكر الله فلهذا قال ويذكر فيها اسمه لا تلهيهم تجارة هي الفوز بدرجات الجنات كما قال هل أدلكم على تجارة تنجيكم ولا بيع هو بيع الدنيا بالجنة كقوله ان الله اشترى الى قوله فاستبشروا ببيعكم وفيه أن الرجولية لا تتحقق الا اذا لم يلتفت الى الدنيا ولا الى الآخرة فيكون بحيث لا يتصرف فيه ما سوى الله وحينئذ يصلي صلاة الوصال ويفيض على المستعدين زكاة حصول نصاب الكمال يخافون يوما هو يوم الفراق تتقلب فيه القلوب والابصار البصائر لأنها بيد الله يقلبها كيف يشاء أو كظلمات في بحر لجي هو حب الدنيا يغشاه موج الرياء من فوقه موج هو حب الجاه وطلب الرياسة من فوقه سحاب الشرك الخفي اذا أخرج يد سعيه واجتهاده لم يكد يراها يرى طريق خلاصه ومن لم يجعل الله له نورا أي لم يصبه رشاش النور الالهي في الازل يزجي سحب المعاصي المتفرقة الى أن تتراكم فترى والودق هو مطر التوبة يخرج من خلاله كما خرج من سحاب وعصى آدم مطر ثم اجتباه ربه ينزل من سماء القلب من جبال من قساوة فيها من برد هو برد القهر يقلب الله ليل المعصية لمن يشاء الى نهار الطاعة وبالعكس لاولي الابصار أصحاب البصائر الذين يشاهدون آثار لطفه وقهره في مرآة التقليب والله خلق كل ذي روح من ماء هو روح محمد صلى الله عليه وسلم كما قال أول ما خلق الله روحي فمنهم من يمشي أن تكون سيرته تحصيل مشتهيات بطنه ومنهم من يمشي على رجلين أي يضيع عمره في مشتهيات الفرج لأن الحيوان اذا قصد الوقاع يعتمد

عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كمشكاة يقول موضع الفتيلة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثنا عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض الى كمشكاة قال المشكاة كوة البيت * وقال آخرون عني بالمشكاة صدر المؤمن وبالمصباح القرآن والايمان وبالزجاجة قلبه ذكر من قال ذلك حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال مثل المؤمن قد جعل الايمان والقرآن في صدره كمشكاة قال المشكاة صدره فيها مصباح قال والمصباح القرآن والايمان الذي جعل في صدره المصباح في زجاجة قال والزجاجة قلبه الزجاجة كأنها كوكب دري توقد قال فمثله مما استنار فيه القرآن والايمان كأنه كوكب دري يقول مضيء توقد من شجرة مباركة والشجرة المباركة أصله المباركة الاخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له لا شرقية ولا غربية قال فمثله مثل شجرة التف بها الشجر فهي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على أي حال كانت لا اذا طلعت ولا اذا غربت وكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يصيبه شيء من الغير وقد ابتلي بها فثبته الله فيها فهو بين أربع خلال ان أعطي شكر وان ابتلي صبر وان حكم عدل وان قال صدق فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات قال نور على نور فهو يتقلب في خمسة من النور فكلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة في الجنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني يحيى بن اليمان عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال المشكاة صدر المؤمن فيها مصباح قال القرآن * قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب نحو حديث عبد الأعلى عن عبيد الله حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس مثل نوره كمشكاة قال مثل هداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوأ على ضوء كذلك يكون قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور كما قال ابراهيم صلوات الله عليه قبل أن تجيئه المعرفة قال هذا ربي حين رأى الكوكب من غير أن يخبره أحد أن له ربا فلما أخبره الله أنه ربه ازداد هدى على هدى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم كيف يخلص نور الله من دون السماء فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح والمشكاة كوة البيت فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري والمصباح السراج يكون في الزجاجة وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى طاعته نورا وسماها أنواعا شتى قوله توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية قال هي شجرة لا يفيء عليها ظل شرق ولا ظل غرب ضاحية ذلك أصفى الزيت يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار قال معمر وقال الحسن ليست من شجر الدنيا ليست شرقية ولا غربية * وقال آخرون

على رجلين وان كان من ذوات الأربع ومنهم من يمشى على أربع هم أصحاب المناصب يركبون الدواب البتة أفى قلوبهم مرض انحراف فى الفطرة أم ارتابوا بتشكيك أهل البدع والاهواء أم يخافون الحيف حين أمروا بترك اللذات العاجلة لاجل الخيرات الباقية واليه المآب

﴿انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون (١٠٨) ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض ومأواهم النار ولبئس المصير يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو

---

هو مثل للمؤمن غير أن المصباح وما فيه مثل لفؤاده والمشكاة مثل لجوفه ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وابن عباس جميعا المصباح وما فيه مثل فؤاد المؤمن وجوفه المصباح مثل الفؤاد والكوة مثل الجوف قال ابن جريج كمشكاة كوة غير نافذة قال ابن جريج وقال ابن عباس قوله نور على نور يعنى ايمان المؤمن وعمله ☼ وقال آخرون بل ذلك مثل للقرآن فى قلب المؤمن ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة قال ككوة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله الله نور السموات والارض مثل نوره نور القرآن الذى أنزل على رسوله وعباده فهذا مثل القرآن كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة فقرأ حتى بلغ مباركة فهذا مثل القرآن يستضاء به فى نوره ويعلمونه ويأخذون به وهو كما هو لا ينقص فهذا مثل ضربه الله لنوره وفى قوله يكاد زيتها يضىء قال الضوء اشراق ذلك الزيت والمشكاة التى فيها الفتيلة التى فى المصباح والقناديل تلك المصابيح **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن سعيد بن عياض فى قوله كمشكاة قال الكوة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن عطية فى قوله كمشكاة قال قال ابن عمر المشكاة الكوة ☼ وقال آخرون المشكاة القنديل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله كمشكاة قال القنديل ثم العمود الذى فيه القنديل **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كمشكاة الصفر الذى فى جوف القنديل **حدثنى** اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن رجل عن مجاهد قال المشكاة القنديل ☼ وقال آخرون المشكاة الحديد الذى يعلق به القنديل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن المفضل قال ثنا هشيم قال ثنا داود بن أبى هند عن مجاهد قال المشكاة الحدائد التى يعلق بها القنديل ☼ وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال ذلك مثل ضربه الله للقرآن فى قلب أهل الايمان به فقال مثل نور الله الذى أنار به لعباده سبيل الرشاد الذى أنزله اليهم فآمنوا به وصدقوا بما فيه فى قلوب المؤمنين مثل مشكاة وهى عمود القنديل الذى فيه الفتيلة وذلك هو نظير الكوة التى تكون فى الحيطان التى لا منفذ لها وانما جعل ذلك العمود مشكاة لانه غير نافذ وهو أجوف مفتوح الأعلى فهو كالكوة التى فى الحائط التى لا تنفذ ثم قال فيها مصباح وهو السراج وجعل السراج وهو المصباح مثلا لما فى قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات ثم قال المصباح فى زجاجة يعنى أن السراج الذى فى المشكاة فى القنديل وهو الزجاجة وذلك مثل للقرآن يقول القرآن الذى فى قلب المؤمن الذى أنار الله قلبه فى صدره ثم مثل الصدر فى خلوصه من الكفر بالله والشك فيه واستنارته بنور القرآن واستضاءته بآيات ربه المبينات ومواعظه فيها بالكوكب الدرى فقال الزجاجة وذلك صدر المؤمن الذى فيه قلبه كأنها كوكب درى واختلفت

القراء

صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم (١٠٩) فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ألا ان لله ما فى السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم ۞ القراآت ويتقه بكسر القاف واختلاس الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وأبو عمرو طريق الهاشمى بكسر القاف وسكون الهاء على أنها للسكت أبو عمرو غير عباس وخلاد ورجاء ويحيى وحماد وهبيرة من طريق الخراز وابن مجاهد عن ابن ذكوان باسكان القاف وكسر الهاء حفص غير الخراز ووجهه أنه شبه تقه بكتف فخفف وعلى هذا فالهاء ضمير فان تحرك بك هاء السكت ضعيف الباقون ويتقهى بالاشباع فان تولوا باظهار النون وتشديد التاء البزى وابن فليح كما استخلف مجهولا أبو بكر وعمار وليبدلنهم خفيفا ابن كثير وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد لا يحسبن على الغيبة ابن عامر وحمزة ثلاث عورات بالنصب حمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الآخرون بالرفع لبعض شأنهم باسكان الضاد وتشديد الشين شجاع وأبو شعيب وحمله على الاخفاء أولى منه على الادغام يرجعون مبنيا للفاعل عباس ويعقوب ۞ الوقوف وأطعنا ط المفلحون ○ الفائزون ○ ليخرجن ط لا تقسموا ج لحق المحذوف مع اتحاد المقول معروفة ط تعملون ○ الرسول ج للشرط مع الفاء ما حملتم ط تهتدوا ط المبين ○ من قبلهم ص أمنا ط بناء على أن ما بعده مستأنف شيئا ط الفاسقون ○ ترحمون ط فى الارض ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقول النار ط المصير ○ مرات ط أى متى كذا وكذا العشاء قف عبد

القراء فى قراءة قوله درى فقرأته عامة قراء الحجاز درى بضم الدال وترك الهمز وقرأه بعض قراء البصرة والكوفة دريء بكسر الدال وهمزة وقرأ بعض قراء الكوفة دريء بضم الدال وهمزة وكأن الذين ضموا داله وتركوا الهمزة وجهوا معناه الى ما قاله أهل التفسير الذى ذكرنا عنهم من أن الزجاجة فى صفائها وحسنها كالدر وأنها منسوبة اليه لذلك من نعتها وصفتها ووجه الذين قرؤا ذلك بكسر داله وهمزه الى أنه فعيل من درئ الكوكب أى دفع ورجم به الشيطان من قوله ويدرأ عنها العذاب أى يدفع والعرب تسمى الكواكب العظام التى لا تعرف أسماءها الدرارى بغير همز وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول هى الدرارئ بالهمز من يدرأن وأما الذين قرؤه بضم داله وهمزه فان كانوا أرادوا به درّوء مثل سبوح وقدوس من درأت ثم استثقلوا كثرة الضمات فيه فصرفوا بعضها الى الكسرة فقالوا درىء كما قيل وقد بلغت من الكبر عتيا وهو فعول من عتوت عتوّا ثم حولت بعض ضماتها الى الكسر فقيل عتيا فهو مذهب والا فلا أعرف لصحة قراءتهم ذلك كذلك وجها وذلك أنه لا يعرف فى كلام العرب فعيل وقد كان بعض أهل العربية يقول هو لحن والذى هو أولى القراآت عندى فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه درى بضم داله وترك همزه على النسبة الى الدر لأن أهل التأويل بتأويل ذلك جاؤا وقد ذكرنا أقوالهم فى ذلك قبل ففى ذلك مكتفى عن الاستشهاد على صحتها بغيره فتأويل الكلام الزجاجة وهى صدر المؤمن كأنها يعنى كأن الزجاجة وذلك مثل لصدر المؤمن كوكب يقول فى صفائها وضيائها وحسنها وانما يصف صدره بالنقاء من كل ريب وشك فى أسباب الايمان بالله وبعده من دنس المعاصى كالكوكب الذى يشبه الدر فى الصفاء والضياء والحسن واختلفوا أيضا فى قراءة قوله توقد من شجرة مباركة فقرأ ذلك بعض المكيين والمدنيين وبعض البصريين توقد من شجرة بالتاء وفتحها وتشديد القاف وفتح الدال وكأنهم وجهوا معنى ذلك الى توقد المصباح من شجرة مباركة وقرأه بعض عامة قراء المدنيين يوقد بالياء وتخفيف القاف ورفع الدال بمعنى يوقد المصباح موقده من شجرة ثم لم يسم فاعله وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة توقد بضم التاء وتخفيف القاف ورفع الدال بمعنى يوقد الزجاجة موقدها من شجرة مباركة لما لم يسم فاعله فقيل توقد وقرأه بعض أهل مكة توقد بفتح التاء وتشديد القاف وضم الدال بمعنى تتوقد الزجاجة من شجرة ثم أسقطت احدى التاءين اكتفاء بالباقية من الذاهبة وهذه القراآت متقاربات المعانى وان اختلفت الالفاظ بها وذلك أن الزجاجة اذا وصفت بالتوقد أو بأنها توقد فمعلوم معنى ذلك فان المراد به توقد فيها المصباح أو يوقد فيها المصباح ولكن وجهوا الخبر الى أن وصفها بذلك أقرب فى الكلام منها وفهم السامعين معناه والمراد منه فاذا كان ذلك كذلك فبأى القراآت قرأ القارئ فمصيب غير أن أعجب القراآت الى أن أقرأ بها فى ذلك توقد بفتح التاء وتشديد القاف وفتح الدال بمعنى وصف المصباح بالتوقد لان التوقد والاتقاد لا شك أنهما من صفته دون الزجاجة فمعنى الكلام اذن كمشكاة فيها مصباح المصباح من دهن شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية وقد ذكرنا بعض ما روى عن بعضهم من الاختلاف فى ذلك فيما قد مضى ونذكر باقى ما حضرنا مما لم نذكره قبل فقال بعضهم انما قيل لهذه الشجرة لا شرقية ولا غربية أى ليست شرقية

وحدها حتى لا تصيبها الشمس اذا غربت وانما لها نصيبها من الشمس بالغداة ما دامت بالجانب الذى يلى الشرق ثم لا يكون لها نصيب منها اذا مالت الى جانب الغرب ولا هى غربية وحدها فتصيبها الشمس بالعشى اذا مالت الى جانب الغرب ولا تصيبها بالغداة ولكنها شرقية غربية تطلع عليها الشمس بالغداة وتغرب عليها فيصيبها حر الشمس بالغداة والعشى قالوا واذا كانت كذلك كان أجود لزيتها ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية قال لا يسترها من الشمس جبل ولا واد اذا طلعت واذا غربت **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا حرمى بن عمارة قال ثنا شعبة قال أخبرنى عمارة عن عكرمة فى قوله لا شرقية ولا غربية قال الشجرة تكون فى مكان لا يسترها من الشمس شئ تطلع عليها وتغرب عليها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وابن عباس لا شرقية ولا غربية قال لا هى التى بشق الجبل التى يصيبها شروق الشمس وغروبها اذا طلعت أصابتها واذا غربت أصابتها * وقال آخرون بل معنى ذلك ليست شرقية ولا غربية ذكر من قال ذلك **حدثنى** سليمن بن عبد الجبار قال ثنى محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس لا شرقية ولا غربية قال هى شجرة وسط الشجر ليست من الشرق ولا من الغرب **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية متيامنة الشام لا شرقى ولا غربى * وقال آخرون ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عوف عن الحسن فى قول الله لا شرقية ولا غربية قال والله لو كانت فى الارض لكانت شرقية أو غربية ولكنما هو مثل ضربه الله لنوره **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عثمان يعنى ابن الهيثم قال ثنا عوف عن الحسن فى قول الله زيتونة لا شرقية ولا غربية قال لو كانت فى الارض هذه الزيتونة كانت شرقية أو غربية ولكن والله ما هى فى الارض وانما هو مثل ضربه الله لنوره **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن فى قوله لا شرقية ولا غربية قال هذا مثل ضربه الله ولو كانت هذه الشجرة فى الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية * وأولى هذه الاقوال بتأويل ذلك قول من قال انها شرقية غربية وقال ومعنى الكلام ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشى دون الغداة ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب فهى شرقية غربية وانما قلنا ذلك أولى بمعنى الكلام لان الله انما وصف الزيت الذى يوقد على هذا المصباح بالصفاء والجودة فاذا كان شجره شرقيا غربيا كان زيته لاشك أجود وأصفى وأضوأ وقوله يكاد زيتها يضىء يقول تعالى ذكره يكاد زيت هذه الزيتونة يضىء من صفائه وحسن ضيائه ولو لم تمسسه نار يقول فكيف اذا مسته النار وانما أريد بقوله توقد من شجرة مباركة أن هذا القرآن من عند الله وأنه كلامه فجعل مثله ومثل كونه من عنده مثل المصباح الذى توقد من الشجرة المباركة التى وصفها جل ثناؤه فى هذه الآية وعنى بقوله يكاد زيتها يضىء أن حجج الله تعالى ذكره على خلقه تكاد من بيانها ووضوحها تضىء لمن فكر فيها ونظر أو أعرض عنها ولها ولو لم تمسسه نار يقول ولو لم يزدها الله بيانا

ووضوحا

من قرأ ثلاث عورات بالرفع أى هو ثلاث لكم ط بعدهن ط أى هم طوافون على بعض ص الآيات ط حكيم ٥ من قبلهم ط آياته ط حكيم ٥ ط بزينة ط لهن ط عليم ٥ صديقكم ط أشتاتا ط بناء على أن ما بعده استئناف حكم طيبة ط للعدول من المخاطبة الى الغيبة تعقلون ٥ يستأذنوه ط ورسوله ط للشرط مع الفاء لهم الله ط رحيم ٥ بعضا ط لواذا ج لانقطاع النظم مع فاء التعقيب اليم ٥ والارض ط عليه ط فصلا بين حال وحال مع العدول من المخاطبة الى الغيبة عملوا ٥ عليم ٥ ۞ التفسير لما حكى سيرة المنافقين وما قالوه وفعلوه أتبعه ذكر ما كان يجب أن يفعلوه وما يجب أن يسلكه المؤمنون من طريق الأخلاق وعن الحسن أنه قرأ قول المؤمنين بالرفع والقراءة المشهورة وهى النصب أقوى قال جار الله لأن أولى الاسمين بكونه اسما أوغلهما فى التعريف وأن يقولوا أوغل لأنه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين قلت وذلك لاحتمال كون الاضافة فيه لفظية وأن يقولوا يشبه المضمر كما بينا فى الأنعام فى قوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا فلا سبيل الى تنكيره ومعنى كان صح واستقام أى لا ينبغى أن يكون قولهم الا السمع والطاعة عن ابن عباس ومن يطع الله فى فرائضه ورسوله فى سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل من عمره فأولئك هم الفائزون وهذه آية جامعة لأسباب الفوز وفقنا الله تعالى للعمل بها ثم حكى عن المنافقين أنهم يريدون أن يؤكدوا أساس الايمان بالأيمان الكاذبة قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد فى اليمين وكانوا يقولون والله ان أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا فنهوا عن هذه الاقسام لما علم من نفاقهم وشقاقهم واضمارهم الغدر والخديعة والا فمن حلف على فعل الخير لا يجوز أن ينهى عنه وقوله (طاعة معروفة) مبتدأ محذوف الخبر أى طاعة معلومة لاشك فيها ولا نفاق أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة أو خبر محذوف المبتدا أى أمركم الذى يطلب منكم طاعة معروفة لا ارتياب فيها كطاعة الخلص من المؤمنين أو شأنكم طاعة

و وضوحا بانزاله هذا القرآن اليهم منبها لهم على توحيده فكيف اذا نبههم به وذكرهم بآياته فزادهم
به حجة الى حججه عليهم قبل ذلك فذلك بيان من الله ونور على البيان والنور الذى كان قد وضعه لهم
ونصبه قبل نزوله وقوله نور على نور يعنى النار على هذا الزيت الذى كاد يضيء ولو لم تمسسه النار كما
حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن
قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نور على نور قال النار على الزيت « قال
أبو جعفر » وهو عندى كما ذكرت مثل القرآن ويعنى بقوله نور على نور هذا القرآن نور
من عند الله أنزله الى خلقه يستضيئون به على نور على الحجج والبيان الذى قد نصبه لهم قبل مجىء
القرآن وانزاله اياه مما يدل على حقيقة وحدانيته فذلك بيان من الله ونور على البيان والنور
الذى كان وضعه لهم ونصبه قبل نزوله وذكر عن زيد بن أسلم فى ذلك ما حدثنى يونس
قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الله بن عياش قال قال زيد بن أسلم فى قوله نور على نور
يضيء بعضه بعضا يعنى القرآن وقوله يهدى الله لنوره من يشاء يقول تعالى ذكره يوفق الله لاتباع
نوره وهو هذا القرآن من يشاء من عباده وقوله ويضرب الله الامثال للناس يقول ويمثل الله
الامثال والاشباه للناس كما مثل لهم مثل هذا القرآن فى قلب المؤمن بالمصباح فى المشكاة وسائر
ما فى هذه الآية من الامثال والله بكل شىء عليم يقول والله بضرب الامثال وغيرها من الاشياء كلها
ذو علم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له
فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون
يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من
يشاء بغير حساب ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله فى بيوت أذن الله أن ترفع الله نور السموات والارض
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فى بيوت أذن الله أن ترفع كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد المشكاة التى فيها الفتيلة التى فيها المصباح قال المصابيح فى بيوت أذن الله أن ترفع
«قال أبو جعفر» قد يحتمل أن تكون فى من صلة توقد فيكون المعنى توقد من شجرة مباركة ذلك
المصباح فى بيوت أذن الله أن ترفع وعنى بالبيوت المساجد وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال
بعضهم بالذى قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد ونصر بن عبد الرحمن الاودى
قالا ثنا حكام عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قول الله فى بيوت أذن الله أن ترفع قال
المساجد حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى
قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع وهى المساجد تكرم ونهى عن اللغو فيها حدثنى محمد بن سعد
قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله فى بيوت أذن الله
أن ترفع يعنى كل مسجد يصلى فيه جامع أو غيره حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع قال مساجد تبنى
حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا

---

معروفة بأنها بالقول دون الفعل ثم صرف الكلام من الغيبة الى الخطاب لمزيد التبكيت والعتاب ومعنى (فان تولوا) فان تتولوا فحذف احدى التاءين وما حمل الرسول هو أداء الرسالة وما حمل على الامة هو الطاعة والانقياد والبلاغ المبين كون التبليغ مقرونا بالآيات والمعجزات أو كونه واقعا على سبيل المجاهرة لا المداهنة وههنا شبه اضمار والتقدير بلغ أيها (١١١) الرسول وأطيعوه أيها المؤمنون فقد وعد الله الذين آمنوا منكم أى جمعوا بين الايمان والعمل الصالح وفى الوعد معنى القسم لأن وعد الله محقق الوقوع ولذلك قال فى جوابه (ليستخلفنهم) أو القسم محذوف أى أقسم ليجعلنكم خلفاء فى الارض كما فعل ببنى اسرائيل حين أورثهم مصر والشأم بعد اهلاك الجبابرة (وليمكنن) لاجلهم الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكين الدين تثبيته واشادة قواعده كانوا بالمدينة يصبحون فى السلاح ويمسون فيه فسئموا وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل فى الملا العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وورثوا ملك الاكاسرة وخزائنهم وهذا اخبار بالغيب فيكون معجزا ومحل (يعبدوننى) نصب على الحال أى وعدهم ذلك فى حال عبادتهم واخلاصهم أو هو استئناف كأن قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدوننى وعلى الوجهين فقوله (لا يشركون) بدل من يعبدوننى أو بيان لها وفيه دليل على أن المقصود من الكل هو عبادة الله تعالى والاخلاص له (ومن كفر) بهذه النعم الجسام وهى الاستخلاف والتمكين والأمن بعد الخوف بعد حصول ذلك أو بعد ما ذكر (فأولئك هم) الكاملون فى الفسق قال أهل السنة فى الآية دلالة على امامة الخلفاء الراشدين لان قوله (منكم) للتبعيض وذلك البعض يجب أن يكون من الحاضرين فى وقت الخطاب ومعلوم أن الأئمة الاربعة كانوا من أهل الايمان والعمل الصالح وكانوا حاضرين وقتئذ وقد حصل لهم الاستخلاف والفتوح فوجب أن يكونوا مرادين من الآية واعترض بأن قوله منكم لا يجوز أن يكون للبيان ولم لا يجوز أن يراد بالاستخلاف فى الارض هو امكان التصرف والتوطن

الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع قال فى المساجد * قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون قال أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون المساجد بيوت الله وانه حق على الله أن يكرم من زاره فيها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن سالم بن عمر فى قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع قال هى المساجد **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع قال المساجد * وقال آخرون عنى بذلك البيوت كلها ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد ونصر ابن عبد الرحمن الأودى قالا حدثنا حكام بن سلم عن اسمعيل بن أبى خالد عن عكرمة فى بيوت أذن الله أن ترفع قال هى البيوت كلها وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك لدلالة قوله يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله على أنها بيوت بنيت للصلاة فلذلك قلنا هى المساجد واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله أذن الله أن ترفع فقال بعضهم معناه أذن الله أن تبنى ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أذن الله أن ترفع قال تبنى **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون معناه أذن الله أن تعظم ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله أذن الله أن ترفع يقول أن تعظم لذكره وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب القول الذى قاله مجاهد وهو أن معناه أذن الله أن ترفع بناء كما قال جل ثناؤه واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وذلك أن ذلك هو الأغلب من معنى الرفع فى البيوت والأبنية وقوله ويذكر فيها اسمه يقول وأذن لعباده أن يذكروا اسمه فيها وقد قيل عنى به أنه أذن لهم بتلاوة القرآن فيها ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال ثم قال ويذكر فيها اسمه يقول يتلى فيها كتابه وهذا القول قريب المعنى مما قلناه فى ذلك لأن تلاوة كتاب الله من معانى ذكر الله غير أن الذى قلنا به أظهر معنييه فلذلك اخترنا القول به وقوله يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اختلفت القراء فى قراءة قوله يسبح له فقرأ ذلك عامة قراء الامصار يسبح له بضم الياء وكسر الباء بمعنى يصلى له فيها رجال ويجعل يسبح فعلا للرجال وخبرا عنهم وترفع به الرجال سوى عاصم وابن عامر فانهما قرآ ذلك يسبح له بضم الياء وفتح الباء على ما لم يسم فاعله ثم يرفعان الرجال بخبر ثان مضمر كانهما أرادا يسبح لله فى البيوت التى أذن الله أن ترفع فسبح له رجال فرفعا الرجال بفعل مضمر والقراءة التى هى أولاهما بالصواب قراءة من كسر الباء وجعله خبرا للرجال وفعلا لهم وانما كان الاختيار رفع الرجال بمضمر من الفعل لو كان الخبر عن البيوت لا يتم الا بقوله يسبح له فيها فأما والخبر عنها دون ذلك تام فلا وجه لتوجيه قوله يسبح له الى غيره (1) فالى غير الخبر عن الرجال وعنى بقوله يسبح له فيها بالغدو والآصال يصلى له فى هذه البيوت بالغدوات والعشيات رجال وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من

(1) لعله أى غير الخ تأمل كتبه مصححه

---

فيها كما فى حق بنى اسرائيل سلمنا لكن لم لا يجوز أن يراد به خلافة على عليه السلام والجمع للتعظيم أو يراد هو وأولاده الاحد عشر بعده وقيل ان فى قوله (ومن كفر بعد ذلك) اشارة الى الخلفاء المتغلبين بعد الراشدين يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة من بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا (وأقيموا الصلاة) معطوف (1 1 ٣) على أطيعوا وليس ببدع أن يقع بين المعطوفين فاصلة وان طالت وكررت طاعة الرسول للتأكيد من قرأ لا يحسبن على الغيبة ففعولاه معجزين فى الارض أى لا يحسبن الكفرة أحدا يعجز الله فى الارض حتى يطمعوهم فى مثل ذلك وفاعله ضمير النبى أو المفعول الاول محذوف لأنه هو الفاعل بعينه أى لا يحسبن الكفار أنفسهم معجزين والمراد بهم الذين أقسموا أو عام قوله (ومأواهم) قال جار الله هو معطوف على ما تقدم معنى كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله عز وجل ومأواهم النار وحين ذكر من دلائل التوحيد وأحوال المكلفين ما ذكر تنشيطا للاذهان وترغيبا فيما هو الغرض الأصلى من التكاليف وهو العرفان عاد الى ما انجر منه الكلام وهو الحكم العام فى باب الاستئذان فذكره ههنا على وجه أخص فقال (ليستأذنكم) قال القاضى هذا الخطاب للرجال ظاهرا ولكنه من باب التغليب فيدخل فيه النساء وقال الامام فخر الدين الرازى يثبت للنساء بقياس جلى لأنهن فى باب حفظ العورة أشد حالا من الرجال وظاهر قوله (الذين ملكت أيمانكم) يشمل البالغين والصغار فالأمر للبالغين على الحقيقة وللصغار على وجه البيان والتأديب كما يؤمرون بالصلاة لسبع أو هو تكليف لنا لما فيه من المصلحة لنا ولهم بعد البلوغ كقولك للرجل ليخفك أهلك وولدك فظاهره الامر لهم وحقيقة الامر له بفعل ما يخافون عنده وعن ابن عباس أن المراد الصغار قال وليس للكبار أن ينظروا الى ما لكهم الا الى ما يجوز للحر أن ينظر اليه ثم انه هل يشمل الاماء فعن ابن عمر ومجاهد لا وعن غيرهما نعم لأن الانسان كما يكره اطلاع الذكور على أحواله فقد يكره أيضا اطلاع الاناث عليها عن ابن عباس آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن

وإني لآمر جاريتي أن تستأذن علي" أراد امرأته وكان ابن عباس ينام بين جاريتين ومن العلماء من قال هذا الأمر للاستحباب ومنهم من قال للوجوب ثم من هؤلاء من قال إنه ناسخ لقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا لأن ذلك يدل على أن الاستئذان واجب في كل حال وهذا يدل على وجوبه في الأوقات الثلاثة فقط ومنع لزوم النسخ بأن الأولى في المكلفين وهذه في غير المكلفين قالوا الذين ملكت أيمانكم يشمل البالغين قلنا لو سلم فلا نسخ أيضا لأن قوله غير بيوتكم لا يشمل العبد لأن الاضافة توجب الاختصاص والملكية والعبد لا يملك شيئا فلا يملك البيت أمر المماليك والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار وهذا معنى قوله (منكم) أن يستأذنوا ثلاث مرات في اليوم والليلة احداها قبل صلاة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع ووقت استبدال ثياب اليقظة بثياب النوم وثانيتها عند الظهيرة وهو نصف النهار عند اشتداد الحر وظهوره فحينئذ يضع الناس ثيابهم غالبا وثالثها بعد صلاة العشاء يعني الآخرة لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثم بين حكمة الاستئذان في هذه الأوقات فقال (ثلاث عورات) فمن قرأ ثلاث بالرفع فظاهر كما مر في الوقوف ومن قرأ بالنصب فقد قال في الكشاف انه بدل من ثلاث مرات أي أوقات ثلاث عورات قلت هذا بناء على أن قوله ثلاث مرات ظرف ويجوز أن يكون ثلاث مرات مصدرا بمعنى ثلاثة استئذانات ويكون ثلاث عورات تفسيرا وبيانا للأوقات الثلاثة لأنها منصوبة تقديرا وأصل العورة الخلل ومنه الأعور المختل العين وأعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب وأعور المكان اذا خيف فيه القطع قال جار الله اذا رفعت ثلاث عورات فمحل هذه الجملة الرفع على الوصف أي هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للأمر بالاستئذان في تلك الأحوال خاصة ثم بين وجه العذر بقوله (طوافون عليكم) وهم الذين يكثرون الدخول والخروج والتردد يعني أن بكم وبهم حاجة الى المداخلة والمخالطة للاستخدام ونحوه وارتفع

---

قال ذلك حدثني علي بن الحسن الأزدي قال ثنا المعافى بن عمران عن سفيان عن عمار الدهني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كل تسبيح في القرآن فهو صلاة حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ثم قال يسبح له فيها بالغدو والآصال يقول يصلي له فيها بالغداة والعشي يعني بالغدو صلاة الغداة ويعني بالآصال صلاة العصر وهما أول ما افترض الله من الصلاة فأحب أن يذكرهما ويذكر بهما عباده حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال أذن الله أن تبنى فيصلي فيها بالغدو والآصال حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول في قوله يسبح له فيها بالغدو والآصال يعني الصلاة المفروضة وقوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يقول تعالى ذكره لا يشغل هؤلاء الرجال الذين يصلون في هذه المساجد التي أذن الله أن ترفع عن ذكر الله فيها وإقام الصلاة تجارة ولا بيع كما حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سعيد بن أبي الحسن عن رجل نسي اسمه في هذه الآية في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الى قوله والأبصار قال هم قوم في تجاراتهم وبيوعهم لا تلهيهم تجاراتهم ولا بيوعهم عن ذكر الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا جعفر بن سليمن عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله أنه نظر الى قوم من السوق قاموا وتركوا بياعاتهم الى الصلاة فقال هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية * قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم عن سيار عمن حدثه عن ابن مسعود نحو ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن سيار قال حدثت عن ابن مسعود أنه رأى قوما من أهل السوق حيث نودي بالصلاة تركوا بياعاتهم ونهضوا الى الصلاة فقال عبد الله هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله * وقال بعضهم معنى ذلك لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن صلاتهم المفروضة عليهم ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ثم قال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يقول عن الصلاة المكتوبة وقوله وإقام الصلاة يقول ولا يشغلهم ذلك أيضا عن إقام الصلاة بحدودها في أوقاتها * وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد قال ثنا عوف عن سعيد بن أبي الحسن عن رجل نسي عوف اسمه في وإقام الصلاة قال يقومون للصلاة عند مواقيت الصلاة فان قال قائل أوليس قوله وإقام الصلاة مصدرا من قوله أقمت قيل بلى فان قال أوليس المصدر منه إقامة كالمصدر من أجرت إجارة قيل بلى فان قال وكيف قال وإقام الصلاة أو تجيز أن تقول أقمت إقاما قيل ولكني أجيز أعجبني إقام الصلاة فان قيل وما وجه جواز ذلك قيل ان الحكم في أقمت اذا جعل منه مصدر أن يقال إقواما كما يقال أقعدت فلانا إقعادا وأعطيته إعطاء ولكن العرب لما سكنت الواو من أقمت فسقطت لاجتماعها وهي ساكنة والميم وهي ساكنة بنوا المصدر على ذلك اذ جاءت الواو ساكنة قبل ألف الافعال وهي ساكنة فسقطت الأولى منهما فأبدلوا منها هاء في آخر الحرف

(بعضكم) بالابتداء وخبره (على بعض) أو بالفاعلية أي بعضكم طائف أو يطوف بعضكم على بعض يدل على المحذوف طوافون وفي الآية دلالة على وجوب اعتبار العلل في الأحكام ما أمكن يروى أن مدلج بن عمرو وكان غلاما أنصاريا أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة الى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم  وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا

وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية ثم بين حكم الأطفال الاحرار بعد البلوغ وهو أن لا يكون لهم الدخول الا باذن في جميع الاوقات ومعنى (الذين من قبلهم) الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا الآية ومتى يحكم ببلوغ الطفل اتفقوا على أنه اذا احتلم كان بالغا وأما اذا لم يحتلم فعند عامة العلماء وعليه الشافعي أنه اذا بلغ خمس عشرة سنة فهو بالغ حكما لما روى أن ابن عمر عرض على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فلم يجزه وكان له أقل من خمس عشرة سنة وعرض عليه يوم الخندق وكان ابن خمس عشرة سنة فأجازه وعن بعض السلف وروي عن علي عليه السلام أيضا أنه كان يعتبر القامة ويقدر بخمسة الأشبار وعليه يحمل قول الفرزدق

ما زال مذ عقدت يداه ازاره
فسما وأدرك خمسة الأشبار

وانبات العانة غير معتبر الا في حق الأطفال الكفار وقد مر في أول سورة النساء وانما ختم هذه الآية بقوله (كذلك يبين الله لكم آياته) وقبلها وبعدها لكم الآيات لأنهما يشتملان على علامات يمكن الوقوف عليها وهي في الأولى الاوقات الثلاثة وفي الآخرة من بيوتكم أو بيوت آبائكم الى آخرها ومثلهما في قوله يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات يعني حد الزانيين وحد القاذف وأما بلوغ الأطفال فلم يذكر له علامات يمكن الوقوف عليها بل تفرد سبحانه بعلم ذلك فخصها بالاضافة الى نفسه (والله عليم) بمصالح العباد (حكيم) في أوامره ونواهيه ثم بين حكم

---

كالتكثير للحرف كما فعلوا ذلك في قولهم وعدته عدة ووزنته زنة اذ ذهبت الواو من أوله كثروه من آخره بالهاء فلما أضيفت الاقامة الى الصلاة حذفوا الزيادة التي كانوا زادوها للتكثير وهي الهاء في آخرها لأن الخافض وما خفض عندهم كالحرف الواحد فاستغنوا بالمضاف اليه من الحرف الزائد وقد قال بعضهم في نظير ذلك

ان الخليط أجدوا البين فانجردوا * وأخلفوك عد الامر الذي وعدوا

يريد عدة الامر فأسقط الهاء من العدة لما أضافها فكذلك ذلك في اقام الصلاة وقوله وايتاء الزكاة قيل معناه واخلاص الطاعة لله ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وقوله وأوصاني بالصلاة والزكاة وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا وقوله وحنانا من لدنا وزكاة ونحو هذا في القرآن قال يعني بالزكاة طاعة الله والاخلاص وقوله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار يقول يخافون يوما تتقلب فيه القلوب من هوله بين طمع بالنجاة وحذر بالهلاك والابصار أي ناحية يؤخذ بهم أذات اليمين أم ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل الأيمان أم من قبل الشمائل وذلك يوم القيامة كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الله بن عياش قال زيد بن أسلم في قول الله في بيوت أذن الله أن ترفع الى قوله تتقلب فيه القلوب والابصار يوم القيامة وقوله ليجزيهم الله أحسن ما عملوا يقول فعلوا ذلك يعني أنهم لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا ربهم مخافة عذابه يوم القيامة كي يثيبهم الله يوم القيامة بأحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا ويزيدهم على ثوابه اياهم على أحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا من فضله فيفضل عليهم من عنده بما أحب من كرامته لهم وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب يقول تعالى ذكره يتفضل على من شاء وأراد من طوله وكرامته مما لم يستحقه بعمله ولم يبلغه بطاعته بغير حساب يقول بغير محاسبة على ما بذل له وأعطاه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ وهذا مثل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به فقال والذين جحدوا توحيد ربهم وكذبوا بهذا القرآن وبمن جاء به مثل أعمالهم التي عملوها كسراب يقول مثل سراب والسراب ما لصق بالارض وذلك يكون نصف النهار وحين يشتد الحر والآل ما كان كالماء بين السماء والارض وذلك يكون أول النهار يرفع كل شئ ضحى وقوله بقيعة وهي جمع قاع كالجيرة جمع جار والقاع ما انبسط من الأرض واتسع وفيه يكون السراب وقوله يحسبه الظمآن ماء يقول يظن العطشان من الناس السراب ماء حتى اذا جاءه والهاء من ذكر السراب والمعنى حتى اذا جاء الظمآن السراب ملتمسا ماء يستغيث به من عطشه لم يجده شيئا يقول لم يجد السراب شيئا فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه كما حسب الظمآن الذي رأى السراب فظنه ماء يرويه من ظمئه حتى اذا هلك وصار الى الحاجة الى عمله الذي كان يرى أنه نافعه عند الله لم يجده ينفعه شيئا لأنه كان

عمله

عمله على كفر بالله ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالمرصاد فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التى عملها فى الدنيا وجازاه بها جزاءه الذى يستحقه عليها منه فان قال قائل وكيف قيل حتى اذا جاءه لم يجده شيأ فان لم يكن السراب شيأ فعلام أدخلت الهاء فى قوله حتى اذا جاءه قيل انه شئ يرى من بعيد كالضباب الذى يرى كثيفا من بعيد والهباء فاذا قرب منه المرء رق وصار كالهواء وقد يحتمل أن يكون معناه حتى اذا جاء موضع السراب لم يجد السراب شيأ فاكتفى بذكر السراب من ذكر موضعه والله سريع الحساب يقول والله سريع حسابه لأنه تعالى ذكره لا يحتاج الى عقد أصابع ولا حفظ بقلب ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمله العبد ومن بعد ما عمله * وبنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الأعلى بن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال ثم ضرب مثلا آخر فقال والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة قال وكذلك الكافر يجىء يوم القيامة وهو يحسب أن له عند الله خيرا فلا يجد فيدخله النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن أبى العالية عن أبى بن كعب بنحوه حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله أعمالهم كسراب بقيعة يقول الأرض المستوية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة الى قوله والله سريع الحساب قال هو مثل ضربه الله لرجل عطش فاشتد عطشه فرأى سرابا فحسبه ماء فطلبه وظن أنه قد قدر عليه حتى أتاه فلما أتاه لم يجده شيأ وقبض عند ذلك يقول الكافر كذلك يحسب أن عمله مغن عنه أو نافعه شيأ ولا يكون آتيا على شئ حتى يأتيه الموت فاذا أتاه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيأ ولم ينفعه الا كما نفع العطشان المشتد الى السراب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله كسراب بقيعة قال بقاع من الارض والسراب عمله زاد الحرث فى حديثه عن الحسن والسراب عمل الكافر اذا جاءه لم يجده شيأ اتيانه اياه موته وفراقه الدنيا ووجد الله عند فراقه الدنيا فوفاه حسابه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله كسراب بقيعة قال بقيعة من الأرض يحسبه الظمآن ماء هو مثل ضربه الله لعمل الكافر يقول يحسب أنه فى شئ كما يحسب هذا السراب ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ وكذلك الكافر اذا مات لم يجد عمله شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين كفروا الى قوله ووجد الله عنده قال هذا مثل ضربه الله للذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة قد رأى السراب ووثق بنفسه أنه ماء فلما جاءه لم يجده شيأ قال وهؤلاء ظنوا أن أعمالهم صالحة وأنهم سيرجعون منها الى خير فلم يرجعوا منها الا كما رجع صاحب السراب فهذا مثل ضربه الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده

---

النساء اللواتى خرجن عن محل الفتنة والتهمة فقال (والقواعد) وهى جمع قاعد بغير هاء كالحائض والطالق وقد زعم صاحب الكشاف أنها جمع قاعدة بالهاء وفيه نظر لانه من أوصاف النساء الخاصة بهن سميت بذلك لقعودها عن الحيض والولد لكبرها ولذلك أكد بقوله (اللاتى لا يرجون نكاحا) أى لا يطمعن فيه لعدم من يرغب فيهن وليست من القعود بمعنى الجلوس حتى يحتاج الى الفرق بين المذكر والمؤنث ولا شبهة أنه لا يحل لهن وضع كل ثيابهن لما فيه من كشف كل عورة فلذلك قال المفسرون المراد بالثياب ههنا الجلباب والرداء والقناع الذى فوق الخمار وعن ابن عباس أنه قرأ أن يضعن جلابيبهن وعن السدى عن شيوخه يضعن خمرهن عن رؤسهن خصهن الله تعالى بذلك لان التهمة مرتفعة عنهن وقد بلغن هذا المبلغ فلو غلب على ظنهن خلاف ذلك لم يحل لهن وضع شئ من الثياب الظاهرة وانما أبيح وضع الثياب حال كونهن (غير متبرجات بزينة) أى غير مظهرات شيأ من الزين الخفية المذكورة فى قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها لا يغيب منه شئ واختص التبرج فى الاستعمال بتكشف المرأة للرجال وحين ذكر الجائز عقبه بالمستحب تنبيها على اختيار الافضل فى كل باب فقال (وأن يستعففن خير لهن) وذلك أنهن فى الجملة مظنة شهوة وفتنة وان عرض عارض الكبر والنحول فلكل ساقطة لاقطة وسئل بعض الظرفاء المذكورين عن حكمة تستر النساء فقال لانهن محل فتنة وشهوة فقيل فعلى هذا كان ينبغى أن لا يحسن تكليف العجائز بالتستر فأجاب بأنه كان يلزم اذ ذاك مصيبتان احداهما عدم رؤية الحسان والثانية لزوم رؤية القباح ثم ختم السورة بسائر الصور التى يعتبر فيها الاذن فقال (ليس على الاعمى حرج) نفى الحرج عن الاصناف الثلاثة ذوى العاهات ثم قال (ولا على أنفسكم أن تأكلوا) فذهب ابن زيد الى أن المراد نفى الحرج عنهم فى القعود عن الجهاد ثم عطف على ذلك أنه لا حرج عليكم أن تأكلوا من البيوت

المذكرة ووجه صحة العطف التقاء الطائفتين فى أن كل واحدة منهما منفى عنها الحرج قال جار الله مثال هذا أن يستفتيك مسافر عن الافطار فى رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج أن يفطر ولا عليك يا حاج أن تقدم الحلق على النحر وقال آخرون كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء ( ٦١ أ ) وذوى الآفات الى بيوت أزواجهم وأولادهم والى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب الكل ريبة خوفا من أن يكون أكلا بغير حق لقوله تعالى لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على هؤلاء الضعفاء ولا على أنفسكم يعنى عليكم وعلى من فى مثل حالكم من المؤمنين حرج فى ذلك قال قتادة كانت الانصار فى أنفسها قزازة وكانت لا تأكل من هذه البيوت اذا استغنوا والقزازة احتراز مع القزة وهى مدح والكزازة ذم وروى الزهرى عن سعيد بن المسيب وغيره أن المسلمين كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء فى بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون كما يحكى عن الحرث بن عمرو أنه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد فى ماله وبيته فلما رجع رآه مجهودا فقال ما أصابك قال لم يكن عندى شئ ولم يحل لى أن آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت قال الأكثرون كان هؤلاء الضعفاء يتوقون مجالسة الناس ومواكلتهم فيقول الاعمى انى لا أرى شيأ فربما آخذ الاجود وأترك الردىء والأعرج يفسح فى مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة أو غيرها من أسباب الكراهة وأيضا كان المؤمنون يقولون الأعمى لا يبصر الطعام الجيد ولا يأكله والاعرج لا يتمكن من الجلوس فلا يقدر على الاكل مما ينبغى والمريض لا يتأتى له أن يأكل كما يأكل الاصحاء فقيل ليس على هؤلاء ولا عليكم فى المؤاكلة حرج ثم انه تعالى عدد من مواضع الاكل أحد عشر موضعا الاول قوله (من بيوتكم) وفيه سؤال وهو أنه أى فائدة فى اباحة أكل الانسان طعامه من بيته والجواب أراد من بيوت أزواجكم وعيالكم

لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار يقول تعالى ذكره ومثل أعمال هؤلاء الكفار فى أنها عملت على خطا وفساد وضلالة وحيرة من عمالها فيها وعلى غير هدى مثل ظلمات فى بحر لجى ونسب البحر الى اللجة وصفا له بأنه عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه يغشاه موج يقول يغشى البحر موج من فوقه موج يقول من فوق الموج موج آخر يغشاه من فوقه سحاب يقول من فوق الموج الثانى الذى يغشى الموج الأول سحاب فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم والبحر اللجى مثلا لقلب الكافر يقول عمل بنية قلب قد غمره الجهل وتغشته الضلالة والحيرة كما يغشى هذا البحر اللجى موج من فوقه موج من فوقه سحاب فكذلك قلب هذا الكافر الذى مثل عمله مثل هذه الظلمات يغشاه الجهل بالله بأن الله ختم عليه فلا يعقل عن الله وعلى سمعه فلا يسمع مواعظ الله وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله فتلك ظلمات بعضها فوق بعض * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب الى قوله من نور قال يعنى بالظلمات الأعمال وبالبحر اللجى قلب الانسان قال يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب قال ظلمات بعضها فوق بعض يعنى بذلك الغشاوة التى على القلب والسمع والبصر وهو كقوله ختم الله على قلوبهم الآية وكقوله أفرأيت من اتخذ الهه هواه الى قوله أفلا تذكرون **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أو كظلمات فى بحر لجى عميق وهو مثل ضربه الله للكافر يعمل فى ضلالة وحيرة قال ظلمات بعضها فوق بعض وروى عن أبى بن كعب ما **حدثنى** عبد الأعلى ابن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب فى قوله أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج الآية قال ضرب مثلا آخر للكافر فقال أو كظلمات فى بحر لجى الآية قال فهو يتقلب فى خمس من الظلم فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة الى النار **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن أبى الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب بنحوه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج الى قوله ظلمات بعضها فوق بعض قال شر بعضه فوق بعض وقوله اذا أخرج يده لم يكد يراها يقول اذا أخرج الناظر يده فى هذه الظلمات لم يكد يراها فان قال لنا قائل وكيف قيل لم يكد يراها مع شدة هذه الظلمة التى وصف وقد علمت أن قول القائل لم أكد أرى فلانا انما هو اثبات منه لنفسه رؤيته بعد جهد وشدة ومن دون الظلمات التى وصف فى هذه الآية ما لا يرى الناظر يده اذا أخرجها فيه فكيف فيها قيل فى ذلك أقوال نذكرها ثم نخبر بالصواب من ذلك أحدها أن يكون معنى الكلام اذا أخرج يده رائيا لها لم يكد يراها أى لم يعرف من أين يراها فيكون من المقدم الذى معناه التأخير ويكون تأويل الكلام على ذلك اذا أخرج يده لم يقرب أن يراها والثانى أن يكون معناه اذا أخرج يده لم يرها ويكون قوله لم يكد

في

لان بيت المرأة بيت الزوج قاله الفراء وقال ابن قتيبة أراد بيوت أولادهم ولهذا لم يذكر الأولاد في جملة الأقارب وان الولد أقرب الاقربين لانه بعض الرجل وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه وباقي البيوت لا اشكال فيها الى البيت العاشر وهو قوله (أو ما ملكتم مفاتحه) وفيه وجوه أحدها قال ابن عباس وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتيح كونها في يده وحفظه وثانيها قال الضحاك يريد الزمنى الذين يخلفون الغزاة وثالثها قيل أراد بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه الحادي عشر قوله (أو صديقكم) ومعناه أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا كالعدو وعن الحسن أنه دخل داره واذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الاطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد أكابر الصحابة وعن جعفر الصادق بن محمد عليه السلام من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الانس والثقة والانبساط بمنزلة النفس والاب والاخ والابن قال العلماء اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستأذن صاحبه في الاكل منه احتج أبو يوسف بالآية على أنه لا قطع على من سرق من ذي رحم محرم وذلك أنه تعالى أباح الاكل من بيوتهم ودخولها بغير اذن فلا يكون ماله محرزا منهم وأورد عليه أن لا يقطع اذا سرق من صديقه فأجاب بأن السارق لا يكون صديقا للمسروق منه واعلم أن ظاهر الآية دل على أن اباحة الاكل من هذه المواضع لا تتوقف على الاستئذان فعن قتادة أن الاكل مباح ولكن لا يحمل وجمهور العلماء أنكروا ذلك فقيل كان ذلك مباحا في صدر الاسلام ثم نسخ ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه ومما يدل على هذا النسخ قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وقال أبو مسلم هذا في الاقارب الكفرة وفي هذه الآية اباحة ما حظر وفي قوله لا تجد قوما يؤمنون

في دخوله في الكلام نظير دخول الظن فيما هو يقين من الكلام كقوله وظنوا ما لهم من محيص ونحو ذلك والثالث أن يكون قد رآها بعد بطء وجهد كما يقول القائل لآخر ما كدت أراك من الظلمة وقد رآه ولكن بعد اياس وشدة وهذا القول الثالث أظهر معاني الكلمة من جهة ما تستعمل العرب أكاد في كلامها والقول الآخر الذي قلنا انه يتوجه الى أنه بمعنى لم يرها قول أوضح من جهة التفسير وهو أخفى معانيه وانما حسن ذلك في هذا الموضع أعني أن يقول لم يكد يراها مع شدة الظلمة التي ذكر لان ذلك مثل لا خبر عن كائن كان ومن لم يجعل الله له نورا يقول من لم يرزقه الله ايمانا وهدى من الضلالة ومعرفة بكتابه فما له من نور يقول فما له من ايمان وهدى ومعرفة بكتابه

القول في تأويل قوله تعالى (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تنظر يا محمد بعين قلبك فتعلم أن الله يصلي له من في السموات والارض من ملك وانس وجن والطير صافات في الهواء أيضا تسبح له كل قد علم صلاته وتسبيحه (٢) والتسبيح عندك صلاة فيقال قيل ان الصلاة لبني آدم والتسبيح لغيرهم من الخلق ولذلك فصل فيما بين ذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنى عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه قال والصلاة للانسان والتسبيح لما سوى ذلك من الخلق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه قال صلاته للناس وتسبيحه عامة لكل شئ ويتوجه قوله كل قد علم صلاته وتسبيحه لوجوه أحدها أن تكون الهاء التي في قوله صلاته وتسبيحه من ذكر كل فيكون تأويل الكلام كل مصل ومسبح منهم قد علم الله صلاته وتسبيحه ويكون الكل حينئذ مرتفعا بالعائد من ذكره في قوله كل قد علم صلاته وتسبيحه وهو الهاء التي في الصلاة والوجه الآخر أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح أيضا للكل ويكون الكل مرتفعا بالعائد من ذكره عليه في علم ويكون علم فعلا للكل فيكون تأويل الكلام حينئذ قد علم كل مصل ومسبح منهم صلاة نفسه وتسبيحه الذي كلفه وألزمه والوجه الآخر أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح من ذكر الله والعلم للكل فيكون تأويل الكلام حينئذ قد علم كل مسبح ومصل صلاة الله التي كلفه اياها وتسبيحه وأظهر هذه المعاني الثلاثة على هذا الكلام المعنى الاول وهو أن يكون المعنى كل مصل منهم ومسبح قد علم الله صلاته وتسبيحه وقوله والله عليم بما يفعلون يقول تعالى ذكره والله ذو علم بما يفعل كل مصل ومسبح منهم لا يخفى عليه شئ من أفعالهم طاعتها ومعصيتها محيط بذلك كله وهو مجازيهم على ذلك كله وقوله ولله ملك السموات والارض يقول جل ثناؤه ولله سلطان السموات والارض وملكها دون كل من هو دونه من

(٢) يظهر أن في الكلام سقطا يدرك من قوله فيقال قيل الخ تأمل كتبه مصححه

بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله وقيل ان هؤلاء القوم كانت تطيب أنفسهم بأكل من يدخل عليهم والعادة كالاذن فى ذلك فلا جرم خصهم الله بالذكر لأن هذه العادة فى الأغلب توجد فيهم ولذلك ضم اليهم الصديق واذا علمنا أن الاباحة انما حصلت فى هذه الصورة لاجل حصول الرضا فلا حاجة الى القول بالنسخ (١٨ ١ ١) وحين نفى الحرج عنهم فى نفس الاكل أراد أن ينفى الحرج عنهم فى كيفية الاكل فقال (ليس عليكم جناح أن تأكلوا) وانتصب قوله (جميعا أو أشتاتا) على الحال أى مجتمعين أو متفرقين والأشتات جمع شت وهو نعت وقيل مصدر وصف به ثم أجمع أكثر المفسرين ومنهم ابن عباس على أنها نزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرّجون عن الانفراد فى الطعام فربما قعد الرجل منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل وقال عكرمة وأبو صالح نزلت فى قوم من الانصار لا يأكلون الا مع ضيفهم وقال الكلبى كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى طعاما على حدة وكذلك الزمن والمريض فبين الله لهم أن ذلك غير واجب وقال آخرون كانوا يأكلون فرادى خوفا من أن يحصل عند الجمعية ما ينفر أو يؤذى فرفع الله الحرج ثم علمهم أدبا جميلا قائلا (واذا دخلتم بيوتا) أى من البيوت المذكورة لتأكلوا (فسلموا على أنفسكم) أى ابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة وانتصب (تحية) بسلموا نحو قعدت جلوسا ومعنى (من عند الله) أنها ثابتة من عنده مشروعة من لدنه أو أراد أن التحية طلب حياة للمخاطب من عند الله وكذا التسليم طلب السلامة له من عنده ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وتضعيف الثواب عن أنس قال كنت واقفا على رأس النبى صلى الله عليه وسلم أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبى وأمى يارسول الله قال متى لقيت من أمتى أحدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوّابين قال العلماء ان لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا

بذلك

---

سلطان وملك فاياه فارهبوا أيها الناس واليه فارغبوا الا الى غيره فان بيده خزائن السموات والارض لا يخشى بعطاياكم منها فقرا والى الله المصير يقول وأنتم اليه بعد وفاتكم مصيركم ومعادكم فيوفيكم أجور أعمالكم التى عملتموها فى الدنيا فأحسنوا عبادته واجتهدوا فى طاعته وقدموا لأنفسكم الصالحات من الاعمال ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لأولى الابصار﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد أن الله يزجى يعنى يسوق سحابا حيث يريد ثم يؤلف بينه يقول ثم يؤلف بين السحاب وأضاف بين الى السحاب ولم يذكر معه غيره وبين لا تكون مضافة الا الى جماعة أو اثنين لان السحاب فى معنى جمع واحده سحابة كما يجمع النخلة نخل والتمرة تمر فهو نظير قول قائل جلس فلان بين النخل وتأليف الله السحاب جمعه بين متفرقها وقوله ثم يجعله ركاما يقول ثم يجعل السحاب الذى يزجيه ويؤلف بعضه الى بعض ركاما يعنى متراكما بعضه على بعض وقد حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا خالد قال ثنا مطر عن حبيب بن أبى ثابت عن عبيد بن عمير الليثى قال الرياح أربع يبعث الله الريح الاولى فتقم الارض قما ثم يبعث الثانية فتنشئ سحابا ثم يبعث الثالثة فتؤلف بينه فتجعله ركاما ثم يبعث الرابعة فتمطره وقوله فترى الودق يخرج من خلاله يقول فترى المطر يخرج من بين السحاب وهو الودق قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها ۞ ولا أرض أبقل ابقالها

والهاء فى قوله من خلاله من ذكر السحاب والخلال جمع خلل وذكر عن ابن عباس وجماعة أنهم كانوا يقرؤن ذلك من خلله حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمى بن عمارة قال ثنا شعبة قال ثنا قتادة عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأ هذا الحرف فترى الودق يخرج من خلاله من خلله ۞ قال ثنا شعبة قال أخبرنى عمارة عن رجل عن ابن عباس أنه قرأ هذا الحرف فترى الودق يخرج من خلاله من خلله حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال أخبرنى عمارة بن أبى حفصة عن رجل عن ابن عباس أنه قرأها من خلله بفتح الخاء من غير ألف ۞ قال هرون فذكرت ذلك لأبى عمرو فقال انها لحسنة ولكن خلاله أعم وأما قراء الامصار فانهم على القراءة الاخرى من خلاله وهى التى نختار لاجماع الحجة من القراء عليها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فترى الودق يخرج من خلاله قال الودق القطر والخلال السحاب وقوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد قيل فى ذلك قولان أحدهما أن معناه وأن الله ينزل من السماء من جبال فى السماء من برد مخلوقة هنالك خلقة كأن الجبال على هذا القول هى من برد كما يقال جبال من طين والقول الآخر أن الله ينزل من السماء قدر جبال وأمثال جبال من برد الى الارض كما يقال عندى بيتان تبنا والمعنى قدر بيتين من التبن والبيتان ليسا من التبن وقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يقول فيعذب

بذلك الذي ينزل من السماء من جبال فيها من برد من يشاء فيهلكه أو يهلك به زروعه وماله ويصرفه عمن يشاء من خلقه يعني عن زروعهم وأموالهم وقوله يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقول يكاد شدة ضوء برق هذا السحاب يذهب بأبصار من لاقى بصره والسنا مقصور وهو ضوء البرق كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله يكاد سنا برقه قال ضوء برقه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله يكاد سنا برقه يقول لمعان البرق يذهب بالابصار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يكاد سنا برقه يذهب بالابصار قال سناه ضوءه يذهب بالابصار وقرأت قراء الامصار يكاد سنا برقه يذهب بفتح الياء من يذهب سوى أبي جعفر القارئ فانه قرأه بضم الياء يذهب بالابصار والقراءة التي لا أختار غيرها هي فتحها لاجماع الحجة من القراء عليها وأن العرب اذا أدخلت الباء في مفعول ذهبت لم يقولوا الا ذهبت به دون أذهبت به واذا أدخلوا الالف في أذهبت لم يكادوا أن يدخلوا الباء في مفعوله فيقولون أذهبته وذهبت به وقوله يقلب الله الليل والنهار يقول يعقب الله بين الليل والنهار ويصرفهما اذا أذهب هذا جاء هذا واذا أذهب هذا جاء هذا ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار يقول ان في انشاء الله السحاب وانزاله منه الودق ومن السماء البرد وفي تقليبه الليل والنهار لعبرة لمن اعتبر به وعظة لمن اتعظ به ممن له فهم وعقل لان ذلك ينبئ ويدل على أن له مدبرا ومصرفا ومقلبا لا يشبهه شيء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله والله خلق كل دابة من ماء فقرأته عامة قراء الكوفة غير عاصم والله خالق كل دابة وقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وعاصم والله خلق كل دابة بنصب كل وخلق على مثال فعل وهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى وذلك أن الاضافة في قراءة من قرأ ذلك خالق تدل على أن معنى ذلك المضي فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله خلق كل دابة من ماء يعني من نطفة فمنهم من يمشي على بطنه كالحيات وما أشبهها وقيل انما قيل فمنهم من يمشي على بطنه والمشي لا يكون على البطن لان المشي انما يكون لما له قوائم على التشبيه وأنه لما خالط ماله قوائم ما لا قوائم له جاز كما قال ومنهم من يمشي على رجلين كالطير ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم فان قال قائل فكيف قيل فمنهم من يمشي ومن للناس وكل هذه الاجناس أو أكثرها لغيرهم قيل لانه تفريق ما هو داخل في قوله والله خلق كل دابة وكان داخلا في ذلك الناس وغيرهم ثم قال فمنهم لاجتماع الناس والبهائم وغيرهم في ذلك واختلاطهم فكنى عن جميعهم كنايته عن بني آدم ثم فسرهم بمن اذ كان قد كنى عنهم كناية بني آدم خاصة يخلق الله ما يشاء يقول يحدث الله ما يشاء من الخلق ان الله على كل شيء قدير يقول ان الله على احداث ذلك وخلقه وخلق ما يشاء من الاشياء غيره ذو قدرة لا يتعذر عليه شيء أراد ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم﴾ يقول تعالى ذكره لقد أنزلنا أيها الناس علامات واضحات دالات على طريق الحق



السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ومن صور الاذن قوله سبحانه (انما المؤمنون) الآية والمقصود أن يبين عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه (اذا كانوا معه على أمر جامع) وهو الذي يجمع له الناس فلما كان الامر سبب الجمع وصف به مجازا قال مجاهد هو أمر الحرب ونحوه من الامور التي يعم ضررها ونفعها وقال الضحاك هو الجمعة والاعياد وكل شيء تكون فيه الخطبة وذلك أنه لا بد في الخطوب الجليلة من ذوي رأي وقوة يستعان بهم وبآرائهم وتجاربهم في كفايتها فمفارقة أحدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ويشعب عليه رأيه قال الجبائي في الآية دلالة على أن استئذانهم الرسول من ايمانهم ولولا ذلك لجاز أن يكونوا كاملي الايمان وان تركوا الاستئذان وأجيب بأن ترك الاستئذان من أهل النفاق لا نزاع أنه كفر لانهم تركوه استخفافا قال جار الله ومما يدل على عظم هذه الجناية أنه جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه فيأذن لهم ثالث الايمان بالله والايمان برسوله ومع ذلك صدر الجملة بانما وأوقع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فجعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمان بالله والرسول وفيه تعريض بحال المنافقين وتسللهم لواذا وفي قوله (لبعض شأنهم) دليل على أن أمر الاستئذان مضيق لا يجوز ارتكابه في كل شأن وفي قوله (فأذن لمن شئت منهم) دلالة على أنه تعالى فوض بعض أمر الدين الى اجتهاد الرسول ورأيه وزعم قتادة أنها منسوخة بقوله لم أذنت لهم وفي قوله (واستغفر لهم الله) وجهان أحدهما أن هذا الاستغفار لاجل أنهم تركوا الاولى والافضل وهو أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه والآخر أنه جبر الهم على تمسكهم باذن الله تعالى في الاستئذان ثم حثهم على طاعة رسوله بقوله (لا تجعلوا دعاء الرسول) أي لا تقيسوا دعاءه اياكم لخطب جليل على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي وذلك أن أمره فرض لازم وأمر غيره ليس بفرض وانما هو

أدب مستحسن رعايته مع الأئمة والمتقدمين هذا ما عليه الأكثرون منهم المبرد والقفال وعن سعيد بن جبير لا تنادوه باسمه ولا تقولوا
يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المنخفض وقيل أراد احذروا دعاء الرسول ربه عليكم إذا أسخطتموه
فإن دعاءه موجب ليس كدعاء غيره والتسلل الانسلال والذهاب على سبيل التدرج واللواذ الملاوذة وهو أن يكون



وسبيل الرشاد والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم يقول والله يرشد من يشاء من خلقه بتوفيقه فيهديه إلى دين الإسلام وهو الصراط المستقيم والطريق القاصد الذي لا اعوجاج فيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون﴾ يقول تعالى ذكره ويقول المنافقون صدقنا بالله وبالرسول وأطعنا الله وأطعنا الرسول ثم يتولى فريق منهم يقول ثم تدبر كل طائفة منهم من بعد ما قالوا هذا القول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدعو إلى المحاكمة إلى غيره خصمها وما أولئك بالمؤمنين يقول وليس قائلو هذه المقالة يعني قوله آمنا بالله وبالرسول وأطعنا بالمؤمنين لتركهم الاحتكام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعراضهم عنه إذا دعوا إليه وقوله وإذا دعوا إلى الله ورسوله يقول وإذا دعي هؤلاء المنافقون إلى كتاب الله وإلى رسوله ليحكم بينهم فيما اختصموا فيه بحكم الله إذا فريق منهم معرضون عن قبول الحق والرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون﴾ يقول تعالى ذكره وإن يكن الحق لهؤلاء الذين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم فيأبون ويعرضون عن الإجابة إلى ذلك قبل الذين يدعونهم إلى الله ورسوله يأتوا إلى رسول الله مذعنين يقول مذعنين منقادين لحكمه مقرين به طائعين غير مكرهين يقال منه قد أذعن فلان بحقه إذا أقر به طائعا غير مستكره وانقاد له وسلم وكان مجاهد فيما ذكر عنه يقول في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يأتوا إليه مذعنين قال سراعا وقوله أفي قلوبهم مرض يقول تعالى ذكره أفي قلوب هؤلاء الذين يعرضون إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم شك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لله رسول فهم يمتنعون من الإجابة إلى حكمه والرضا به أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله إذا احتكموا إلى حكم كتاب الله وحكم رسوله وقال أن يحيف الله عليهم ورسوله والمعنى أن يحيف رسول الله عليهم فبدأ بالله تعالى ذكره تعظيما لله كما يقال ما شاء الله ثم شئت بمعنى ما شئت ومما يدل على أن معنى ذلك كذلك قوله وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم فأفرد الرسول بالحكم ولم يقل ليحكما وقوله بل أولئك هم الظالمون يقول ما خاف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله إذا أعرضوا عن الإجابة إلى ذلك مما دعوا إليه أن يحيف عليهم رسول الله فيجور في حكمه عليهم ولكنهم قوم أهل ظلم لأنفسهم بخلافهم أمر ربهم ومعصيتهم الله فيما أمرهم من الرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أحبوا وكرهوا والتسليم له ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾ يقول تعالى ذكره إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دعوا إلى حكم الله وإلى حكم رسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم أن يقولوا سمعنا ما قيل لنا وأطعنا من دعانا إلى ذلك ولم يعن بكان في هذا الموضع الخبر عن أمر قد مضى فيقضي ولكنه تأنيب من الله الذين أنزلت هذه الآية بسببهم وتأديب منه آخرين غيرهم وقوله وأولئك هم المفلحون

هذا بذاك وذاك بهذا وانتصابه على الحال والحاصل أنهم يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة وهو استتار بعضهم ببعض وقيل كان يلوذ من لم يؤذن له بالذي أذن له فينطلق معه قال مقاتل هذا في الخطبة وقال مجاهد في صف القتال وقال ابن قتيبة نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير إذن ومعنى (قد يعلم) يكثر العلم والمبالغة فيه كما مر في البقرة في قوله قد نرى تقلب وجهك يقال خالفته عن القتال أي جبنت عنه وأقدم هو وخالفته إلى القتال أي أقدمت وجبن هو الفتنة المحنة في الدنيا كالقتل أو الزلازل وسائر الأهوال والعذاب الأليم هو عذاب النار وعن جعفر بن محمد عليه السلام الفتنة أن يسلط عليهم سلطان جائر وقال الأصوليون في الآية دلالة على أن ظاهر الأمر للوجوب لأن تارك المأمور به مخالف لذلك الأمر فإن موافقة الأمر عبارة عن الإتيان بمقتضاه والموافقة ضد المخالفة فإذا أخل بمقتضاه كان مخالفا والمخالف مستحق للعقاب بالآية ولا نعني بالوجوب إلا هذا واعترض عليه بأن موافقة الأمر عبارة عن الإتيان بمقتضاه على الوجه الذي يقتضيه الأمر فإن الأمر لو اقتضاه على سبيل الندب وأنت تأتي على سبيل الوجوب كان ذلك مخالفة الأمر ومنع من أن المندوب مأمور به . فإن هذا أول المسئلة والظاهر أن الضمير في أمره للرسول ولو كان لله لم يضر لأنه لا فرق بين أمر الله وأمر رسوله وأمر الرسول متناول عند بعضهم للقول والفعل والطريقة كما يقال أمر فلان مستقيم وعلى هذا فكل ما فعله الرسول فإنه يكون واجبا لينا ثم بين كمال قدرته وعلمه بقوله (ألا إن لله) الخ تأكيدا لوجوب الحذر قال جار الله الخطاب والغيبة في قوله (ما أنتم عليه ويوم يرجعون) كلاهما

للمنافقين على طريقة الالتفات اذ الاول عام والثاني لاهل النفاق وأقول يحتمل أن يكون كلاهما عاما للمنافقين والفاء في قوله (فمنهم) لتلازم ما قبلها وما بعدها كقولك وربك فكبر ۞ التأويل ومن يطع الله ورسوله فيما يدعوانه الى الحضرة بترك ماسوى الله ويخشى الانقطاع عن الله ويتق به عما سواه فأولئك هم الفائزون بالوصول والوصال وصالا ( ٢١ ) بلا انفصال وزوال لئن أمرتهم بالخروج عن غير

المفلحون يقول تعالى ذكره والذين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا المفلحون يقول هم المنجحون المدركون طلباتهم بفعلهم ذلك المخلدون في جنات الله

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾ يقول تعالى ذكره ومن يطع الله ورسوله فيما أمره ونهاه ويسلم لحكمهما له وعليه ويخف عاقبة معصية الله ويحذره ويتق عذاب الله بطاعته اياه في أمره ونهيه فأولئك يقول فالذين يفعلون ذلك هم الفائزون برضا الله عنهم يوم القيامة وأمنهم من عذابه

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون﴾ يقول تعالى ذكره وحلف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله اذ دعوا اليه بالله جهد أيمانهم يقول أغلظ أيمانهم وأشدها لئن أمرتهم يا محمد بالخروج الى جهاد عدوك وعدو المؤمنين ليخرجن قل لا تقسموا لا تحلفوا فان هذه طاعة معروفة منكم فيها التكذيب كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله قل لا تقسموا طاعة معروفة قال قد عرفت طاعتكم الى أنكم تكذبون ان الله خبير بما تعملون يقول ان الله ذو خبرة بما تعملون من طاعتكم الله ورسوله أو خلافكم أمرهما أو غير ذلك من أموركم لا يخفى عليه من ذلك شيء وهو مجازيكم بكل ذلك

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المقسمين بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن وغيرهم من أمتك أطيعوا الله أيها القوم فيما أمركم به ونهاكم عنه وأطيعوا الرسول فان طاعته لله طاعة فان تولوا يقول فان تعرضوا وتدبروا عما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نهاكم عنه وتأبوا أن تذعنوا لحكمه لكم وعليكم فانما عليه ما حمل يقول فانما عليه فعل ما أمر بفعله من تبليغ رسالة الله اليكم على ما كلفه من التبليغ وعليكم ما حملتم يقول وعليكم أيها الناس أن تفعلوا ما ألزمكم وأوجب عليكم من اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاء الى طاعته فيما أمركم ونهاكم وقلنا ان قوله فان تولوا بمعنى فان تتولوا فانه في موضع جزم لانه خطاب للذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم أطيعوا الله وأطيعوا الرسول يدل على أن ذلك كذلك قوله وعليكم ما حملتم ولو كان قوله تولوا فعلا ماضيا على وجه الخبر عن غيب لكان في موضع قوله وعليكم ما حملتم وعليهم ما حملوا وقوله وان تطيعوه تهتدوا يقول تعالى ذكره وان تطيعوا أيها الناس رسول الله فيما يأمركم وينهاكم ترشدوا وتصيبوا الحق في أموركم وما على الرسول الا البلاغ المبين يقول وغير واجب على من أرسله الله الى قوم برسالة الا أن يبلغهم رسالته بلاغا يبين لهم ذلك البلاغ عما أراد الله به يقول فليس على محمد أيها الناس الا أداء رسالة الله اليكم وعليكم الطاعة وان أطعتموه لحظوظ أنفسكم تصيبون وان عصيتموه بأنفسكم فتوبقون

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد

الله طاعة معروفة بالفعل دون القول ليستخلفنهم ليخرجن ما في استعدادهم من خلافة الله في أرض البشرية من القوة الى الفعل وليمكنن كل صنف حمل الامانة المودعة فيه على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم فمنهم حفاظ لاخبار النبي صلى الله عليه وسلم وللقرآن ومنهم علماء الاصول ومنهم علماء الفروع ومنهم أهل المعرفة وأصحاب الحقائق وأرباب السلوك الكاملون المكملون وانهم خلفاء الله على الحقيقة وأقطاب العالم وأوتاد الارض وليبدلنهم من بعد خوفهم من الشرك الخفي أمنا يعبدونني بالاخلاص لا يشركون بي شيأ من مطالب الدنيا والآخرة ليستأذنكم المريدون الذين هم تحت تصرفكم والذين لم يبلغوا أوان الشيخوخة ثلاث مرات في المبادي وفي أوساط السلوك وفي نهاية أمرهم فاذا صلحت أحوالهم في هذه الاوقات صلح سائرها في الاغلب والله المستعان والقواعد فيه اشارة الى أن المريد اذا صار بحيث أمن منه افشاء الاسرار وما استودع فيه من متولدات الاحوال فلا ضير عليه أن لا يبالغ في التستر والاخفاء من الاغيار والكتمان خير له ليس على الاعمى حرج قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية رضي الله عنه فيه اشارة الى أن من لا يبصر الا بالله ولا يمشي الا بالله ولا يعلم الا بالله فانهم مخصوصون بالسكون بكينونة الله كما قال كنت له سمعا الحديث فانهم مستعدون لقبول الفيض الالهي وهم السابقون المقربون فلا حرج في الشرع على من يكون مستعدا لهذا الكمال فان الله لا يكلف نفسا الا وسعها وفي قوله ولا على أنفسكم الخ اشارة الى أنه لا حرج على أرباب النفوس على أن يكونوا كلهم من بيوتهم أو بيوت أبناء جنسهم وهي

الجنات ومراتبها كما قال فيها ما تشتهي الانفس وفي قوله أو ما ملكتم مفاتحه اشارة الى أن درجات الجنة مساكن أهل المكاسب كما أن مقامات أهل القرب عند مليك مقتدر منازل أهل المواهب قوله أو صديقكم فيه أن درج الجنان ينالها المرء ببركة جليسه الصالح وقد ينعكس نور ولاية الشيخ على مرآة قلب المريد الصادق فينال  به مرتبة لم يكن يصل اليها بمجرد أعماله ليس عليكم جناح فيه أنه لا حرج على أهل الجنة أن تكونوا كلهم من درجة واحدة أو من درجات شتى فاذا دخلتم بيوتا أي بلغتم منزلا من المنازل فسلموا أي استسلموا لأحكام الربوبية بمزيد العبودية حتى ترتقوا منها الى منازل أعلى وأطيب انما المؤمنون فيه أن المريد الصادق ينبغي أن لا يتنفس الا باذن شيخه فان الشيخ في قومه كالنبي في أمته أن تصيبهم فتنة من المال أو الجاه أو قبول الخلق أو التزويج أو السفر باذن الشيخ أو التردد على أبواب الملوك ونحو ذلك وما العصمة الا من واهبها وهو المستعان

﴿سورة الفرقان مكية غير آية نزلت بطائف ألم تر الى ربك حروفها ٣٧٨٠ كلمها ٨٧٢ آياتها ٧٧﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد

خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ يقول تعالى ذكره وعد الله الذين آمنوا بالله ورسوله منكم أيها الناس وعملوا الصالحات يقول وأطاعوا الله ورسوله فيما أمراه ونهياه ليستخلفنهم في الارض يقول ليورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها كما استخلف الذين من قبلهم يقول كما فعل من قبلهم ذلك ببني اسرائيل اذ أهلك الجبابرة بالشأم وجعلهم ملوكها وسكانها وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم يقول وليوطئن لهم دينهم يعني ملتهم التي ارتضاها لهم فأمرهم بها وقيل وعد الله الذين آمنوا ثم تلقى ذلك بجواب اليمين بقوله ليستخلفنهم لأن الوعد قول يصلح فيه أن وجواب اليمين كقوله وعدتك أن أكرمك ووعدتك لأكرمنك واختلف القراء في قراءة قوله كما استخلف فقرأته عامة القراء كما استخلف بفتح التاء واللام بمعنى كما استخلف الله الذين من قبلهم من الامم وقرأ ذلك عاصم كما استخلف بضم التاء وكسر اللام على مذهب ما لم يسم فاعله واختلفوا أيضا في قراءة قوله وليبدلنهم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار سوى عاصم وليبدلنهم بتشديد الدال بمعنى وليغيرن حالهم عما هي عليه من الخوف الى الامن والعرب تقول قد بدل فلان اذا غيرت حاله ولم يأت مكان فلان غيره وكذلك كل مغير عن حاله فهو عندهم مبدل بالتشديد وربما قيل بالتخفيف وليس بالفصيح فأما اذا جعل مكان الشيء المبدل غيره فذلك بالتخفيف أبدلته فهو مبدل وذلك كقولهم أبدل هذا الثوب أي جعل مكانه آخر غيره وقد يقال بالتشديد غير أن الفصيح من الكلام ما وصفت وكان عاصم يقرؤه وليبدلنهم بتخفيف الدال والصواب من القراءة في ذلك التشديد على المعنى الذي وصفت قبل لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وأن ذلك تغيير حال الخوف الى الامن وأرى عاصما ذهب الى أن الأمن لما كان خلاف الخوف وجه المعنى الى أنه ذهب بحال الخوف وجاء بحال الامن فخفف ذلك ومن الدليل على ما قلنا من أن التخفيف انما هو ما كان في ابدال شيء مكان آخر قول أبي النجم

* عزل الامير للامير المبدل *

وقوله يعبدونني يقول يخضعون لي بالطاعة ويتذللون لأمري ونهيي لا يشركون بي شيأ يقول لا يشركون في عبادتهم اياي الأوثان والأصنام ولا شيأ غيرها بل يخلصون لي العبادة فيفردونها الي دون كل ما عبد من شيء غيري وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل شكاية بعض أصحابه اليه في بعض الاوقات التي كانوا فيها من العدو في خوف شديد مما هم فيه من الرعب والخوف وما يلقون بسبب ذلك من الاذى والمكروه ذكر الرواية بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية قوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الآية قال مكث النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين خائفا يدعو الى الله سرا وعلانية قال ثم أمر بالهجرة الى المدينة قال فمكث بها هو وأصحابه خائفون يصبحون في السلاح ويمسون فيه فقال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فأنزل الله هذه الآية وعد الله الذين آمنوا منكم الى قوله فمن كفر بعد ذلك قال يقول من كفر بهذه النعمة فأولئك هم الفاسقون وليس يعني الكفر بالله قال فأظهره الله على

جزيرة

سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل أذلك
خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا ويوم يحشرهم وما يعبدون
من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك (١٣١) ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء

جزيرة العرب فآمنوا ثم تجبروا فغير الله ما بهم وكفروا بهذه النعمة فأدخل الله عليهم الخوف الذي
كان رفعه عنهم قال القاسم قال أبو علي بقتلهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ❊ واختلف أهل
التأويل في معنى الكفر الذي ذكره الله في قوله فمن كفر بعد ذلك فقال أبو العالية ما ذكرنا عنه من
أنه كفر بالنعمة لا كفر بالله وروي عن حذيفة في ذلك ما حدثنا به ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن
قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبي الشعثاء قال كنت جالسا مع حذيفة وعبد الله بن مسعود فقال
حذيفة ذهب النفاق وإنما كان النفاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هو الكفر
بعد الايمان قال فضحك عبد الله فقال لم تقول ذلك قال علمت ذلك قال وعد الله الذين آمنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض حتى بلغ آخرها حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن
أبي عدي قال ثنا شعبة عن أبي الشعثاء قال قعدت الى ابن مسعود وحذيفة فقال حذيفة
ذهب النفاق فلا نفاق وإنما هو الكفر بعد الايمان فقال عبد الله تعلم ما تقول قال فتلا هذه الآية
إنما كان قول المؤمنين حتى بلغ فأولئك هم الفاسقون قال فضحك عبد الله قال فلقيت أبا الشعثاء
بعد ذلك بأيام فقلت من أي شيء ضحك عبد الله قال لا أدري ان الرجل ربما ضحك من الشيء الذي
يعجبه وربما ضحك من الشيء الذي لا يعجبه فمن أي شيء ضحك لا أدري والذي قاله أبو العالية من
التأويل أشبه بتأويل الآية وذلك أن الله وعد الانعام على هذه الامة بما أخبر في هذه الآية أنه منعم
به عليهم ثم قال عقيب ذلك فمن كفر هذه النعمة بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يعبدونني لا يشركون بي
شيأ قال تلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا
سفيان عن ليث عن مجاهد أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ قال لا يخافون غيري ❊ القول
في تأويل قوله تعالى ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن
الذين كفروا معجزين في الارض ومأواهم النار ولبئس المصير﴾ يقول تعالى ذكره وأقيموا أيها
الناس الصلاة بحدودها فلا تضيعوها وآتوا الزكاة التي فرضها الله عليكم أهلها وأطيعوا رسول ربكم
فيما أمركم ونهاكم لعلكم ترحمون يقول كي يرحمكم ربكم فينجيكم من عذابه وقوله لا تحسبن الذين
كفروا معجزين في الارض يقول تعالى ذكره لا تحسبن يا محمد الذين كفروا بالله معجزيه في الأرض
اذا أراد إهلاكهم ومأواهم بعد هلاكهم النار ولبئس المصير الذي يصيرون اليه ذلك المأوى وقد
كان بعضهم يقول لا يحسبن الذين كفروا بالياء وهو مذهب ضعيف عند أهل العربية وذلك أن
تحسب محتاج الى منصوبين واذا قرئ يحسبن لم يكن واقعا الا على منصوب واحد غير أني أحسب أن
قائله بالياء ظن أنه قد عمل في معجزين وأن منصوبه الثاني في الارض وذلك لا معنى له ان كان ذلك
قصد ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم
والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة
ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم
بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى

ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا
الذكر وكانوا قوما بورا فقد
كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون
صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه
عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك من
المرسلين الا إنهم ليأكلون الطعام
ويمشون في الاسواق وجعلنا
بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان
ربك بصيرا ❊ القراآت جنة نأكل
بالنون حمزة وعلي وخلف الباقون
بالياء التحتانية ويجعل لك بالرفع
ابن عامر وأبو بكر وحماد والمفضل
وابن كثير الباقون بالجزم وذلك
أن الشرط اذا وقع ماضيا جاز في
جزائه الرفع والجزم يحشرهم
فيقول كلاهما بالياء ابن كثير
ويزيد وسهل ويعقوب وعباس
وحفص وقرأ ابن عامر بالنون
فيهما الباقون بالنون في الاول
وبالياء في الثاني أن يتخذ على
البناء للمفعول زيد ويزيد بما
تقولون بتاء الخطاب يعقوب وعباس
وحفص والسرندبي عن قنبل
تستطيعون على الخطاب حفص
غير الخراز ❊ الوقوف نذيرا ○
لا بناء على أن ما بعده بدل من الذي
نزل والتعليل من تمام الصلة ولو
قدر رفعه أو نصبه على المدح جاز
الوقف تقديرا ○ ولا نشورا ○
آخرون ج لاجل الفاء مع اختلاف
القائل أو لاحتمال أن يكون فقد
جاؤا من قول الكفار أي جاء محمد
ومن أعانه بظلم وزور وزورا ○ ج
للاحتمال المذكور أو لعطف
المتفقتين مع عوارض وطول الكلام وأصيلا ○ والارض ط رحيما ○ الاسواق ط نذيرا ○ منها ط مسحورا ○ سبيلا ○
الانهار لا لمن جعل رفع يجعل على الاستئناف قصورا ○ سعيرا ○ لاحتمال كون ما بعده صفة أو استئنافا وزفيرا ○ ثبورا الاول
○ ط كثيرا ○ المتقون ط لانتهاء الاستفهام مصيرا ○ خالدين ط مسؤلا ○ السبيل ○ الذكر ج لجواز أن يكون المراد

بقوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم فقال بعضهم عنى بذلك الرجال دون النساء ونهوا عن أن يدخلوا عليهم في هذه الاوقات الثلاثة هؤلاء الذين سموا في هذه الآية الا باذن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن نافع عن ابن عمر قوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال هي على الذكور دون الاناث * وقال آخرون بل عنى به الرجال والنساء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن في قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال هي في الرجال والنساء يستأذنون على كل حال بالليل والنهار * وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال عنى به الذكور والاناث لان الله عم بقوله الذين ملكت أيمانكم جميع أملاك أيماننا ولم يخصص منهم ذكرا ولا أنثى فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل فتأويل الكلام يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ليستأذنكم في الدخول عليكم عبيدكم واماؤكم فلا يدخلوا عليكم الا باذن منكم لهم والذين لم يبلغوا الحلم منكم يقول والذين لم يحتلموا من أحراركم ثلاث مرات يعني ثلاث مرات في ثلاثة أوقات من ساعات ليلكم ونهاركم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال عبيدكم المملوكون والذين لم يبلغوا الحلم منكم قال لم يحتلموا من أحراركم قال ابن جريج قال لي عطاء بن أبي رباح فذلك على كل صغير وصغيرة أن يستأذن كما قال ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء قال وهي العتمة قلت فاذا وضعوا ثيابهم بعد العتمة استأذنوا عليهم حتى يصبحوا قال نعم قلت لعطاء هل استئذانهم الا عند وضع الناس ثيابهم قال لا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن صالح بن كيسان ويعقوب بن عتبة واسمعيل بن محمد قالوا لا استئذان على خدم الرجل عليه الا في العورات الثلاث حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم يقول اذا خلا الرجل بأهله بعد صلاة العشاء فلا يدخل عليه خادم ولا صبي الا باذن حتى يصلي الغداة فاذا خلا بأهله عند صلاة الظهر فمثل ذلك حدثني يونس ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني قرة بن عبد الرحمن عن ابن شهاب عن ثعلبة عن أبي مالك القرظي أنه سأل عبد الله بن سويد الحارثي وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاذن في العورات الثلاث فقال اذا وضعت ثيابي من الظهيرة لم يلج علي أحد من الخدم الذي بلغ الحلم ولا أحد ممن لم يبلغ الحلم من الاحرار الا باذن حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول قال ابن عباس ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقال ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقال الناس أكرمكم أعظمكم بيتا ونسيت الثالثة حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن في هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال كان الحسن يقول اذا أبات الرجل خادمه معه فهو اذنه وان لم يبته معه استأذن في هذه الساعات حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيي بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثني موسى بن أبي عائشة عن الشعبي

---

وقد كانوا لجواز أن يراد وصار وافيتصل بقوله بورا ٥ تقولون ٥ الا لمن قرأ تستطيعون بتاء الخطاب نصيرا ج ٥ للشرط مع العطف كبيرا ٥ في الاسواق ط فتنة ط أتصبرون ج لاحتمال كون الواو للحال بصيرا ٥ ❁ التفسير انه سبحانه تكلم في هذه السورة أولا في التوحيد لانه أقدم وأهم ثم في النبوة لانها الواسطة ثم في المعاد وسيختم السورة بصفات العباد المخلصين الموقنين فما أشرف هذه المطالب وما أحسن هذا الترتيب ومعنى (تبارك) كثر خيره وزاد أو تعالى عن أوصاف الممكنات وقد مر في قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين وفي وصفه نفسه بتنزيل الفرقان الفارق بين الحق والباطل أو المفرق في الانزال بعد قوله تبارك دليل على أن كل البركة والخير انما هو في القرآن وكانت هذه الصفة معلومة بدلائل الاعجاز فلذلك صح ايقاعها صلة للذي والضمير في (ليكون) لعبده أو للفرقان كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والعالمون يشمل الخلائق كلهم الا أن الاجماع دل على خروج الملائكة وما عدا الثقلين فبقي أن يكون مبعوثا الى الجن والانس الى آخر مدة التكليف والنذير المنذر أو الانذار كالنكير قالت المعتزلة لو لم يرد الايمان من الكل لم يكن الرسول نذيرا للكل وعورض بنحو قوله ولقد ذرأنا لجهنم والانذار الموجب للخوف لا ينافي وصفه تعالى بالبركة والخير لان النظر على السعادات الاخروية التي تحصل بالانذار لا على فوات بعض اللذات العاجلة ثم وصف ذاته بصفاته الاربع أولها (الذي له ملك السموات والارض) وفيه تنبيه على افتقار الكل اليه في الوجود وفي توابعه من البقاء وغيره الثانية (ولم يتخذ ولدا) وفيه رد النصارى واليهود الثالثة (ولم يكن له شريك في الملك) وفيه رد على سائر المشركين من الثنوية والوثنية وأرباب الشرك الخفي أيضا ولكنه صرح بهذا الأخير في الصفة الرابعة وهي قوله (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) قال جار الله المعنى أنه أحدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية والتهيئة لما يصلح له أو المراد بالخلق الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق وهو ما فيه من معنى التقدير لئلا يلزم التكرار فكأنه قيل أوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا أو

أحدثه فقدره للبقاء الى أمد معلوم وعندي أن الكلام محمول على القلب الذي يشجع عليه أمن الالباس أي قدره في الازل تقديرا فخلقه
في وقته موافقا لذلك التقدير والبحث فيه بين المعتزلة والاشاعرة كما مر في قوله الله خالق كل شئ ثم صرح بتزييف مذاهب عبدة الاوثان
قائلا (واتخذوا) الآية وحاصله أن اله العالم يجب أن يكون أقدر الاشياء وأشرفها  لا أعجزها وأخسها وهو الجماد بل الملائكة
والمسيح لانه لا قدرة لهم على الايجاد والتصرف في شئ الا باذن الله فتكون الآية ردا على الكل وانما قال في هذه السورة (من دونه) لتقدم الذكر مفردا وفي مريم ويس من دون الله لان ما قبلهما بلفظ الجمع تعظيما فلن يكن بد من التصريح وحين فرغ من بيان التوحيد ونفي الانداد شرع في شبهات منكري النبوة والاجوبة عنها فالشبهة الاولى قولهم (ان هذا الافك افتراه) أرادوا أنه كذب في نفسه أو أرادوا أنه كذب في اضافته الى الله تعالى وقوله (وأعانه عليه قوم آخرون) نظير قوله تعالى انما يعلمه بشر لسان الذي وقد مر ما قيل في سبب نزوله في النحل فأجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله (فقد جاؤا ظلما وزورا) أي أتوهما فانتصب بوقوع المجئ عليه وعن الزجاج أنه انتصب بنزع الخافض أي أتوا بالظلم والزور فالظلم هو أنهم نسبوا هذا الفعل الشنيع وهو الافتراء على الله الى من هو عندهم في غاية الامانة والصدق والزور وهو انحرافهم عن جادة العدل والانصاف فلو أنصفوا من أنفسهم لعلموا أن العربي لا يتلقن من العجمي كلاما عربيا أعجز بفصاحته دهماءهم ولو استعان محمد في ذلك بغيره لأمكنهم أيضا أن يستعينوا بغيرهم قال أبو مسلم الظلم تكذيبهم الرسول والزور كذبهم عليه الشبهة الثانية قولهم (انه أساطير الاولين)
أي أحاديث سطرها المتقدمون كأخبار الأعاجم (اكتتبها) لنفسه كقولك استكب الماء أي سكبه لنفسه وأخذه وقد يظن أن في الكلام قلبا لانه يقال أمليت عليه فهو يكتتبها وأجيب بأن المعنى أراد اكتتابها فهي تقرأ عليه أو كتبت له وهو أمي فهي تملى أي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب قال الضحاك ما على عليه بكرة تقرأ عليكم عشية وما على عليه عشية

---

في قوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال لم تنسخ قلت ان الناس لا يعملون به قال الله المستعان
* قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن موسى بن أبي عائشة عن الشعبي وسألته عن هذه
الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قلت منسوخة هي قال لا والله ما نسخت قلت ان الناس
لا يعملون بها قال الله المستعان * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن
سعيد بن جبير قال ان ناسا يقولون نسخت ولكنها مما يتهاون الناس به * قال ثنا محمد بن جعفر
قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين
ملكت أيمانكم الى آخر الآية قال لا يعمل بها اليوم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال
ثنا حنظلة أنه سمع القاسم بن محمد يسئل عن الاذن فقال يستأذن عند كل عورة ثم هو طواف يعني
الرجل على أمه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عثمان بن عمر قال أخبرنا عبد العزيز بن أبي رواد
قال أخبرني رجل من أهل الطائف عن غيلان بن شرحبيل عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا يغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم قال الله ومن بعد صلاة العشاء
ثلاث عورات لكم وانما العتمة عتمة الابل وقوله ثلاث عورات لكم اختلفت القراء في قراءة
ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ثلاث عورات لكم برفع الثلاث بمعنى الخبر عن هذه الاوقات
التي ذكرت كأنه عندهم قيل هذه الاوقات الثلاثة التي أمرناكم بأن لا يدخل عليكم فيها من ذكرنا
الا باذن ثلاث عورات لكم لأنكم تضعون فيها ثيابكم وتخلون بأهليكم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة
ثلاث عورات بنصب الثلاث على الرد على الثلاث الاولى وكأن معنى الكلام عندهم ليستأذنكم
الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ثلاث عورات لكم والصواب من
القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما
قرأ القارئ فمصيب وقوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم يقول تعالى ذكره
ليس عليكم معشر أرباب البيوت والمساكن ولا عليهم يعني ولا على الذين ملكت أيمانكم من
الرجال والنساء والذين لم يبلغوا الحلم من أولادكم الصغار حرج ولا اثم بعدهن يعني بعد العورات
الثلاث والهاء والنون في قوله بعدهن عائدتان على الثلاث من قوله ثلاث عورات لكم وانما يعني
بذلك أنه لا حرج ولا جناح على الناس أن يدخل عليهم مماليكهم البالغون وصبيانهم الصغار
بغير اذن بعد هذه الاوقات الثلاث اللاتي ذكرهن في قوله من قبل صلاة الفجر وحين تضعون
ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر
من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس
قال ثم رخص لهم في الدخول فيما بين ذلك بغير اذن يعني فيما بين صلاة الغداة الى الظهر وبعد
الظهر الى صلاة العشاء انه رخص لخادم الرجل والصبي أن يدخل عليه منزله بغير اذن قال وهو
قوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن فأما من بلغ الحلم فانه لا يدخل على الرجل وأهله الا باذن
على كل حال وقوله طوافون عليكم رفع الطوافون بضمير وذلك هم يقول لهؤلاء المماليك والصبيان
الصغار هم طوافون عليكم أيها الناس ويعني بالطوافين أنهم يدخلون ويخرجون على مواليهم

وأقربائهم في منازلهم غدوة وغشية بغير اذن يطوفون عليهم بعضكم على بعض في غير الاوقات الثلاث التي أمرهم أن لا يدخلوا على ساداتهم وأقربائهم فيها الا باذن كذلك يبين الله لكم الآيات يقول جل ثناؤه كما بينت لكم أيها الناس أحكام الاستئذان في هذه الآية كذلك يبين الله لكم جميع أعلامه وأدلته وشرائع دينه والله عليم حكيم يقول والله ذو علم بما يصلح عباده حكيم في تدبيره اياهم وغير ذلك من أموره ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره واذا بلغ الصغار من أولادكم وأقربائكم ويعني بقوله منكم من أحراركم الحلم يعني الاحتلام واحتلموا فليستأذنوا يقول فلا يدخلوا عليكم في وقت من الأوقات الا باذن لا في أوقات العورات الثلاث ولا في غيرها وقوله كما استأذن الذين من قبلهم يقول كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقربائه الاحرار وخص الله تعالى ذكره في هذه الآية الاطفال بالذكر وتعريف حكمهم عباده في الاستئذان دون ذكر ما ملكت أيماننا وقد تقدمت الآية التي قبلها بتعريفهم حكم الاطفال الاحرار والمماليك لأن حكم ما ملكت أيماننا من ذلك حكم واحد سواء فيه حكم كبارهم وصغارهم في أن الاذن عليهم في الساعات الثلاث التي ذكرها الله في الآية التي قبل * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال أما من بلغ الحلم فانه لا يدخل على الرجل وأهله يعني من الصبيان الاحرار الا باذن على كل حال وهو قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا قال واجب على الناس أجمعين أن يستأذنوا اذا احتلموا على من كان من الناس **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب عن ابن المسيب قال يستأذن الرجل على أمه قال انما أنزلت واذا بلغ الأطفال منكم الحلم في ذلك كذلك يبين الله لكم آياته يقول هكذا يبين الله لكم آياته أحكامه وشرائع دينه كما بين لكم أمر هؤلاء الاطفال في الاستئذان بعد البلوغ والله عليم حكيم يقول والله عليم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الاشياء حكيم في تدبيره خلقه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم﴾ يقول تعالى ذكره واللواتي قد قعدن عن الولد من الكبر من النساء فلا يحضن ولا يلدن واحدتهن قاعد اللاتي لا يرجون نكاحا يقول اللاتي قد يئسن من البعولة فلا يطمعن في الأزواج فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن يقول فليس عليهن حرج ولا اثم أن يضعن ثيابهن يعني جلابيبهن وهي القناع الذي يكون فوق الخمار والرداء الذي يكون فوق الثياب لا حرج عليهن أن يضعن ذلك عند المحارم من الرجال وغير المحارم من الغرباء غير متبرجات بزينة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا وهي المرأة لا جناح عليها أن تجلس في بيتها بدرع وخمار وتضع عنها الجلباب ما لم تتبرج لما يكره الله وهو قوله فليس عليهن جناح أن

يضعن

يقرأ عليكم بكرة وقال جار الله (بكرة وأصيلا) أي دائما أو في الخفية قبل أن ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم فأجاب عن هذه الشبهة بقوله (قل أنزله الذي يعلم السر) الآية والمعنى أن العالم بكل سر هو الذي يقدر على الاتيان بمثل هذا الكتاب لفصاحة مبانيه وبلاغة معانيه وبراءته من التناقض والاختلاف واشتماله على الغيوب وعلى مصالح العباد في المعاش والمعاد قال أبو مسلم أراد أنه يعلم كل سر خفي ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد والنفاق فهو مجازيكم عليه ولأجل هذا الوعيد ختم الآية بذكر المغفرة والرحمة فانه لا يوصف بهما الا القادر على العقوبة وقيل هو تنبيه على أنهم استحقوا بمكابرتهم العذاب العاجل ولكنه صرفه عنهم برحمته وغفرانه الشبهة الثالثة قولهم على سبيل الاستهانة وتصغير الشأن (مال هذا) الزاعم أنه رسول أي ما باله (يأكل الطعام) كما نأكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد زعموا أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش ثم نزلوا عن هذا المقام فطلبوا أن يكون انسانا معه ملك يعضده ويساعده في باب الانذار ثم نزلوا فاقترحوا أن يكون مستظهرا بكنز يلقى اليه من السماء حتى لا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فقالوا لا أقل من أن يكون كواحد من الدهاقين له بستان ينتفع هو أو ننتفع نحن بذلك على اختلاف القراءتين وانتصب (فيكون) لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام ومحل (أنزل) الرفع كما يقول لولا ينزل ولهذا عطف عليه يلقى ويكون مرفوعين (وقال الظالمون) من وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش النضر بن الحرث وأمثاله والمسحور المغلوب على عقله والامثال الأقوال النادرة والاقتراحات الغريبة المذكورة فبقوا متحيرين لا يجدون قولا يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق ولا يجدون طريقا اليه وقدم مثل هذه الآية في أواسط سورة بني اسرائيل وحين حكى شبههم ومطاعنهم مدح نفسه بما يلجمهم ويفحمهم وهو قوله (تبارك) أي تكاثر خير (الذي ان شاء)

وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا ثم فسر ذلك الخير بقوله (جنات) عن ابن عباس خيرا من ذلك أي مما عيروك بفقده الجنة الواحدة وعنه في رواية عكرمة خيرا من المشي في الاسواق لابتغاء المعاش وفي قوله ان شاء دليل على أنه لا حق لاحد من العباد عليه لا في الدنيا ولا في الآخرة وان حصول الخيرات معلق بمحض مشيئته وعنايته وقيل ان بمعنى اذ أي قد (٢٧ ا) جعلنا لك في الآخرة و بنينا لك قصورا والقصر المسكن الرفيع فيحتمل أن يكون لكل جنة قصر وأن تكون القصور مجموعة والجنات مجموعة وقال مجاهد ان شاء جعل لك في الآخرة جنات وفي الدنيا قصورا وعن طاوس عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وجبرائيل عنده قال جبرائيل هذا ملك قد نزل من السماء استأذن ربه في زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جاء الملك وسلم وقال ان الله يخيرك بين أن يعطيك مفاتيح كل شيء لم يعطها أحدا قبلك ولا يعطيها أحدا بعدك من غير أن ينقصك مما ادخر لك شيأ فقال صلى الله عليه وسلم بل يجمعها لي في الآخرة فنزلت هذه الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم عرض علي جبرائيل عليه السلام بطحاء مكة ذهبا فقلت بل شبعة وثلاث جوعات وفي رواية أشبع يوما وأجوع ثلاثا فأحمدك اذا شبعت وأتضرع اليك اذا جعت قوله (بل كذبوا بالساعة) عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة فلهذا لا ينتفعون بالدلائل ولا يتأملون فيها اذ لا يرجون ثوابا ولا عقابا ويجوز أن يراد ليس ما تعلقوا به شبهة عالية في نفس المسألة بل انما حملهم على ذلك تكذيبهم بالساعة استثقالا للاستعداد لها (وأعتدنا) جعلناها عدة ومعدة لهم وقد يستدل به على أن النار مخلوقة ويحتمل أن يقال هو كقوله ونادى وسيق قالت الاشاعرة البنية ليست شرطا في الحياة وتوابعها فأجروا قوله (اذا رأتهم) على ظاهره وقالوا لا امتناع في كون النار حية رائية مغتاظة على الكفار والمعتزلة أولوا فقالوا معنى رأتهم ظهرت لهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر وقال

---

يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ثم قال وأن يستعففن خير لهن **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يضعن ثيابهن يعني الجلباب وهو القناع وهذا للكبيرة التي قد قعدت عن الولد فلا يضرها أن لا تجلبب فوق الخمار وأما كل امرأة مسلمة حرة فعليها اذا بلغت المحيض أن تدني الجلباب على الخمار وقال الله في سورة الاحزاب يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان بالمدينة رجال من المنافقين اذا مرت بهم امرأة سيئة الهيئة والزي حسب المنافقون أنها مزنية وأنها من بغيتهم فكانوا يؤذون المؤمنات بالرفث ولا يعلمون الحرة من الامة فأنزل الله في ذلك يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين يقول اذا كان زيهن حسنا لم يطمع فيهن المنافقون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج في قوله والقواعد من النساء التي قعدت من الولد وكبرت قال ابن جريج قال مجاهد اللاتي لا يرجون نكاحا قال لا يريدنه فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال جلابيبهن **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال وضع الخمار قال التي لا ترجو نكاحا التي قد بلغت أن لا يكون لها في الرجال حاجة ولا للرجال فيها حاجة فاذا بلغن ذلك وضعن الخمار غير متبرجات بزينة ثم قال وأن يستعففن خير لهن كان أبي يقول هذا كله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن ذر عن أبي وائل عن عبد الله في قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال الجلباب أو الرداء شك سفيان * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله ليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال الرداء **حدثني** يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال عبد الله في هذه الآية فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال هي الملحفة **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت أبا وائل قال سمعت عبد الله يقول في هذه الآية فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال الجلباب **حدثنا** يحيى بن سعيد عن شعبة قال أخبرني الحكم عن أبي وائل عن عبد الله مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود في قوله أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال هو الرداء قال الحسن قال عبد الرزاق قال الثوري وأخبرني أبو حصين وسالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال هو الرداء **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال تضع الجلباب المرأة التي قد عجزت ولم تزوج قال الشعبي فان أبي بن كعب يقرأ أن يضعن من ثيابهن **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال قلت لابن أبي نجيح قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال الجلباب قال يعقوب قال أبو يونس قاتله عن مجاهد قال نعم في الدار والحجرة **حدثني**

محمدبن عمرو قال ثنا أبوعاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال جلابيبهن وقوله غير متبرجات بزينة يقول ليس عليهن جناح فى وضع أرديتهن اذالم يردن بوضع ذلك عنهن أن يبدين ماعليهن من الزينة للرجال والتبرج هوأن تظهر المرأة من محاسنها ماينبغى لها أن تستره وقوله وأن يستعففن خيرلهن يقول وان تعففن عن وضع جلابيبهن وأرديتهن فيلبسنها خيرلهن من أن يضعنها * وبنحوالذى قلنافى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمدبن عمرو قال ثنا أبوعاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن يستعففن خيرلهن قال ان يلبسن جلابيبهن حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى وأن يستعففن خيرلهن قال ترك ذلك يعنى ترك وضع الثياب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأن يستعففن خيرلهن والاستعفاف لبس الخمار على رأسها كان أبى يقول هذا كله والله سميع ماتنطقون بألسنتكم عليم بماتضمره صدوركم فاتقوه أن تنطقوا بألسنتكم ماقدنهاكم عن أن تنطقوا بها أوتضمروا فى صدوركم ماقد كرهه لكم فتستوجبوا بذلك منه عقوبة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ماملكتم مفاتحه أوصديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أوأشتاتا فاذادخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عندالله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ * قال أبوجعفر اختلف أهل التأويل فى هذه الآية فى المعنى الذى أنزلت فيه فقال بعضهم أنزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين فى الاكل مع العميان والعرجان والمرضى وأهل الزمانة من طعامهم من أجل أنهم كانوا قدامتنعوا من أن يأكلوا معهم من طعامهم خشية أن يكونوا قدأتوا بأكلهم معهم من طعامهم شيأ مما نهاهم الله عنه بقوله ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنى عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله أوأشتاتا وذلك لما أنزل الله ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقال المسلمون ان الله قدنهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام من أفضل الاموال فلا يحل لاحدمنا أن يأكل عندأحد فكف الناس عن ذلك فأنزل الله بعدذلك ليس على الاعمى حرج الى قوله أوماملكتم مفاتحه حدثت عن الحسين قال سمعت أبامعاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ليس على الاعمى حرج الآية كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبى صلى الله عليه وسلم لايخالطهم فى طعامهم أعمى ولامريض فقال بعضهم انما كان بهم التقذر والتقزز وقال بعضهم المريض لايستوفى الطعام كمايستوفى الصحيح والاعرج

الجبائى ذكر النار وأراد خزنتها او المراد اذارآتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم قيل التغيظ عبارة عن شدة الغضب وذلك لايكون مسموعا فكيف قال الله سبحانه سمعوا لها تغيظا وأجيب بأن المراد سماع مايدل على الغيظ وهو الصوت أى سمعوا لها صوتا يشبه صوت المتغيظ قاله الزجاج (١٣٨) وقال قطرب علموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر * متقلدا سيفا ورمحا * يروى أن جهنم تزفر زفرة لايبقى أحد الا ترعد فرائصه حتى ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يجثو على ركبتيه و يقول نفسى نفسى وحين وصف حال الكفار اذا كانوا بالبعد من جهنم وصف حالهم عندمايلقون فيها عن ابن عباس أنه يضيق عليهم المكان كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذى نفسى بيده انهم يستكرهون فى النار كما يستكره الوتد فى الحائط قال الكلبى الأسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يخفضهم الداخلون فيزدحمون فى تلك الابواب الضيقة وقال جارالله الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والارض وجاء فى الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا وقال الصوفية المكان الضيق قلب الكافر فى صدره كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا ثم ان أهل جهنم مع ماهم فيه يكونون مقرنين فى السلاسل والاصفاد وقد مر فى آخر سورة ابراهيم والثبور الهلاك ودعاؤه النداء بواثبوراه أى يقال ياثبور فهذا أوانك وههنا اضمار أى يقال لهم (لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا) اذهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك وان لم يكن ثمة قول ومعنى (وادعوا ثبورا كثيرا) أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير امالأن العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أولأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم أولانهم يجدون بسبب ذلك القول خفة فان المعذب اذاصاح و بكى وجد بسببه راحة قال الكلبى نزل هذا كله فى أبى جهل والكفار الذين ذكروا تلك الشبهات ثم و بخهم بقوله (قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون) أى وعدوها فحذف الراجع للعلم به وليس هذا الاستفهام كقول القائل السكر

المحبس لا يستطيع المزاحمة على الطعام والاعمى لا يبصر طيب الطعام فأنزل الله ليس عليكم حرج فى مؤاكلة المريض والاعمى والاعرج فمعنى الكلام على تأويل هؤلاء ليس عليكم أيها الناس فى الاعمى حرج أن تأكلوا منه ومعه ولا فى الاعرج حرج ولا فى المريض حرج ولا فى أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم فوجهوا معنى على فى هذا الموضع الى معنى فى * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية ترخيصا لاهل الزمانة فى الاكل من بيوت من سمى الله فى هذه الآية لان قوما كانوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن عندهم فى بيوتهم ما يطعمونهم ذهبوا بهم الى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو بعض من سمى الله فى هذه الآية فكان أهل الزمانة يتخوفون من أن يطعموا ذلك الطعام لانه أطعمهم غير ملكه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا جناح عليكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم قال كان رجال زمنى قال ابن عمرو فى حديثه عميان وعرجان وقال الحرث عمى عرج أولو حاجة يستتبعهم رجال الى بيوتهم فان لم يجدوا طعاما ذهبوا بهم الى بيوت آبائهم ومن عدد منهم من البيوت فكره ذلك المستتبعون فأنزل الله فى ذلك ليس عليكم جناح وأحل لهم الطعام حيث وجدوه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال كان الرجل يذهب بالاعمى والمريض والأعرج الى بيت أبيه أو الى بيت أخيه أو عمه أو خاله أو خالته فكان الزمنى يتحرجون من ذلك يقولون انما يذهبون بنا الى بيوت غيرهم فنزلت هذه الآية رخصة لهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحو حديث ابن عمرو عن أبى عاصم * وقال آخرون بل نزلت ترخيصا لأهل الزمانة الذين وصفهم الله فى هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من خلفهم فى بيوته من الغزاة ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال قلت للزهرى فى قوله ليس على الأعمى حرج ما بال الأعمى ذكر ههنا والاعرج والمريض فقال أخبرنى عبيد الله بن عبد الله أن المسلمين كانوا اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح أبوابهم يقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا وكانوا يتحرجون من ذلك يقولون لا ندخلها وهم غيب فأنزلت هذه الآية رخصة لهم * وقال آخرون بل عنى بقوله ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج فى التخلف عن الجهاد فى سبيل الله قالوا وقوله ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم كلام منقطع عما قبله ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج قال هذا فى الجهاد فى سبيل الله وفى قوله ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو صديقكم قال هذا شئ قد انقطع انما كان هذا فى الاول لم يكن لهم أبواب وكانت الستور مرخاة فربما دخل الرجل البيت وليس فيه أحد فربما وجد الطعام وهو جائع فسوغه الله أن يأكله قال وقد ذهب ذلك اليوم البيوت اليوم فيها أهلها واذا خرجوا أغلقوها فقد ذهب ذلك * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين الذين كانوا يتقون مؤاكلة أهل الزمانة فى مؤاكلتهم اذا شاؤا ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن مقسم فى قوله ليس على الأعمى حرج قال كانوا يتقون أن يأكلوا مع الأعمى والأعرج فنزلت ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا واختلفوا أيضا فى معنى قوله أو ما ملكتم مفاتحه فقال بعضهم عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه أنه لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته

أحلى أم الصبر ولكن الغرض منه التقريع كما اذا أعطى السيد عبده مالا فتمرد وأبى واستكبر فضربه ضربا وجيعا ويقول على سبيل التوبيخ هذا أطيب أم ذاك والاضافة فى جنة الخلد للتوضيح والتأكيد لا للتمييز فان الجنة معلوم أن نعيمها لا ينقطع قالت الأشاعرة فى قوله (وعد) دلالة على أن الجنة انما تستحق بحسب الوعد والفضل لا لأجل العمل وقالت المعتزلة فى قوله (المتقون) اشارة الى أن الجنة لا تنال الا بالتقوى ولذلك أكد بقوله على سبيل التخصيص بسبب تقديم الجار (كانت لهم جزاء ومصيرا) أجابت الأشاعرة بأن كونه

ونحو ذلك ذكر من قال ذلك **حدثني** على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس في قوله أو ما ملكتم مفاتحه وهو الرجل يوكل الرجل بضيعته فرخص الله له أن يأكل من ذلك الطعام والتمر ويشرب اللبن * وقال آخرون بل عنى بذلك منزل الرجل نفسه أنه لا بأس عليه أن يأكل ذكر من قال ذلك **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أو ما ملكتم مفاتحه يعني بيت أحدهم فانه يملكه والعبيد منهم مما ملكوا **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله أو ما ملكتم مفاتحه مما تحبون يا ابن آدم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أو ما ملكتم مفاتحه قال خزائن لأنفسهم ليست لغيرهم * وأشبه الأقوال التي ذكرنا في تأويل قوله ليس على الأعمى حرج الى قوله أو صديقكم القول الذي ذكرنا عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله وذلك أن أظهر معانى قوله ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج أنه لا حرج على هؤلاء الذين سموا في هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من ذكره الله فيها على ما أباح لهم من الأكل منها فاذ كان ذلك أظهر معانيه فتوجيه معناه الى الأغلب الأعرف من معانيه أولى من توجيهه الى الأنكر منها فاذ كان ذلك كذلك كان ما خالف من التأويل قول من قال معناه ليس في الأعمى والأعرج حرج أولى بالصواب وكذلك أيضا الأغلب من تأويل قوله ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أنه بمعنى ولا عليكم أيها الناس ثم جمع هؤلاء والزمنى الذين ذكرهم قبل في الخطاب فقال أن تأكلوا من بيوت أنفسكم وكذلك تفعل العرب اذا جمعت بين خبر الغائب والمخاطب غلبت المخاطب فقالت أنت وأخوك قمتما وأنت وزيد جلستما ولا تقول أنت وأخوك جلسا وكذلك قوله ولا على أنفسكم والخبر عن الأعمى والأعرج والمريض غلب المخاطب فقال أن تأكلوا ولم يقل أن يأكلوا فان قال قائل فهذا الأكل من بيوتهم قد علمناه كان لهم حلالا اذ كان ملكا لهم أو كان أيضا حلالا لهم الأكل من مال غيرهم قيل له ليس الأمر في ذلك على ما توهمت ولكنه كما ذكرناه عن عبيد الله بن عبد الله أنهم كانوا اذا غابوا في مغازيهم وتخلف أهل الزمانة منهم دفع الغازى مفتاح مسكنه الى المتخلف منهم فأطلق له في الأكل مما يخلف في منزله من الطعام فكان المتخلفون يتخوفون الأكل من ذلك وربه غائب فأعلمه الله أنه لا حرج عليه في الأكل منه وأذن لهم في أكله فاذ كان ذلك كذلك تبين أن لا معنى لقول من قال انما أنزلت هذه الآية من أجل كراهة المستتبع أكل طعام غير المستتبع لان ذلك لو كان كما قال من قال ذلك لقيل ليس عليكم حرج أن تأكلوا من طعام غير من أضافكم أو من طعام آباء من دعاكم ولم يقل أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم وكذلك لا وجه لقول من قال معنى ذلك ليس على الاعمى حرج في التخلف عن الجهاد في سبيل الله لأن قوله أن تأكلوا خبر ليس وأن في موضع نصب على أنها خبرها فهى متعلقة بليس فمعلوم بذلك أن معنى الكلام ليس على الأعمى حرج أن يأكل من بيته لا ما قاله الذين ذكرنا من أنه لا حرج عليه في التخلف عن الجهاد فاذ كان الامر في ذلك على ما وصفنا تبين أن معنى الكلام لا ضيق على الأعمى ولا على الأعرج ولا على المريض ولا عليكم أيها الناس أن تأكلوا من بيوت أنفسكم أو من بيوت آبائكم أو من بيوت أمهاتكم أو من بيوت اخوانكم أو من بيوت أخواتكم أو من بيوت أعمامكم أو من بيوت عماتكم أو من بيوت أخوالكم أو من بيوت خالاتكم أو من البيوت التي ملكتم مفاتحها أو من بيوت صديقكم اذا أذنوا لكم في ذلك عند مغيبهم ومشهدهم والمفاتح الخزائن واحدها مفتح اذا أريد به المصدر واذا كان من المفاتيح التي يفتح بها فهى مفتح ومفاتح وهى ههنا

جزاء ثبت في الأزل ولا عمل هنالك قالت المعتزلة لا غفران لصاحب الكبيرة لأن الجنة جاءت جزاء للمتقين خاصة فلا يعطى حقهم غيرهم أجابت الأشاعرة بأنه لم لا يجوز أن يرضى المتقون بادخال الله أهل العفو الجنة قال جار الله ذكر المصير مع ذكر الجزاء مدحا للثواب ومكانه كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا وفي قوله (لهم فيها ما يشاؤن) دلالة على أن حصول المرادات بأسرها لا تكون الا في الجنة وأما في الدنيا فالراحات فيها مخلوطة بالجراحات والضمير في (كان) لما يشاؤن واستدلت المعتزلة بقوله (على ربك) أن ذلك

على التأويل الذى اخترناه جمع مفتح الذى يفتح به وكان قتادة يتأول فى قوله أو صديقكم
ما حدثنا به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أو صديقكم فلو أكلت
من بيت صديقك من غير أمره لم يكن بذلك بأس قال معمر قلت لقتادة أولا أشرب من هذا الحب
قال أنت لى صديق وأما قوله ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فان أهل التأويل
اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم كان الغنى من الناس يتخوف أن يأكل مع الفقير فرخص لهم فى
الاكل معهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن
جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا قال كان الغنى يدخل
على الفقير من ذوى قرابته وصديقه فيدعوه الى طعامه ليأكل معه فيقول والله انى لأجنح أن
آكل معك والجنح الحرج وأنا غنى وأنت فقير فأمروا أن يأكلوا جميعا أو أشتاتا * وقال آخرون
بل عنى بذلك حى من أحياء العرب كانوا لا يأكل أحدهم وحده ولا يأكل الا مع غيره فأذن الله
لهم أن يأكل من شاء منهم وحده ومن شاء منهم مع غيره ذكر من قال ذلك حدثنى على قال
ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال كانوا يأنفون ويتحرجون
أن يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره فرخص الله لهم فقال ليس عليكم جناح
أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج
قال كانت بنو كنانة يستحى الرجل منهم أن يأكل وحده حتى نزلت هذه الآية حدثت عن
الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول كانوا لا يأكلون الا جميعا
ولا يأكلون متفرقين وكان ذلك فيهم دينا فأنزل الله ليس عليكم حرج فى مؤاكلة المريض والأعمى
وليس عليكم حرج أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد فى قوله ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا قال كان من العرب من لا يأكل
أبدا جميعا ومنهم من لا يأكل الا جميعا فقال الله ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق
قال أخبرنا معمر عن قتادة قال نزلت ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فى حى من العرب
كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده كان يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكله معه قال
وأحسب أنه ذكر أنهم من كنانة * وقال آخرون بل عنى بذلك قوم كانوا لا يأكلون اذا نزل بهم
ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم فى أن يأكلوا كيف شاؤا ذكر من قال ذلك حدثنى
أبو السائب قال ثنا حفص عن عمران بن سليمن عن أبى صالح وعكرمة قالا كانت الانصار
اذا نزل بهم الضيف لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم فرخص لهم قال الله لا جناح عليكم
أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله وضع الحرج
عن المسلمين أن يأكلوا جميعا معا اذا شاؤا أو أشتاتا متفرقين اذا أرادوا وجائز أن يكون ذلك نزل
بسبب من كان يتخوف من الاغنياء الاكل مع الفقير وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر
أنهم كانوا لا يطعمون وحدانا و بسبب غير ذلك ولا خبر بشئ من ذلك يقطع العذر ولا دلالة
فى ظاهر التنزيل على حقيقة شئ منه والصواب التسليم لما دل عليه ظاهر التنزيل والتوقف فيما
لم يكن على صحته دليل وقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله اختلف
أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم معناه فاذا دخلتم أيها الناس بيوت أنفسكم فسلموا على
أهليكم وعيالكم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا
معمر عن الزهرى وقتادة فى قوله فسلموا على أنفسكم قالا بيتك اذا دخلته فقل سلام عليكم حدثنا

واجب على الله حتى انه لو لم يفعل
استحق الذم وأجيب بأنه واجب
بحكم الوعد لقوله (وعدا مسؤلا)
كأن المكلفين سألوا بلسان الحال
من حيث تحملوا المشقة الشديدة
فى طاعته أو سألوه حقيقة بقولهم
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
أو سألته الملائكة فى قولهم ربنا
وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم
أو من حقه أن يسئل و يطلب لانه
حق واجب بحكم الاستحقاق
أو بحسب الموعد على المؤمنين
قوله (و يوم نحشرهم) رجوع الى
قوله واتخذوا من دونه آلهة
وظاهر قوله (وما يعبدون) أنها
الأصنام وظاهر قوله (أأنتم

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال سلم على أهلك قال ابن جريج وسئل عطاء بن أبى رباح أحق على الرجل اذا دخل على أهله أن يسلم عليهم قال نعم وقالها عمرو بن دينار وتلوا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة قال عطاء بن أبى رباح ذلك غير مرة * قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى أبو الزبير قال سمعت جابر بن عبد الله يقول اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيته الا يوجبه قال ابن جريج وأخبرنى زياد عن ابن طاوس أنه كان يقول اذا دخل أحدكم بيته فليسلم * قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء اذا خرجت أواجب السلام هل أسلم عليهم فانما قال اذا دخلتم بيوتا فسلموا قال ما أعلمه واجبا ولا آثر عن أحد وجوبه ولكن أحب الى وما أدعه الا ناسيا قال ابن جريج وقال عمرو بن دينار لا قال قلت لعطاء فان لم يكن فى البيت أحد قال سلم قل السلام على النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله قلت له قولك هذا اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد عمن تأثره قال سمعته ولم يؤثر لى عن أحد قال ابن جريج وأخبرنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال السلام علينا من ربنا وقال عمرو بن دينار السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا أحمد بن عبد الرحيم قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال ثنا صدقة عن زهير عن ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيته الا يوجبه حدثنا محمد بن عباد الرازى قال ثنا حجاج بن محمد الاعور قال قال لى ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول فذكر مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم يقول سلموا على أهاليكم اذا دخلتم بيوتكم وعلى غير أهاليكم فسلموا اذا دخلتم بيوتهم * وقال آخرون بل معناه فاذا دخلتم المساجد فسلموا على أهلها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال هى المساجد يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم فى قوله اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام على رسول الله واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين واذا دخلت بيتك فقل السلام عليكم * وقال آخرون بل معنى ذلك اذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين فيها ناس منكم فليسلم بعضكم على بعض ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله فسلموا على أنفسكم أى ليسلم بعضكم على بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخل المسلم سلم عليه كمثل قوله لا تقتلوا أنفسكم انما هو لا تقتل أخاك المسلم وقوله ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم قال يقتل بعضكم بعضا قريظة والنضير * وقال آخرون معناه فاذا دخلتم بيوتا ليس فيها أحد فسلموا على أنفسكم ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك قال اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين واذا دخلت بيتا فيه ناس من المسلمين وغير المسلمين فقل مثل ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى سنان عن ماهان قال اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال تقول السلام علينا من ربنا حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال

أضللتم) أنه من عبد من العقلاء كالملائكة والمسيح فلأجل هذا اختلفوا فحمله قوم ومنهم الكلبى على الأوثان ثم قالوا لا يبعد أن يخلق الله تعالى فيها الحياة والنور والنطق أو أراد أنهم تكلموا بلسان الحال وقال الأكثرون انه عام للاصنام وللمعبودين العقلاء نظيره قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ثم قالوا ان لفظة ما قد تستعمل فى العقلاء أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم كما اذا أردت السؤال عن صفة زيد فتقول ما زيد تريد أطويل أم قصير والسائل الله وحده أو الملائكة

أخبرنا شعبة عن منصور قال شعبة وسألته عن هذه الآية فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله قال قال ابراهيم اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث عن بكير بن الأشج عن نافع أن عبد الله كان اذا دخل بيتا ليس فيه أحد قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير قال ثنا منصور عن ابراهيم فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت بيتا فيه يهود فقل السلام عليكم وان لم يكن فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ❊ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه فاذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين فليسلم بعضكم على بعض وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله جل ثناؤه قال فاذا دخلتم بيوتا ولم يخصص من ذلك بيتا دون بيت وقال فسلموا على أنفسكم يعني بعضكم على بعض فكان معلوما اذ لم يخصص ذلك على بعض البيوت دون بعض أنه معني به جميعها مساجدها وغير مساجدها ومعنى قوله فسلموا على أنفسكم نظير قوله ولا تقتلوا أنفسكم وقوله تحية من عند الله ونصب تحية بمعنى تحيون أنفسكم تحية من عند الله السلام تحية فكأنه قال فليحي بعضكم بعضا تحية من عند الله وقد كان بعض أهل العربية يقول انما نصبت بمعنى أمركم بها تفعلونها تحية منه ووصف جل ثناؤه هذه التحية بالمباركة الطيبة لما فيها من الاجر الجزيل والثواب العظيم وقوله كذلك يبين الله لكم الآيات يقول تعالى ذكره هكذا يفصل الله لكم معالم دينكم فيبينها لكم كما فصل لكم في هذه الآية ما أحل لكم فيها وعرفكم سبيل الدخول على من تدخلون عليه لعلكم تعقلون يقول لكي تفقهوا عن الله أمره ونهيه وأدبه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ما المؤمنون حق الايمان الا الذين صدقوا الله ورسوله واذا كانوا معه يقول واذا كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر جامع يقول على أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت أو صلاة اجتمع لها أو تشاور في أمر نزل لم يذهبوا يقول لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الامر حتى يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه يقول اذا كان أمر طاعة لله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله واذا كانوا معه على أمر جامع قال أمر من طاعة الله عام حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن بكر قال أخبرنا ابن جريج قال سأل مكحولا الشامي انسان وأنا أسمع ومكحول جالس مع عطاء عن قول الله في هذه الآية واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه فقال مكحول في يوم الجمعة وفي زحف وفي كل أمر جامع قد أمر أن لا يذهب أحد في يوم جمعة حتى يستأذن الامام وكذلك في كل جامع ألا ترى أنه يقول واذا كانوا معه على أمر جامع حدثني يعقوب قال ثني ابن علية قال أخبرنا هشام بن حسان عن الحسن قال كان الرجل اذا كانت له حاجة والامام يخطب قام فأمسك بأنفه فأشار اليه الامام أن يخرج قال فكان رجل قد أراد الرجوع الى أهله فقام الى هرم بن حيان وهو يخطب فأخذ بأنفه فأشار اليه هرم أن يذهب فخرج الى أهله فأقام فيهم ثم قدم قال له هرم أين كنت قال في

باذنه وانما قال أنتم وهم ولم يقل أأضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل لان السؤال وقع عمن تولى فعل الاضلال لا عن نفس الاضلال وفائدة هذا السؤال من علام الغيوب أن يجيب المعبودون بما أجابوا به حتى يحصل لعبدتهم الالزام والتوبيخ كما قال لعيسى أأنت قلت للناس وكان القياس أن يقال ضلوا عن السبيل الا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والأصل هداه الى الطريق أو للطريق (قالوا سبحانك) تعجبا مما قيل لهم لانهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس

أهلى قال أباذن ذهبت قال نعم قمت اليك وأنت تخطب فأخذت بأنفى فأشرت الى أن اذهب فذهبت فقال أفاتخذت هذا دغلا أو كلمة نحوها ثم قال اللهم أخر رجال السوء الى زمان السوء حدثنى الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى فى قوله واذا كانوا معه على أمر جامع قال هو الجمعة اذا كانوا معه لم يذهبوا حتى يستأذنوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه قال الامر الجامع حين يكونون معه فى جماعة الحرب أو جمعة قال والجمعة من الامر الجامع لا ينبغى لأحد أن يخرج اذا قعد الامام على المنبر يوم الجمعة الا باذن سلطان اذا كان حيث يراه أو يقدر عليه ولا يخرج الا باذن واذا كان حيث لا يراه ولا يقدر عليه ولا يصل اليه فالله أولى بالعذر وقوله ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله يقول تعالى ذكره ان الذين لا ينصرفون يا محمد اذا كانوا معك فى أمر جامع عنك الا باذنك لهم طاعة منهم لله ولك وتصديقا بما أتيتهم به من عندى أولئك الذين يصدقون الله ورسوله حقا الا من يخالف أمر الله وأمر رسوله فينصرف عنك بغير اذن منك له بعد تقدمك اليه أن لا ينصرف عنك الا باذنك وقوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم يقول تعالى ذكره فاذا استأذنك يا محمد الذين لا يذهبون عنك الا باذنك فى هذه المواطن لبعض شأنهم يعنى لبعض حاجاتهم التى تعرض لهم فأذن لمن شئت منهم فى الانصراف عنك لقضائها واستغفر لهم يقول وادع الله لهم بأن يتفضل عليهم بالعفو عن تبعات ما بينه وبينهم ان الله غفور لذنوب عباده التائبين رحيم بهم أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا أيها المؤمنون دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم نهى الله بهذه الآية المؤمنين أن يتعرضوا لدعاء الرسول عليهم وقال لهم اتقوا دعاءه عليكم بأن تفعلوا ما يسخطه فيدعو لذلك عليكم فتهلكوا فلا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس فان دعاءه موجبة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا دعوة الرسول عليكم موجبة فاحذروها * وقال آخرون بل ذلك نهى من الله أن يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلظ وجفاء وأمر لهم أن يدعوه بلين وتواضع ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم أن يدعوا يا رسول الله فى لين وتواضع ولا يقولوا يا محمد فى تجهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم أن يدعوه يا رسول الله فى لين وتواضع حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم أن يفخموه ويشرفوه * وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب عندى التأويل الذى قاله ابن عباس وذلك أن الذى قبل قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا نهى من الله المؤمنين أن يأتوا من الانصراف عنه فى الامر الذى يجمع جميعهم ما يكرهه والذى بعده وعيد للمنصرفين عنه بغير اذنه فالذى بينهما بأن يكون تحذيرا لهم سخطه أن يضطره الى الدعاء عليهم أشبه

من

وحزبه وأنطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو قصدوا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له ملك أو نبى أو غيرهما ندا أو قصدوا تنزيهه من أن يكون مقصوده من هذا السؤال استفادة علم أو ايذاء من كان بريئا من الجرم بل انما سألهم تقريعا للكفار وتوبيخا لهم من قرأ (أن نتخذ) بفتح النون فظاهر وهو متعد الى واحد والأصل أن نتخذ أولياء من دونك فزيدت من لتأكيد معنى النفى ومن قرأ بضم النون فهو متعد الى اثنين الاول ضمير نحن والثانى من أولياء

من أن يكون أمر الهم عالم يجر له ذكر من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء وقوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا يقول تعالى ذكره انكم أيها المنصرفون عن نبيكم بغير اذنه تسترا وخفية منه وان خفي أمر من يفعل ذلك منكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يعلم ذلك ولا يخفى عليه فليتق من يفعل ذلك منكم الذين يخالفون أمر الله في الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا باذنه أن تصيبهم فتنة من الله أو يصيبهم عذاب أليم فيطبع على قلوبهم فيكفروا بالله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن جويبر عن الضحاك في قول الله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال كانوا يستتر بعضهم ببعض فيقومون فقال فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة قال يطبع على قلبه فلا يأمن أن يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال خلافا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال هؤلاء المنافقون الذين يرجعون بغير اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللواذ يلوذ عنه ويروغ ويذهب بغير اذن النبي صلى الله عليه وسلم فليحذر الذين يخالفون عن أمره الذين يصنعون هذا أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم الفتنة ههنا الكفر واللواذ مصدر لاوذت بفلان ملاوذة ولواذا ولذلك ظهرت الواو ولو كان مصدرا للذت لقيل لياذا كما يقال قمت قياما واذا قيل قاومتك قيل قواما طويلا واللواذ هو أن يلوذ القوم بعضهم ببعض يستتر هذا بهذا وهذا بهذا كما قال الضحاك وقوله أو يصيبهم عذاب أليم يقول أو يصيبهم في عاجل الدنيا عذاب من الله موجع على صنيعهم ذلك وخلافهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره وأدخلت عن لأن معنى الكلام فليحذر الذين يلوذون عن أمره ويدبرون عنه معرضين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ألا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ﴾ يقول تعالى ذكره ألا ان لله ملك جميع السموات والارض يقول فلا ينبغي لمملوك أن يخالف أمر مالكه فيعصيه فيستوجب بذلك عقوبته يقول فكذلك أنتم أيها الناس لا يصلح لكم خلاف ربكم الذي هو مالككم فأطيعوه وأتمروا لامره ولا تنصرفوا عن رسوله اذا كنتم معه على أمر جامع الا باذنه وقوله قد يعلم ما أنتم عليه من طاعتكم اياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك كما حدثني أيضا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد يعلم ما أنتم عليه صنيعكم هذا أيضا ويوم يرجعون اليه يقول ويوم يرجع الى الله الذين يخالفون عن أمره فينبئهم يقول فيخبرهم حينئذ بما عملوا في الدنيا ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها من خلافهم على ربهم والله بكل شيء عليم يقول والله ذو علم بكل شيء عملتموه أنتم وهم وغيركم وغير ذلك من الامور لا يخفى عليه شيء بل هو محيط بذلك كله وهو موف كل عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون اليه

﴿ آخر تفسير سورة النور ﴾

## ﴿ تفسير سورة الفرقان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ قال أبو جعفر تبارك تفاعل من البركة كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن

ولا تكون من زائدة لانها لا تزاد في المفعول الثاني تقول ما اتخذت من أحد وليا ولا تقول ما اتخذت أحدا من ولي فمن للتبعيض أي لا نتخذ بعض أولياء وتنكير أولياء من حيث انهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام والمعنى انا لا نصلح لذلك فكيف ندعوهم الى عبادتنا وفي تفسير الآية على القراءة الأولى وجوه الأول أن المعنى اذا كنا لا نرى أن نتخذ من دونك وليا فكيف ندعو غيرنا الى ذلك الثاني ما كان يصح لنا أن نكون أمثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان يريد الكفرة

سعيد قال ثنا بشر بن عمارة قال ثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال تبارك تفاعل من البركة وهو كقول القائل تقدس ربنا فقوله تبارك الذي نزل الفرقان يقول تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل فصلا بعد فصل وسورة بعد سورة على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ليكون محمد لجميع الجن والانس الذين بعثه الله اليهم داعيا اليه نذيرا يعني منذرا ينذرهم عقابه ويخوفهم عذابه ان لم يوحدوه ولم يخلصوا له العبادة ويخلعوا كل ما دونه من الآلهة والأوثان وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا قال النبي النذير وقرأ وان من أمة الا خلا فيها نذير وقرأ وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون قال رسل قال المنذرون الرسل قال وكان نذيرا واحدا بلغ ما بين المشرق والمغرب ذو القرنين ثم بلغ السدين وكان نذيرا ولم أسمع أحدا يحق أنه كان نبيا وأوحى الي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ قال من بلغه القرآن من الخلق فرسول الله نذيره وقرأ يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وقال لم يرسل الله رسولا الى الناس عامة الا نوحا بدأ به الخلق فكان رسول أهل الأرض كلهم ومحمد صلى الله عليه وسلم ختم به ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا﴾ يقول تعالى ذكره تبارك الذي نزل الفرقان الذي له ملك السموات والأرض فالذي الثانية من نعت الذي الأولى وهما جميعا في موضع رفع الأولى بقوله تبارك والثانية نعت لها ويعني بقوله الذي له ملك السموات والأرض الذي له سلطان السموات والأرض ينفذ في جميعها أمره وقضاؤه ويمضي في كلها أحكامه يقول فحق على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته ومن في سلطانه ولا يعصوه يقول فلا تعصوا نذيري اليكم أيها الناس واتبعوه واعملوا بما جاءكم به من الحق ولم يتخذ ولدا يقول تكذيبا لمن أضاف اليه الولد وقال الملائكة بنات الله ما اتخذ الذي نزل الفرقان على عبده ولدا فمن أضاف اليه ولدا فقد كذب وافترى على ربه ولم يكن له شريك في الملك يقول تكذيبا لمن كان يضيف الالوهة الى الاصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب ويقول في تلبيته لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك كذب قائلو هذا القول ما كان لله من شريك في ملكه وسلطانه فيصلح أن يعبد من دونه يقول تعالى ذكره فأفردوا أيها الناس لربكم الذي نزل الفرقان على عبده محمد نبيه صلى الله عليه وسلم الألوهة وأخلصوا له العبادة دون كل ما تعبدونه من دونه من الآلهة والأصنام والملائكة والجن والانس فان كل ذلك خلقه وفي ملكه فلا تصلح العبادة الا لله الذي هو مالك جميع ذلك وقوله وخلق كل شئ يقول تعالى ذكره وخلق الذي نزل على محمد الفرقان كل شئ فالأشياء كلها خلقه وملكه وعلى المماليك طاعة مالكهم وخدمة سيدهم دون غيره يقول وأنا خالقكم ومالككم فأخلصوا الى العبادة دون غيري وقوله فقدره تقديرا يقول فسوى كل ما خلق وهيأه لما يصلح له فلا خلل فيه ولا تفاوت ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا﴾ يقول تعالى ذكره مقرعا مشركي العرب بعبادتهم ما دونه من الآلهة ومعجبا أولي النهى منهم ومنبههم على موضع خطا فعلهم وذهابهم عن منهج الحق وركوبهم من سبل الضلالة ما لا يركبه إلا كل مدخول الرأي مسلوب العقل واتخذ هؤلاء المشركون بالله من دون الذي له ملك السموات والأرض وحده من غير شريك الذي خلق كل شئ فقدره آلهة يعني أصناما بأيديهم يعبدونها لا تخلق شيأ وهي تخلق ولا تملك لانفسها نفعا تجره اليها ولا ضرا تدفعه عنها ممن أرادها بضر ولا تملك اماتة حي ولا احياء ميت ولا نشره من

بعد

عن أبي مسلم الثالث تقدير مضاف محذوف أي ما كان لنا أن نتخذ من دون رضاك من أولياء أي لما علمنا أنك لا ترضى بهذا ما فعلنا أو قالت الملائكة انا وهم عبيد ولا ينبغي لعبيدك أن يدعوا من دون اذنك وليا الرابع قالت الاصنام لا يصح منا أن نكون من العابدين فكيف يمكننا ادعاء أنا من المعبودين وفي الآية دلالة على أنه لا تجوز الولاية والعداوة الا باذن الله والولاية المبنية على ميل النفس وشهوة الطبع مذمومة شرعا و(الذكر) ذكر الله والايمان به أو القرآن والشرائع أو ما فيه حسن ذكرهم في الدنيا والآخرة قالت

بعد مماته وتركوا عبادة خالق كل شئ وخالق آلهتهم ومالك الضر والنفع والذي بيده الموت والحياة والنشور والنشور مصدر نشر الميت نشورا وهو أن يبعث و يحيا بعد الموت ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الكافرون بالله الذين اتخذوا من دونه آلهة ما هذا القرآن الذي جاءنا به محمد الا افك يعني الا كذب وبهتان افتراه اختلقه وتخرصه بقوله وأعانه عليه قوم آخرون ذكر أنهم كانوا يقولون انما يعلم محمدا هذا الذي يجيئنا به اليهود فذلك قوله وأعانه عليه قوم آخرون يقول وأعان محمدا على هذا الافك الذي افتراه يهود ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وأعانه عليه قوم آخرون قال يهود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله فقد جاؤا ظلما وزورا يقول تعالى ذكره فقد أتى قائلو هذه المقالة يعني الذين قالوا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ظلما يعني بالظلم نسبتهم كلام الله وتنزيله الى أنه إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم وقد بينا فيما مضى أن معنى الظلم وضع الشئ في غير موضعه فكأن ظلم قائلي هذه المقالة القرآن بقيلهم هذا وصفهم اياه بغير صفته والزور أصله تحسين الباطل فتأويل الكلام فقد أتى هؤلاء القوم في قيلهم ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون كذبا محضا * وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وحدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقد جاؤا ظلما وزورا قال كذبا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض انه كان غفورا رحيما﴾ ذكر أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث وأنه المعني بقوله وقالوا أساطير الاولين ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنا شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال كان النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي من شياطين قريش وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم و ينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة تعلم بها أحاديث ملوك فارس وأحاديث رستم واسفنديار فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس مجلسا فذكر بالله وحدث قومه ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله خلفه في مجلسه اذا قام ثم يقول أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه فهلموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار ثم يقول ما محمد أحسن حديثا مني قال فأنزل الله تبارك وتعالى في النضر ثماني آيات من القرآن قوله واذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين وكل ما ذكر فيه الأساطير في القرآن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس نحوه الا أنه جعل قوله فأنزل الله في النضر ثماني آيات عن ابن اسحق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أساطير الاولين أشعارهم وكهانتهم وقالها النضر بن الحرث فتأويل الكلام وقال هؤلاء المشركون بالله الذين قالوا لهذا القرآن ان هذا الا افك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم هذا الذي جاءنا به محمد أساطير الاولين يعنون أحاديثهم التي كانوا يسطرونها

المعتزلة في قوله ولكن متعتهم الخ دليل بين على أن الله عز وجل لا يضل عباده على الحقيقة والا كان جواب العبيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم لا أن يقولوا بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وعلى آبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر فالحاصل أنهم ضلوا بأنفسهم لا باضلالنا وقالت الأشاعرة بل فيه دلالة على أن الله تعالى هو المضل حقيقة كأنهم قالوا الهنا أنت الذي أعطيتهم جميع مطالبهم في الدنيا حتى استغرقوا في بحر الشهوات وأعرضوا عن التوجه الى طاعتك

في كتبهم اكتتبها محمد صلى الله عليه وسلم من يهود فهي تملى عليه يعنون بقوله فهي تملى عليه فهذه الأساطير تقرأ عليه من قولهم أمليت عليك الكتاب وأمللت بكرة وأصيلا يقول وتملى عليه غدوة وعشيا وقوله قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بآيات الله من مشركي قومك ما الأمر كما تقولون من أن هذا القرآن أساطير الاولين وأن محمدا صلى الله عليه وسلم افتراه وأعانه عليه قوم آخرون بل هو الحق أنزله الرب الذي يعلم سر من في السموات ومن في الارض ولا يخفى عليه شئ ويحصى ذلك على خلقه ويجازيهم بما عزمت عليه قلوبهم وأضمروه في نفوسهم انه كان غفورا رحيما يقول انه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحمهم فيتفضل عليهم بعفوه يقول فلأن ذلك من عادته في خلقه يمهلكم أيها القائلون ما قلتم من الافك والفاعلون ما فعلتم من الكفر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض قال ما يسر أهل الارض وأهل السماء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا﴾ ذكر أن هاتين الآيتين نزلتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان مشركو قومه قالوا له ليلة اجتماع أشرافهم بظهر الكعبة وعرضوا عليه أشياء وسألوه الآيات فكان فيما كلموه به حينئذ فيما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أن قالوا له فان لم تفعل لنا هذا يعني ما سألوه من تسيير جبالهم عنهم واحياء آبائهم والمجيء بالله والملائكة قبيلا وما ذكره الله في سورة بني اسرائيل فخذ لنفسك سل ربك يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فيجعل لك قصورا وجنانا وكنوزا من ذهب وفضة تغنيك عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعلم فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بفاعل فأنزل الله في قولهم أن خذ لنفسك ما سألوه أن يأخذها أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا أو يبعث معه ملكا يصدقه بما يقول ويرد عنه من خاصمه وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا فتأويل الكلام وقال المشركون مال هذا الرسول يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم الذي يزعم أن الله بعثه الينا يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في أسواقنا كما نمشي لولا أنزل اليه يقول هلا أنزل اليه ملك ان كان صادقا من السماء فيكون معه منذرا للناس مصدقا له على ما يقول أو يلقى اليه كنز من فضة أو ذهب فلا يحتاج معه الى التصرف في طلب المعاش أو تكون له جنة يقول أو يكون له بستان يأكل منها واختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين يأكل بالياء بمعنى يأكل منها الرسول وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين نأكل منها بالنون بمعنى نأكل من الجنة * وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالياء وذلك للخبر الذي ذكرنا قبل بأن مسألة من سأل من المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل ربه هذه الخلال لنفسه لا لهم فاذ كانت مسألتهم اياه ذلك كذلك فغير جائز أن يقولوا له سل لنفسك ذلك لنأكل نحن وبعد فان في قوله تعالى ذكره تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار دليلا بينا على أنهم انما قالوا له اطلب ذلك لنفسك لتأكل أنت منه لا نحن وقوله وقال الظالمون يقول وقال المشركون للمؤمنين بالله ورسوله ان تتبعون أيها القوم باتباعكم

محمدا

والاشتغال بخدمتك فان هي الا فتنتك أما قوله (وكانوا قوما بورا) فالاكثرون على أن البور جمع بائر من البوار الهلاك كعائذ وعوذ وحائل وحول وحكى الأخفش أنه اسم جمع يقال رجل بور أي فاسد هالك لا خير فيه وامرأة بور وقوم بور كما يقال أنت بشر وأنتم بشر قالت المعتزلة صاروا الى الهلاك بسبب اختيارهم الضلال وقالت الاشاعرة أراد انهم كانوا في اللوح المحفوظ من جملة الهالكين ولو قيل انه فعل بالكافر ما صار معه بحيث لا يمكنه ترك الكفر صح القول بالقدر أيضا قوله (فقد كذبوكم) التفات لاجل الالزام والفاء

محمدا الا رجلا به سحر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد الى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشباه بقولهم لك هو مسحور فضلوا بذلك عن قصد السبيل وأخطؤا طريق الهدى والرشاد فلا يستطيعون يقول فلا يجدون سبيلا الى الحق الا فيما بعثتك به ومن الوجه الذى ضلوا عنه وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا أى التمسوا الهدى فى غير ما بعثتك به اليهم فضلوا فلن يستطيعوا أن يصيبوا الهدى فى غيره ✻ وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلا يستطيعون سبيلا قال مخرجا يخرجهم من الامثال التى ضربوا لك وقوله تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار يقول تعالى ذكره تقدس الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك واختلف أهل التأويل فى المعنى بذلك التى فى قوله جعل لك خيرا من ذلك فقال بعضهم معنى ذلك خيرا مما قال هؤلاء المشركون لك يا محمد هلا أوتيته وأنت لله رسول ثم بين تعالى ذكره عن ذلك الذى لو شاء جعل له من خير مما قالوا فقال جنات تجرى من تحتها الأنهار ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا مما قالوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك قال مما قالوا وتمنوا لك فيجعل لك مكان ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ✻ وقال آخرون عنى بذلك المشى فى الاسواق والتماس المعاش ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد فيما يرى الطبرى عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال ثم قال تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك من أن تمشى فى الاسواق وتلتمس المعاش كما يلتمسه الناس جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا ✻ قال أبو جعفر والقول الذى ذكرناه عن مجاهد فى ذلك أشبه بتأويل الآية لأن المشركين انما استعظموا أن لا تكون له جنة يأكل منها وأن لا يلقى اليه كنز واستنكروا أن يمشى فى الأسواق وهو لله رسول فالذى هو أولى بوعد الله اياه أن يكون وعدا بما هو خير مما كان عند المشركين عظيما لا مما كان منكرا عندهم وعنى بقوله جنات تجرى من تحتها الانهار بساتين تجرى فى أصول أشجارها الانهار كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد جنات تجرى من تحتها الانهار قال حوائط وقوله ويجعل لك قصورا يعنى بالقصور البيوت المبنية وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويجعل لك قصورا قال بيوتا مبنية مشيدة كان ذلك فى الدنيا قال كانت قريش ترى البيت من الحجارة قصرا كائنا ما كان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد

فيه تدل على شرط مقدر كأنه قال ان زعمتم أنهم آلهتكم فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة أو بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا على اختلاف قراءتى الخطاب والغيبة قال جار الله الباء فى الاول كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من كاف الخطاب كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وفى الثانى كقولك كتبت بالقلم (فما تستطيعون) أنتم يا كفار أو فما يستطيع آلهتكم على القراءتين صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة لانها تصرف العاصى عن فعله وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف أى يحتال ثم

ويجعل لك قصورا مشيدة فى الدنيا كل هذا قالته قريش وكانت قريش ترى البيت من حجارة ما
(١) كان صغيرا قصرا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال قيل للنبى
صلى الله عليه وسلم ان شئت أن نعطيك خزائن الارض ومفاتيحها مالم يعط نبى قبلك ولا يعطى من
بعدك ولا ينقص ذلك مما لك عند الله تعالى فقال اجمعوها لى فى الآخرة فأنزل الله فى ذلك تبارك الذى
ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا * القول فى
تأويل قوله تعالى (بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد
سمعوا لها تغيظا وزفيرا) يقول تعالى ذكره ما كذب هؤلاء المشركون بالله وأنكروا ما جئتهم به
يا محمد من الحق من أجل أنك تأكل الطعام وتمشى فى الأسواق ولكن من أجل أنهم لا يوقنون
بالمعاد ولا يصدقون بالثواب والعقاب تكذيبا منهم بالقيامة وبعث الله الاموات أحياء لحشر
القيامة وأعتدنا يقول وأعددنا لمن كذب ببعث الله الاموات أحياء بعد فنائهم لقيام الساعة نارا
تسعر عليهم وتتقد اذا رأتهم من مكان بعيد يقول اذا رأت هذه النار التى أعتدناها لهؤلاء المكذبين
أشخاصهم من مكان بعيد تغيظت عليهم وذلك أن تغلى وتفور يقال فلان تغيظ على فلان وذلك
اذا غضب عليه فغلى صدره من الغضب عليه وتبين فى كلامه وزفيرا وهو صوتها فان قال قائل
وكيف قيل سمعوا لها تغيظا والتغيظ لا يسمع قيل معنى ذلك سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب
والتوقد حدثنى محمود بن خداش قال ثنا محمد بن يزيد الواسطى قال ثنا أصبغ بن زيد
الوراق عن خالد بن كثير عن فديك عن رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من يقول على مالم أقل فليتبوأ بين عينى جهنم مقعدا قالوا يا رسول الله وهل لها
من عين قال ألم تسمعوا الى قول الله اذا رأتهم من مكان بعيد الآية حدثنا الحسن قال أخبرنا
عبد الرزاق قال أخبرنا معمر فى قوله سمعوا لها تغيظا وزفيرا قال أخبرنى منصور بن المعتمر عن
مجاهد عن عبيد بن عمير قال ان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبى إلا خر ترعد فرائصه حتى
ان ابراهيم ليجثو على ركبتيه فيقول يا رب لا أسألك اليوم الا نفسى حدثنا أحمد بن ابراهيم
الدورقى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد عن ابن
عباس قال ان الرجل ليجر الى النار فتنزوى وينقبض بعضها الى بعض فيقول لها الرحمن مالك
فتقول انه ليستجير منى فيقول أرسلوا عبدى وان الرجل ليجر الى النار فيقول يا رب ما كان هذا
الظن بك فيقول فما كان ظنك فيقول أن تسعنى رحمتك قال فيقول أرسلوا عبدى وان الرجل ليجر
الى النار فتشهق اليه النار شهوق البغلة الى الشعير وتزفر زفرة لا يبقى أحد الا خاف * القول
فى تأويل قوله تعالى (واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا
واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) يقول تعالى ذكره واذا ألقى هؤلاء المكذبون بالساعة من النار مكانا
ضيقا قد قرنت أيديهم الى أعناقهم فى الاغلال دعوا هنالك ثبورا واختلف أهل التأويل فى
معنى الثبور فقال بعضهم هو الويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال
ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وادعوا ثبورا كثيرا يقول ويلا حدثنى محمد بن سعد
قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لا تدعوا اليوم ثبورا
واحدا يقول لا تدعوا اليوم ويلا واحدا وادعوا ويلا كثيرا * وقال آخرون الثبور الهلاك
ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت
الضحاك يقول فى قوله لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا الثبور الهلاك * قال أبو جعفر والثبور فى كلام

ذكر وعيد كل ظالم بقوله (ومن
يظلم) الآية فاستدلت المعتزلة به على
وعيد الفاسق وخلوده وذلك أن
الفسق ظلم لقوله ومن لم يتب
فأولئك هم الظالمون والانصاف أنه
لا دلالة فى الآية على مطلوبهم لان
من ليست من صيغ العموم عند
بعضهم ولئن سلم فلعل المراد الأكثر
أو أقوام بأعيانهم لقوله منكم ولئن
سلم فلعله مشروط بعدم العفو
كما أنه مشروط عند المعتزلة بعدم
التوبة ولو سلم الجميع فاذاقة
العذاب لا تدل على الخلود ثم بين
بقوله (وما أرسلنا) الآية أنه لا وجه
لقولهم مال هذا الرسول يأكل
الطعام لان هذه عادة مستمرة

(١) لعله سقط من قلم الناسخ أو
كبيرا كما يفيده ما قبله والذى فى ابن
كثير صغيرا كان أو كبيرا فتنبه
كتبه مصححه

العرب أصله انصراف الرجل عن الشئ يقال منه ماثبرك عن هذا الأمر أى ماصرفك عنه وهو فى هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله فى الدنيا والايمان بما جاءهم به نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى استوجبوا العقوبة منه كما يقول القائل واندامتاه واحسرتاه على مافرطت فى جنب الله وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول فى قوله دعوا هنالك ثبورا أى هلكة و يقول هو مصدر من ثبر الرجل أى أهلك و يستشهد لقيله فى ذلك ببيت ابن الزبعرى

اذ أجارى الشيطان فى سنن الغى * ومن مال ميله مثبور

وقوله لاتدعوا اليوم أيها المشركون ندما واحدا أى مرة واحدة ولكن ادعوا ذلك كثيرا وانما قيل لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا لان الثبور مصدر والمصادر لاتجمع وانما توصف بامتدادوقتها وكثرتها كما يقال قعد قعودا طويلا وأكل أكلا كثيرا حدثنا محمد بن مرزوق قال ثنا حجاج قال ثنا حماد قال ثنا على بن زيد عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه و يسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول ياثبوراه وهم ينادون ياثبورهم حتى يقفوا على النار وهو يقول ياثبوراه وهم ينادون ياثبورهم فيقال لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها مايشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا﴾ يقول تعالى ذكره قل يامحمد لهؤلاء المكذبين بالساعة أهذه النار التى وصف لكم ربكم صفتها وصفة أهلها خير أم بستان الخلد الذى يدوم نعيمه ولا يبيد الذى وعد من اتقاه فى الدنيا بطاعته فيما أمره ونهاه وقوله كانت لهم جزاء ومصيرا يقول كانت جنة الخلد للمتقين جزاء أعمالهم لله فى الدنيا بطاعته وثواب تقواهم اياه ومصيرا لهم يقول ومصيرا للمتقين يصيرون اليها فى الآخرة وقوله لهم فيها مايشاؤن يقول لهؤلاء المتقين فى جنة الخلد التى وعدهموها الله مايشاؤن مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين خالدين فيها يقول لابثين فيها ماكثين أبدا لايزولون عنها ولا يزول عنهم نعيمها وقوله كان على ربك وعدا مسؤلا وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم ذلك فى الدنيا حين قالوا آتنا ماوعدتنا على رسلك يقول الله تبارك وتعالى كان اعطاء الله المؤمنين جنة الخلد التى وصف صفتها فى الآخرة وعدا وعدهم الله على طاعتهم اياه فى الدنيا ومسئلتهم اياه ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس كان على ربك وعدا مسؤلا قال فسألوا الذى وعدهم وتنجزوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كان على ربك وعدا مسؤلا قال سألوه اياها فى الدنيا طلبوا ذلك فأعطاهم وعدهم اذ سألوه أن يعطيهم فأعطاهم فكان ذلك وعدا مسؤلا كما وقت أرزاق العباد فى الارض قبل أن يخلقهم فجعلها أقواتا للسائلين وقت ذلك على مسئلتهم وقرأ وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله وعدا مسؤلا الى أنه معنى به وعدا واجبا وذلك أن المسؤل واجب وان لم يسئل كالدين و يقول ذلك نظير قول العرب لأعطينك ألفا وعدا مسؤلا بمعنى واجب لك فتسأله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿و يوم نحشرهم ومايعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل﴾ يقول تعالى ذكره و يوم نحشر هؤلاء المكذبين بالساعة العابدين الأوثان ومايعبدون من دون الله من الملائكة والانس والجن كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن

من الله فى كل رسله قال الزجاج الجملة بعد الاصفة لموصوف محذوف والمعنى وماأرسلنا قبلك أحدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف لان فى قوله من المرسلين دليلا عليه نظيره وما منا الا له مقام معلوم أى ومامنا أحد وقال الفراء المحذوف هو الموصول والتقدير الا من انهم وقال ابن الانبارى المحذوف هو الواو بعد الا فتكون الجملة حالا كقوله وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قوله ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ قال الكلبى والفراء والزجاج ان هذا فى رؤساء المشركين كأبى جهل وغيره وفى

أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء قال عيسى وعزير والملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه أبو جعفر القارئ وعبد الله بن كثير ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول بالياء جميعا بمعنى ويوم يحشرهم ربك ويحشر ما يعبدون من دونه فيقول وقرأته عامة قراء الكوفيين نحشرهم بالنون فنقول وكذلك قرأه نافع وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال انهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء يقول فيقول الله للذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء يقول أأنتم أزللتموهم عن طريق الهدى ودعوتموهم الى الغي والضلالة حتى تاهوا وهلكوا أم هم ضلوا السبيل يقول أم عبادي هم الذين ضلوا سبيل الرشد والحق وسلكوا العطب

القول في تأويل قوله تعالى (قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا) يقول تعالى ذكره قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى تنزيها لك يا ربنا وتبرئة مما أضاف اليك هؤلاء المشركون ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نوالهم أنت ولينا من دونهم ولكن متعتهم بالمال يا ربنا في الدنيا والصحة حتى نسوا الذكر وكانوا قوما هلكى قد غلب عليهم الشقاء والخذلان * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا يقول قوم قد ذهبت أعمالهم وهم في الدنيا ولم تكن لهم أعمال صالحة حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وكانوا قوما بورا يقول هلكى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وكانوا قوما بورا يقول هلكى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وكانوا قوما بورا قال هم الذين لا خير فيهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكانوا قوما بورا قال يقول ليس من الخير في شئ البور الذي ليس فيه من الخير شئ واختلفت القراء في قراءة قوله ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء فقرأ ذلك عامة قراء الامصار نتخذ بفتح النون سوى الحسن ويزيد بن القعقاع فانهما قرآه أن نتخذ بضم النون فذهب الذين فتحوها الى المعنى الذي بيناه في تأويله من أن الملائكة وعيسى ومن عبد من دون الله من المؤمنين هم الذين تبرؤا أن يكون كان لهم ولي غير الله تعالى ذكره وأما الذين قرؤا ذلك بضم النون فانهم وجهوا معنى الكلام الى أن المعبودين في الدنيا انما تبرؤا الى الله أن يكون كان لهم أن يعبدوا من دون الله جل ثناؤه كما أخبر الله عن عيسى أنه قال اذ قيل أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم * قال أبو جعفر وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بفتح النون لعلل ثلاث احداهن اجماع الحجة من القراء عليها والثانية أن الله جل ثناؤه ذكر نظير هذه القصة في سورة سبأ فقال ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم فأخبر عن الملائكة أنهم اذا سئلوا عن عبادة من عبدهم تبرؤا الى الله من ولايتهم فقالوا لربهم أنت ولينا من دونهم فذلك

فقراء الصحابة كأنه اذا رأى الشريف الوضيع وقد أسلم قبله أنف أن يسلم فأقام على كفره لئلا يكون للوضيع السابقة والفضل عليه دليله قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه وعن ابن عباس والحسن أنه في أصحاب البلاء والعافية يقول أحدهم لم أجعل مثله في الخلق والخلق والعلم والعقل والرزق والاجل وغير ذلك يؤيده ما روي عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان وويل للشديد من الضعيف وللضعيف من

يوضع عن صحة قراءة من قرأ ذلك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء بمعنى ما كان ينبغي لنا أن نتخذهم من دونك أولياء والثالثة أن العرب لا تدخل من هذه التي تدخل في الجحد الا في الاسماء ولا تدخلها في الأخبار لا يقولون ما رأيت أخاك من رجل وانما يقولون ما رأيت من أحد وما عندي من رجل وقد دخلت ههنا في الاولياء وهي في موضع الخبر ولو لم تكن فيها من كان وجها حسنا وأما البور فمصدر واحد وجمع للبائر يقال أصبحت منازلهم بورا أي خالية لاشئ فيها ومنه قولهم بارت السوق وبار الطعام اذا خلا من الطلاب والمشتري فلم يكن له طالب فصار كالشئ الهالك ومنه قول ابن الزبعرى

يا رسول المليك ان لساني * راتق ما فتقت اذ أنا بور

وقد قيل ان بور مصدر كالعدل والزور والقطع لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وانما أريد بالبور في هذا الموضع أن أعمال هؤلاء الكفار كانت باطلة لانهم لم تكن لله كما ذكرنا عن ابن عباس ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عما هو قائل للمشركين عند تبري من كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله منهم قد كذبوكم أيها الكافرون من زعمتم أنهم أضلوكم ودعوكم الى عبادتهم بما تقولون يعني بقولكم يقول كذبوكم بكذبكم وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فقد كذبوكم بما تقولون يقول الله للذين كانوا يعبدون عيسى وعزيرا والملائكة يكذبون المشركين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقد كذبوكم بما تقولون قال عيسى وعزير والملائكة يكذبون المشركين بقولهم وكان ابن زيد يقول في تأويل ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال كذبوكم بما تقولون بما جاء من عند الله جاءت به الانبياء والمؤمنون آمنوا به وكذب هؤلاء فوجه ابن زيد تأويل قوله فقد كذبوكم الى فقد كذبوكم أيها المؤمنون المكذبون بما جاءهم به محمد من عند الله بما تقولون من الحق وهو أن يكون خبرا عن الذين كذبوا الكافرين في زعمهم أنهم دعوهم الى الضلالة وأمروهم بها على ما قاله مجاهد من القول الذي ذكرناه عنه أشبه وأولى لانه في سياق الخبر عنهم والقراءة في ذلك عندنا فقد كذبوكم بما تقولون بالتاء على التأويل الذي ذكرناه لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وقد حكي عن بعضهم أنه قرأه فقد كذبوكم بما يقولون بالياء بمعنى فقد كذبوكم بقولهم وقوله جل ثناؤه فما تستطيعون صرفا ولا نصرا يقول فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نزل بهم عن أنفسهم ولا نصرها من الله حين عذبها وعاقبها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال المشركون لا يستطيعونه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال المشركون قال ابن جريج لا يستطيعون صرف العذاب عنهم ولا نصرا أنفسهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال لا يستطيعون يصرفون عنهم العذاب الذي نزل بهم حين كذبوا ولا أن ينتصروا قال وينادي مناد يوم القيامة حين تجتمع الخلائق ما لكم لا تناصرون قال من عبد من دون الله لا ينصر اليوم من عبده وقال العابدون من دون

الشديد بعضهم لبعض فتنة وقر هذه الآية وقال آخرون انه احتجاج عليهم في اختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مع مساواته اياهم في البشرية وصفاتها فابتلي المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة وأنواع الاذى وابتلي المرسل اليهم بالتكليف وبذل النفس والمال وصيرورتهم تابعين خادمين بعد أن كانوا متبوعين مخدومين قالت الاشاعرة في هذا الجعل اشارة الى مذهبنا في القدر وقال الجبائي هذا الجعل بمعنى التعريف كما يقال فيمن بين أن فلانا لص انه جعله لصا قال في الكشاف موقع أتصبرون بعد ذكر الفتنة

الله لا ينصره اليوم الهه الذى يعبد من دون الله فقال الله تبارك وتعالى بل هم اليوم مستسلمون وقرأ
قول الله جل ثناؤه فان كان لكم كيد فكيدون وروى عن ابن مسعود فى ذلك ما حدثنا به أحمد
ابن يونس قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال هى فى حرف عبد الله بن مسعود فما
يستطيعون لك صرفا فان تكن هذه الرواية عنه صحيحة صح التأويل الذى تأوله ابن زيد فى قوله
فقد كذبوكم بما تقولون و يصير قوله فقد كذبوكم خبرا عن المشركين أنهم كذبوا المؤمنين و يكون
تأويل قوله حينئذ فما يستطيعون صرفا ولا نصرا فما يستطيع يا محمد هؤلاء الكفار لك صرفا عن
الحق الذى هداك الله له ولا نصر أنفسهم مما بهم من البلاء الذى هم فيه بتكذيبهم اياك ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ومن
يظلم منكم أيها المؤمنون يعنى بقوله ومن يظلم ومن يشرك بالله فيظلم نفسه فذلك نذقه عذابا كبيرا
كالذى ذكرنا أنا نذيقه الذين كذبوا بالساعة و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من
قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنى الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله ومن يظلم
منكم قال يشرك نذقه عذابا كبيرا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن
الحسن فى قوله ومن يظلم منكم قال هو الشرك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا قبلك
من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام و يمشون فى الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون
وكان ربك بصيرا﴾ وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركى قومه الذين قالوا ما لهذا
الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الاسواق وجواب لهم عنه يقول لهم جل ثناؤه وما أنكر يا محمد
هؤلاء القائلون ما لهذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الاسواق من أكلك الطعام ومشيك فى
الاسواق وأنت لله رسول فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين الا من أنهم ليأكلون الطعام
و يمشون فى الاسواق كالذى تأكل أنت وتمشى فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة فان قال
قائل فان من ليست فى التلاوة فكيف قلت معنى الكلام الا من أنهم ليأكلون الطعام قيل قلنا فى
ذلك معناه أن الهاء والميم فى قوله انهم كناية أسماء لم تذكر ولا بد لها من أن تعود على من كنى عنه بها
وانما ترك ذكر من واظهاره فى الكلام اكتفاء بدلالة قوله من المرسلين عليه كما اكتفى فى قوله وما منا
الا له مقام معلوم من اظهار من ولا شك أن معنى ذلك وما منا الا من له مقام معلوم كما قيل وان منكم
الا واردها ومعناه وان منكم الا من هو واردها فقوله انهم ليأكلون الطعام صلة لمن المتروك كما
يقال فى الكلام ما أرسلت اليك من الناس الا من انه ليبلغك الرسالة فانه ليبلغك الرسالة صلة لمن
وقوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة يقول تعالى ذكره وامتحنا أيها الناس بعضكم ببعض جعلنا هذا
نبيا وخصصناه بالرسالة وهذا ملكا وخصصناه بالدنيا وهذا فقيرا وحرمناه الدنيا لنختبر الفقير بصبره
على ما حرم مما أعطيه الغنى والملك بصبره على ما أعطيه الرسول من الكرامة وكيف رضى كل
انسان منهم بما أعطى وقسم له وطاعته ربه مع ما حرم مما أعطى غيره يقول فمن أجل ذلك لم أعط
محمدا الدنيا وجعلته يطلب المعاش فى الاسواق ولأبتليكم أيها الناس وأختبر طاعتكم ربكم
واجابتكم رسوله الى ما دعاكم اليه بغير عرض من الدنيا ترجونه من محمد أن يعطيكم فى اتباعكم
اياه لأنى لو أعطيته الدنيا لسارع كثير منكم الى اتباعه طمعا فى دنياه أن ينال منها ۞ و بنحو الذى
قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال
ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال ثنى عبد القدوس عن الحسن فى قوله وجعلنا بعضكم لبعض
فتنة الآية يقول هذا الأعمى لو شاء الله لجعلنى بصيرا مثل فلان و يقول هذا الفقير لو شاء الله لجعلنى

موقع أيكم بعد الابتلاء فى قوله
ليبلوكم أيكم أحسن عملا قلت
أراد أن كلا من الابتلاء والفتنة
يستدعى التمييز فيحسن الاستفهام
بعده أى يفتنكم لنظهر أيكم
تصبرون على البلاء أم لا ولعل
الأظهر أن الاستفهام غير متعلق
بالفتنة وانما هو مستأنف للوعيد
كقوله فهل أنتم منتهون و يؤيده
قوله وكان ربك بصيرا بمن صبر
ومن لا يصبر فيجازى كلا منهم
بحسب ذلك وقيل فى الآية تسلية
للنبى صلى الله عليه وسلم عما عيروه
به من الفقر فقد جعل الاغنياء
فتنة للفقراء وقيل جعلناك فتنة
لهم حين بعثناك فقيرا لتكون

غنيا مثل فلان ويقول هذا السقيم لو شاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون قال يمسك عن هذا ويوسع على هذا فيقول لم يعطني مثل ما أعطى فلانا ويبتلى بالوجع كذلك فيقول لم يجعلني ربي صحيحا مثل فلان في أشباه ذلك من البلاء ليعلم من يصبر ممن يجزع حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد فيما يرى الطبري عن عكرمة أو عن سعيد عن ابن عباس قال وأنزل عليه في ذلك من قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق الآية وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون أي جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا الهدى بغير أن أعطيهم عليه الدنيا ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفون لفعلت ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بكم وأبتليكم بهم وقوله وكان ربك بصيرا يقول وربك يا محمد بصير بمن يجزع ومن يصبر على ما امتحن به من المحن كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وكان ربك بصيرا ان ربك لبصير بمن يجزع ومن يصبر

طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله ولو كنت غنيا صاحب كنز كما اقترحوا لم يظهر الطائع من المخالص وقالت الصوفية أتصبرون يا معشر الانبياء على ما يقولون ويا معشر الامم عما يقولون والله أعلم

( تم الجزء الثامن عشر من تفسير ابن جرير الطبري ويليه الجزء التاسع عشر أوله القول في تأويل قوله تعالى وقال الذين لا يرجون )

١

## ﴿فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى﴾



﴿تم فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير ابن جرير﴾

﴿ فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش ابن جرير ﴾



﴿ تم فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير النيسابوري ﴾